

محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المكعبو سنة



دار المستقبل العربي

٢٠٠ قرشاً

خطوات على الأرض المكبوسة

محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المكحبوسة



دار المستقبل العربي

#AMFARABIC

صوم الفالند : سعد عبد الوهاب

دار المستقبل العربي
٤١ شارع بيروت ، مصر الجديدة
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٨٣

أهداء

الى الرجل الذى علمنى كيف أتكلم وكيف أمشى وكيف
أكتب وكيف أكون شريفاً •
الى والذى الذى هجر سريرته ونام على الأرض طول فترة
نومى على الأرض فى الأسر •

محمد حسين يونس

مقدمة

بقلم : محسن الخياط

هذا الكتاب ٠٠ وهذا المؤلف

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك في حرب الأيام الستة التى عرفت بإيام النكسة ٠٠ وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية في الحرب الكثير مما يراه السبب في الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك ٠٠ ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وأمته ، لكثير من السلبيات التى شابته حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للانسان المصرى والعربى على ضوء تخطى السلبيات وتجنب الوقوع فيها ٠٠

وإذا كان من سلبيات المعركة عدم التدريب الكافي للقوات المسلحة ونقص المعدات الحربية والزج بالاحتياطي غير المدرب في المعركة والخلل الذى اصاب القيادة العسكرية نفسها ٠٠ فان ذلك لا يعنى بالضرورة أن جرب أكتوبر كانت التصحيح لهذا الوضع الذى كانت عليه القوات المسلحة فتصحيح الأوضاع في القوات المسلحة قد بدأ مباشرة بعد النكسة واتخذت المعركة في الثلاث سنوات التالية للنكسة طابع الصمود ثم الاستنزاف الذى جاء نتيجة مباشرة لتدريبات مكنته على القتال وعلى عبور القتال بل وتم في تلك الفترة تدمير أجزاء كبيرة من خط بارليفية ومن هنا فان معارك الاستنزاف والتدريبات الشاقة هي التى فتحت الطريق أمام القوات المسلحة لعبور القناة وانهاء خط بارليف .

وقد نتفق جميعا مع المؤلف في أن غيبة الديمقراطية وحرية الراى قد يكون لهما اثر مباشر في مسار الممارك الوطنية ٠٠ ولكن الذى حدث أن حرب أكتوبر وعبور القناة قد تم أيضا في غيبة الديمقراطية .

وفي غيبة الديمقراطية أيضا فقدت حرب أكتوبر الكثير من ايجابياتها فقد اثبتت الحرب مقدرة المقاتل المصري العربي على القتال والصمود واكدت امكانية التحرك من موقع التفوق والثبوة ولكن الذي حدث ترك خلفه من السلبيات ما نعانى من خطورته سواء في « طابا » او في غزو لبنان البربري الذي وضع الأمة العربية في وضع لا تحسد عليه لقد وضعت هزيمة ٦٧ الشعب المصري في موقف الصمود والتصدي بينما لم يحقق انتصار أكتوبر في غيبة الديمقراطية سوى النتائج التي وصلت اليها المفاوضات والتي كان اكثرها بروزا اقدام اسرائيل على تحقيق اطماعها التوسعية بقوة السلاح .. متجاهلة كل دعاويها للسلام .

وكل ما تم بعد عام ١٩٧٣ ثم في غيبة كاملة للديمقراطية بالرغم من وجود المفابر وتحولها الى احزاب فيما بعد ..

فالديمقراطية الليبرالية لا تقوم بقرارات فوقية .. ولكنها حق طبيعي لكل الطبقات التي لها الحق في تشكيل احزابها والتعبير عن رأيها .. حق يكفله دستور ليس من صنع فرد او افراد ولكنه من صنع الشعب المنزل في جمعية تأسيسية منتخبه من اجل وضع دستور يقن مكتسبات الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وعلى اي حال ، فالؤلف - شأنه شأن اي مقاتل في صفوف القوات المسلحة - قد صدمته حقيقة النكسة .. وهو يسرد الأحداث كما رآها بعيني راسه ، وهو لا يفقد الأمل في المقاتل الفرد حين يلتقي بأحد الأبطال الذين فجروا مستودعات للذخيرة في الأرض المحتلة - حتى يرى مع مستقبل الأيام كيف تمكن الجندي المصري الشجاع من اقتحام القناة في عام ١٩٧٣ ورفع علم مصر على أرض سيناء المحتلة .

وهو نفسه .. ذلك الجندي الواعي الذي يفوق من السلسلة المؤقت ليواجه بشجاعة مأساته ورفاقه في معتقل « عتليت » الاسرائيلي .. حيث يتمكن جميع الأسرى من تنظيم صفوفهم في النهاية في مواجهة العدو المنتصر المتعرج :

ولعل أخطر ما يتعرض له المؤلف في كتابه هو الفصل الذي يتحدث فيه عن الاستلاب الفكري الذي مارسته قوى الغزو الاسرائيلي على أسرانا

في معتقل « عتليت » فقد استفاد الإسرائيليون الوافدون في كافة أنحاء العالم
٠٠ استفادوا من خبرات كل المعتقلات الفاشية والنازية ٠٠ وبعد دراسة
لتلك الخبرات ٠٠ توصلوا الى أن التعذيب الجنى والتعذيب بالابادة
الشاملة - ليس وحده كافيا لاستخراج الاسير الى الاعتراف أو الإدلاء
بمعلومات هامة - ليس وحده كافيا لتحويل الأسرى أو بعضا منهم الى عملاء
لهم في وطنهم - أدركوا أن الاساليب الأكثر ايجابية هي تفرغ العقل
العربي من كل المثل والقيم التي عاش لها وآمن بها - وفقويض كل ما آمن
به من مسلمات عن الوطن والدفاع عن النفس والحرية والديمقراطية .

ويدرك القارىء أحداث معتقل « عتليت » انهم كانوا بارعين في بخر
عدم النعم في نفس الانسان العربي ، وتشكيكه في كل شيء ٠٠ في قيادته ٠٠
في انتمائه القومي ٠٠ وتجميل وجه العدوان الاسرائيلي الذي يبيره الدفاع
عن النفس وليس طرد شعب بأكمله من وطنه ٠٠ فهم يعدونهم بكل ما يزرع
فيهم عدم الثقة في كل شيء ٠٠ مستغلين في ذلك المجالات والكتيبات والشائعات
المختلفة المتقنة الصنع ٠٠ وهم يصطحبون أسراهم بعد فترات ترويض
وتخويف نسبية ، في رحلات استكشافية لحياة الانسان الاسرائيلي -
ايهاا للاسرى بحضارة مزيفة ٠٠ ومعانى للتحضر والديمقراطية ٠٠ لا يمتلك
مفاتيحها في المنطقة سوى « شعب الله المختار » .

ولكنهم في بعض المواقف ٠٠ يحدث ما يكشف عورتهم ٠٠ فيحسبون
بانهم قد أخطأوا الطريق - فيغيرون من أساليبهم ٠٠ ويغيرون أيضا
خرائط الرحلات المعدة سلفا -

ويفضح الخطاب من خلال رؤية صديقنا الراوى خرافة الكمبيوترات
الاسرائيلية التي اتخذت مظهرا اشتراكيا ٠٠ ولكنها وضعت أفرادها في وضع
لا يمكنهم الفكك من الأرض والا ماتوا جميعا هاليكن - وبهذا يصبحون أداة
طبيعة في يد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية - يشاركون بالأمر وتحت واقع
الارتباط الاجبارى بالأرض في تحقيق الأطماع الصهيونية في التوسع واحتلال
أرض الغير بالقوة - وقد كشفت أحداث لبنان الأساوية الأخيرة والغزو
الاسرائيلي للبربرى لها ٠٠ أن كلمات الدفاع عن النفس التي طالما تحدثوا
بها لأسرى ٦٧ لم تكن سوى بعض فقائيع الهواء في زجاج مياه غازية ٠٠

ويطرح المؤلف في روايته لأحداث حرب ٦٧ قضية التحدى الحضارى -
تلك القضية التي همس له بها أحد الأصقاء العرب بالناصره - فالتحضر
الاسرائيلي المستورد - لا يمكن مواجهته بحضارة أخرى مستوردة - حضارة
لم تستنبت في واقعنا ٠٠ ولكن من الممكن مواجهتها بحضارة أمة تمتد جنورها

الى تاريخها ٠٠ حضارة تنمو في جو طبيعي - تضع الانسان العربي في مقدمة الشعوب المتحضرة ٠٠ تدرك أسباب تخلفه من فقر وجهل وامية وقدرية وتدفع به الى الامام الى مستقبل أفضل ، يقف بتحد في المواجهة للتحضر الاسرائيلي المزيف ٠٠

ان المؤلف وهو بحق ابن جيل عاش فترة الصراعات الوطنية ، ضد قوى الاستعمار الامبريالية ٠٠ عاش نورة ٢٣ يوليو ومجانية التعليم ، وخروج الانجليز من مصر ونأميم القناة - وبناء مئات المصانع ٠٠ وارتفاع السد العالي وعاش القومية العربية حركة عدم الانحياز - عمل في جيش مصر - وعاش يحلم ببناء وطن متحضر يتطور فيه المد الثقافي والفكري الذي عاش في الستينات من خلال الكتاب والفيلم والرواية والمسرحية والاغنية ٠٠ هو نفسه الذي عاش انتكاسات الثورة وظهرته أحيانا السلبية والخوف .

ان كتاب « خطوات على الأرض المحبوسة » الذي تقدم على نشره دار المستقبل العربي بالرغم من مرور ١٥ عاما على أحداث ٦٧ يوضح الشعب المصري أمام مسؤولياته الحقيقية - فأحداث ٦٧ وما أصاب الأمة العربية بسببها كانت نذيرا بالخطر الذي يهدد المنطقة بأكملها ٠٠ كما ان نتائج حرب ٧٣ لم تنجح في ازالة هذا الخطر ٠٠ فالغزو الاسرائيلي للفيان اكبر استمرار للخطر وبشاعته ٠٠ ولا مفر من اعادة صياغة المجتمع العربي بأكمله ٠٠ وهي مهمة ملقاة على عاتق الشعب العربي كله ٠٠ بحيث يمسك المجتمع العربي بأسباب التحضر الحقيقي بأوسع معانيه التي تتمثل في رفع المعاناة وحرر الفقر والامية والقضاء على السلبية والقدرية ٠٠ مجتمع يخطو بخطى ثابتة نحو آفاق تشيع فيها روح الديمقراطية وتصبح فيها وسيلة للتطور وليست غاية في حد ذاتها ٠٠ حتى يمكن لهذه الأمة بأصالتها وتاريخها وروحها المتحضرة من الوقوف في وجه الخطر الزاحف عليها ٠٠

أخيرا ، لا يفوتني أن أنوه ان هذا العمل التسجيلي الروائي قد كتب باحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة في تاريخ الشعب المصري ٠٠ وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصلبها ٠٠ ويلفحها بالكرباج - حتى تبدو لعينيه الحقيقة المختفية تحت جلده ٠٠

انها لحظة صدق قد نطقن أو نختلف في تفسير بعض ظواهرها ولكنها في النهاية حرية الرأي وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل .

محسن الخياط

١٩٨٢/١٢/٢٠

الفصل الأول

٥ يونيو ١٩٦٧

الفرق بين الانسان والحيوان .. أن الانسان حيوان قادر على التجريد
أي يمكنه ان يحول الرموز الى كائنات .. تولد وتنمو وتمرض وتموت
في بعض الاحيان شئت وكلما كان لدى الانسان القدرة على التجريد كلما
أصبح أكثر انسانية .. وصديقنا الذي سنتكلم عنه كانت لديه قدرات
فائقة على التجريد وكانت الكلمات لديه تحمل مذاقا ورائحة ولونا وشكلا
ترتبط بعلاقات مركبة شديدة التعقيد .. قد يكون لدراسته اثر في ذلك فهو
مهندس معمارى يبني القصور في مخيلته ثم يضعها رموزا على الورق
ثم يراها تنمو وتكمل بالخرسانة والحديد والطوب والزجاج وقد تكون الأحداث
التي مر بها قد صقلته فجعلته أكثر انسانية وأكثر تفاعلا مع الأحداث ..

في صباح هذا اليوم وكان يوم اتمام استرجاع سيناء .. ورفع
أعلام مصر على مدنها الرئيسية عندما قلت له « صباح سيناء » امتلات
عيناه بالدموع وسألني وما هي سيناء بالنسبة لك ؟ ثم أكمل - مساحة
من الأرض الصحراوية يفصلها عن الوادى خليج وقناة السويس وفي احسن
الاحوال مصدر لحديد من المواد الخام !!

كنت أعرف أنه مر بظروف صعبة خلال حرب ٦٧ عندما فقدها فقد
أسر في ذلك الوقت وأغلب الظن أن تجربة الاسر هذه أثرت في تكوينه النفسى
والعقلى والاجتماعى فقد كنت أعرفه من زمن أبعد من ذلك اليوم الذى
جلس فيه معى يتكلم عن أسباب هزيمة ٥ يونيو .. وشعرت بالتعاطف
معه عندما قال أن الهزيمة ليست هزيمة جيش وانما
هزيمة مجتمع .. وتقابلنا بعد ذلك كثيرا ودارت بيننا حوارات عديدة ..

اكمل : يا صديقي هل نمت يوما تحت ظلال النخيل على شاطئ ذى
رمل ابيض ناعم وامامك بحر ذو زرقة شديدة هادئة .. ويتجول حولك
اسراب من الماعز التى ترعى فى سلام .. ان لم تفعل فانت لا تعرف سيفاء .

هل تخفتت فى يوم بحبل صغير فى نهايته شص لبحر كثير المطاء ..
فمنحك اغلى ما عنده من اسماك .. هل شاهدت الفجر من خلال اشجار
النخيل او من خلف جبل و انت تنحرك على الطريق .. هل جلست فى يوم
تشاهد الشمس وهى تستقط فى البحر وتترك خلفها غلالات صفراء تكسو
الافق .. هل عاشرت بشرا يسهون طول الليل حولك يعرسونك لاتك
تهذى من الحمى حتى تشفى .. هل عطشت حتى الموت ثم انخفج الى حطك
سرسوب من اللبن الدافىء من ثدى عنزة وهبت لك الحياة .. هل شملت
رائحة زهور البرتقال تملك من كل جانب .. هذه هى سيناء .. هل حلمت
بالمستقبل وبنييت المدارس والوحدات الصحية والاجتماعية المتناثرة على
مسافات لا تقل عن المائة كيلو بين الواحدة والاخرى وشاهدت الاطنال
والنساء وهن يملأنها .

هذه هى سيناء بالنسبة لى .. ثم صمت قليلا وتابع كلامه فى حزن ..
يا عزيزى - سيناء كانت مريضة .. لقد تركناها وهربنا .. فحبسوها
عنا وحبسونا عنها .. وداسوها بالاقدام .. وعرضوها فى المعارض والمتاحف
والكبريات .. سيناء مريضة وستبقى مريضة حتى نهتم بعلاجها ..
كان يتكلم كما لو كان يحطم .. لقد كان يكبرنا قليلا .. ولكنه كان
يشعر بان هفاك فارقا ضخما بيننا .. وكان يصبر على ذلك ففى تصويره ان
الاحداث التى مرت على العالم ومصر خلال الاربعين عاما الماضية فصلت
الاجيال بشكل تعسفى .. جعلتها بحيث تصبح لعدد اصابع اليد من السنوات
ذات فارق محسوس فى تشكيل البشر وتميزهم ..

ولد صديقنا فى حارة من حوارى القاهرة فى اول ليلة يقصف فيها الالمان
مدينة القاهرة .. ونقلوا والدته الى المخبأ وهى تلده فاستقبل الحياة بين
صرخات الزعر والرعب وطلقات المدفعية المضادة للطائرات والاصواء الكاشفة
واصوات القنابل والانفجارات وكان مقدمه ايذانا ببده الازمة الاقتصادية
فى مصر .. وفى عائلته . وكان يرى الجنود الانجليز يبنطلوناتهم القصيرة

ووجوههم الحمراء وهم جالسون على أفايز شيبايك فكانتهم يقذفون المسارة
بقشر الفاكهة والعلب الفارغة وكان يلحظ بذكاء شديد نفور والده واهله منهم
هو الآخر حتى عندما لاعبه أحدهم وحاول أن يمنحه قطعة من الشيكولاته
رفضها .

وعندما أظى الانجليز هذه التكنات رفعه والده فوق كتفيه ليشاركه
الملك فاروق وهو يرفع علم مصر بدلا من العلم الانجليزي لقد أثر فيه هذا
المشهد كان يقول لنا : أنتم لم تتروا هذا . لقد ولدتكم ولم يكن على أرض
مصر جندي انجليزي واحد . ومع ذلك لم نستطع أن نحافظ على استقلالنا .

قلت له : هل تريد زيارة سينا الان .

قال : وما جدوى الزيارة المهم أن نحافظ عليها . المهم أن نعالجها .
لا أريد أن أرى اليوم الذي يرفع فيه علم آخر غير علم بلدنا على أى جزء
من اجزاءها . هل جلست في يوم على شاطئ القنال وفي مواجهتك علم اسرائيلي
يرغمف على الجانب الآخر ولا تستطيع العبور لتتزعج ؟

قبل قيام الثورة كان صديقنا مازال طفلا صغيرا وكان والده يصحبه
مع ليشهد - الاجتماعات السياسية التي كانت تقيمها أحزاب المعارضة وتعلم
القراءة في صحفها وكان يشترك في المظاهرات التي تندد بالملك والحكم الفاسد
والاحتلال . كان لا يستوعب ما يقال حوله . ولكنه تعلم كيف أنه وفي ظل
الديمقراطية والحرية يمكن أن يتحول البشر الى بشر ايجابيين ولو طاردهم
جنود بلوكات النظام والبوليس السياسى .

• وعندما قامت الثورة . تصور أن كل مشاكل بلده قد انتهت ولم يبق
الا أن يعمل الجميع بجد لبناء الوطن كان متحسا الى أقصى درجة لتأميم
القناة . والدفاع ضد العدوان الثلاثى . وبناء السد العالى . وهكذا عندما
تخرج من كليته كان تصوره أن دوره الاساسى هو أن يعمل وباخلاص وذكاء
تحت راية الثورة في جيش البناء .

لقد كان ابنا للثورة . تعلم تحت مظلة مجانية التعليم وتكونت أفكاره
وعلاقته بالعالم من خلال رحيقها .

سألته : وما تصورك لكيفية المحافظة على سيناء .

رد : دع كل الزهور تتفتح ومائة فكرة نتصارع ... نحن ما زلنا لا ننظر
الا تحت أقدامنا .. رغم أن عصرنا أصبح عصرا للجماهير صناعة الحياة
يجب أن نتكلم لغة العصر .

عندما سألته قائد الكتيبة هل تريد الذهاب لليمن - اجاب : ولماذا ؟؟
ليس لدى اولاد في سن الزواج او زوجة مريضة اريد علاجها او منزل لم يتم
بناؤه واريد استكماله ...

سأله : وهل هذه هي الاسباب فقط ؟؟ اجاب : هذا ملخص الطلبات
المقدمة للمشير بغرض السفر لليمن من مئات الطالبين ...

لقد كان يلاحظ ما حوله من سلبيات ولكن كمادة اهله يطلق النكات فقط
... ولا يقاومها .. وسافر ..
وفي اليمن تعلم الكثير ..

كان اول دروسه عندما سألته زميل أكبر سنا عن طريقة تصرفه في اول
بدل سفر له ... عندما اجاب بانته اشترى نظارة بيرسول .. رد الآخر
يا خسارة كان لدى الامل في جيلكم ثم أردف نحن جيل عاش محروما ومقهورا
بواسطة كرابيج الاقطاع والبشوات فتلفنا أما أنتم فما عذرکم .. كل
الاشياء الكبيرة تبدأ بنتازلات صغيرة ... اليوم اشتريت نظارة فبجلة
فولاعة .. ثم تغير البوتاجاز لانه صغير ثم اللجاجة لان المستورد افضل
ولا مانع من بعض قطع الموازنو. والبساجيد. ثم عربة صغيرة تكبر والشقة
تصبح فيلا ولا تنتهي المصلمات ونحتاج لنقود فتبيع كل شىء حتى نفسك .

كذلك تعلم كيف تفتت الجيش الى قطع صغيرة غير متجانسة ..
وانخفضت كميات اسلحته .. وكيف أصبح الاهتمام الأكبر للرجال هو جمع
أكبر قدر من الاموال من خلال بدلات السفر وتهريب العملة واستجلاب البضائع
المستوردة .. وكيف انحطت الكفاءة القتالية للجيش ..

وفي النهاية أدرك أن القيادة قد وقعت في المصيدة التي نصبت لها لاضعافها
وتشتيتها في حرب اليمن .

ويعود صديقنا محملا بالمهموم ويتحدث عما شاهده من تصرفات البعض في تهريب السجائر والسلع والاستهتار بأرواح اليثير واصدار تعليمات وأوامر غير مدروسة وعفوية ..

سأنته وما لغة العصر .. 11

رد : عندما تكلمنا لغة العصر بعد الهزيمة .. تآن معناها .. حصل خطة واستكمال المعدات ... وتهريب الافراد عشرات المرات وتفهم جيد لمهامهم القتالية . ودراسة الموقف سياسيا واقتصاديا .. ثم التطبيق .. فاستطعنا أن نجبر سد پارليف ونحقق موقفا متوازنا امام القوات الاسرائيلية ان لم يكن انتصارا .

هذه هي لغة العصر .. وما تم بعد ذلك من معارك سياسية انتهت بجلاد القوات الاسرائيلية حتى حدودنا الدولية .. هو لغة العصر .. ولكن هل ستستمر هذه اللغة .. يتوقف هذا على هامش الديمقراطية والحرية اللذين سوف يتمتع بهما الشعب المصرى .. وعلى قدر الحرية ستزيد المبادرة الفردية والجماعية .. قد يستغرق هذا أجيالا حتى نسوى حسابنا مع امراض الماضى ولكن هناك أملا !! أما في غيبة الحرية والديمقراطية .. فلا أمل على الاطلاق ..

يوم عاد صديقنا من اليمن .. كان يمثل مقدمة كتيبته التي تقلصت بعد ترك نصف قواتها في اليمن .. وكانت هناك حركة تنقلات مفاجئة في القيادات أتت بقائد جديد ورئيس عمليات جديد .. اللذين اجتمعا بهم ليحدثاهم عن سياستهما في ادارة الكتيبة .. والتي تتلخص في الحصول على افضل تقدير اثناء التفتيش عليهم من هيئة التدريب .. ولذلك كان عليهم تجهيز فصول للتدريب وملئها بمساعدات التدريب .. ودهان وترميم بناء المسكر واستكمال بعض المنشآت وإهمها بوابة فاخرة وملء نماذج التدريب وتجليد الدفاتر الخ من مهام عديدة تتصل بالظهور بمظهر مناسب أمام اللجنة .

وكان على صديقنا بصفته معاريا يقع العبء الاكبر .. على ان يتم قبل ١٥ مايو ١٩٦٧ وهو اليوم المحدد لزيارة اللجنة . وكان قد تعود على عمله المهام بل اتقنها خلال الفترات السابقة لخدمته لذلك لم يتخمر . حتى كان يوما ينظم مكتبة وحدته يرتبها ويصنفها .. فعثر على كتاب اسمه (كتيبة ومركة)

قصة سوفيتية حاول استطلاعها مقرأ اول صفحة ثم ثانی صفحة ولم يستطع أن يتوقف حتى حضر الميكروباس الذي ينقلهم لمنازلهم ركبه وهو مستمر في القراءة صعد الى شقته وهو مارال يقرأ . . . جلس على أقرب كرسي وظل يقرأ حتى أنهى الكتاب . . . كان يفص قصة كتيبة سوفيتية في الحرب العالمية الثانية أثناء حصار موسكو بواسطة الالمان وكيف أن قائد الكتيبة استلم جنودها رجالا مننيين يملأيسهم المنية ثم كيف دريهم حتى تحولوا الى جنود دخل بهم معركة دفاعية وهجومين . . . يقص من خلال قصة مشوقة للغاية كيف تغلب هؤلاء المنديون على عقبات لا نهائية في ميدان القتال .

وتغير صديقنا ب . أصبح لا ينام . . . يراجع كل افكاره وموقعه من العالم والحياة . . . ويقارن بين ما تم في هذه الحرب وما يتم في الجيش في ذلك الوقت . . . ان الحرب تحتاج الى تدريب وفهم وعلم . . . ان كل ما يعمله الان هو من قبيل الغش . . . غش في حياة أفراد ومصير أمة وشعب . . . عندما حمل افكاره وهمومه لمزلائه . . . سخرؤا منه . . . عندما ناقش قاداته قالوا له اهتم بما هو في اختصاصك فقط .

وكان وكانوا يمللون النفس بأنهم لن يشهدوا حرباً حقيقية في يوم ما .
ولكن للأسف كان لليوم أقرب مما يتصورون .

سألته : ولكن الديمقراطية والحرية تحتاج لشعب متعلم ونحن نسبة الامية لدينا لا تقل عن ثمانين بالمائة .

رد : ليس تقزأ فوق الواقع ولا استسلاماً لتخلفه . . . علينا أن نتعامل مع مجتمنا من خلال واقعنا . . . ان الممارسة والعمل الجاد في الواقع ورفق كفاءة الانتاج عمل يوهى ودؤوب . . . ولكن لن يقوم به الا بشر احرار . . . مزيد من الديمقراطية والحرية تنخفض نسبة الامية . . . هل تعلم ان هذه النسبة كانت ستين بالمائة قبل الثورة .

في يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ أعد صديقنا جنود سريته واستعد للذهاب ليدان النار لتدريبتهم استعداداً للاختبار . . . وذهب ليستأذن القائد فوجده مرتبكا أصفر الوجه . . . ورد عليه بأقتضاب . . . لا تخرج للميدان .

سال : هل ألغى التفتيش .

وكان الرد : لا ٠٠٠ ولكن صدرت الأوامر بفك التخزين واستدعاء الاجازات وكان معنى هذا ان الجيش أصبح في أقصى درجات الاستعداد والطوارئ ٠٠ ساد الكتيبة الوجود ثم انتشرت الحركة فجأة في كل اطرافها ٠٠ ألف أمر وأنف شخص يتكلم ٠٠ الأصوات عالية ٠٠ والاعصاب متوترة ٠

كان عليهم فك تخزين المعدات المعدة للحرب ٠٠ واستكمال نقص العدة ٠٠ وفتحت مخازن الجيش أبوابها لاستقبال منعوبى الوحدات واجتمع الضباط أكثر من مرة وملئت عشرات النماذج الخاصة بالصرف والارتجاع وأعيد الكتابة في دفاتر الهدى ٠٠ وخرجت العربات تزمجر ٠٠ وتصيح السائقون أريد بطارية ٠٠ فردة الاستين نائمة ٠٠

وكان على الكتيبة الانتقال الى مكان الانتشار في خلال ساعتين ٠ وازدحمت العربات بالمهمات والكراسي والخيام والناضد والبضائع المتبقية في الكانتين واخيرا الجنود وسلاحهم ٠

وتحركات الكتيبة الى مكان الانتشار ٠ وأوقفت الاجازات والمبيت خارج المعسكر جلس صديقنا مع زملائه داخل عربة زيل في ضوء فانوس ميداني المطر يهز في الخارج وهم يرتعشون من البرد ٠٠ يشعلون سجائرهم ويبحثون من معنى لكل ما يحدث من خلال الاستماع للمنياع ٠

لا ترجت الا أغاني عادية ٠٠٠٠

كانوا ينسألون ٠٠ هل معنى هذا أننا سنحارب !!

كان احدهم سميذا لالفاء التفتيش ٠ وكان الاخر يحاول أن يجد بجزرا او وسيله للدهاب انزله ٠٠ وكان صديقهنا الوحيد المندهن كيف يمكن أن نحارب ونحن نصف كتيبة فقط ٠٠٠

في الصباح كانت المنارين الرئيسية في الجرائد ٠٠ اعلان درجة الاستعداد القصوى بالقوات المسلحة ردا على حشد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية

سمح لهم بالتغيب ساعتين لاستكمال مهمات كل منهم ٠٠ وفي الشارع ٠٠ كانت القاهرة تميش عيدا ٠ الكل يشجع رجال القوات المسلحة ٠٠ المحلات ترفض أخذ نقود مقابل البضائع التي يشترونها ٠٠

عندما ضمته امه الى صدرها وبكت .. قال لها .. لا تخافى سنعود نورا
... بعد ان نحقق حلم العرب وننهي المشكبة ...

وبعدما تساءل .. ولكن كيف .. ! واصابه الشك !!

وعاد فعلى نفسه بان يكون الجيش المقابل جيشا متخلفا .. ليست قواته
البرئيسية احتياطية .. ان القيادة لابد وان تكون قد درست كل شىء ..
والا كيف تخاطر ..

وتصاعدت الاوامر .. زرحل صديقنا مع وحدته الى سيناء ضمن القوات
التي لا اول لها ولا اخر .. ونشرت في الجرائد صور دخول الفرقة الرابعة
المرعه سيناء ... وكان يعجب .. هل هذه حرب .. أين المرية والمناورة ..
الجرائد على الطرف الاخر تنشر صور الجنود الاسرائيليين يستحسون على البلاج
وصور للمجنذات الاسرائيليات ونحتها جيش العاهرات ... ما هذا ..
من سيحارب من !!

ولفت نظر صديقنا خبر صغير في جريدة الاخبار .. بان القادة الانجليز
يتصحون بضرب المطارات والطيران المصرى أولا ثم قتل الجيش المصرى
في مقبرة سيناء المهجورة .. انها نفس خطة ٥٦ .. ومستحيل تنفيذها مرتين ..

سألته : ما معنى ليس ففرا فوق الواقع ولا استسلاما له ؟

رد : هناك بعض الافراد الذين يندهبون بما يتم حولهم في العالم بعضهم
انبهر بانجازات الاشتراكية النوفيتية والآخرون بانجازات الراسمالية
الامريكية ... وحاول كل طرف استجلاب التجربة وتطبيقها في مصر بدون
تصور لواقعنا الذى نعيشه ما الذى حدث ؟ مزيد من الالم والعنف او السرقات
والفجر .. البعض الاخر تصور ان الاستكانة للتخلف الواقع والعودة الى
التخيم هو الحل ... ومعنى هذا اذساف حركة التقدم والبعض الاخر طالب
بالرجوع الى اخلاق القرية .

ما هى اخلاق القرية تلك التى يتغنون بها ...

وعندما صاحبت القوة فكرة من هذه الافكار أصبحت الضحية هى الحرية
والأمل فى التطور .. اما فى نال الديمقراطية. وصراع جميع هذه الافكار على

أرضيه الحرية وللشريعة فان الديمقراطية والسلفية وكل ما هو غث سيرغض
ويبقى للناس ما يفيدهم .

عقد الرئيس عبد الناصر في ذلك الوقت مؤتمرا صحفيا قال أن أمريكا أموى
دول العالم وهى لن تتدخل أو نرجو ذلك ونحن كفيلون بارجاع الحق لاصحابه
وتأذيب إسرائيل . وعندما سأل أحد الصحفيين الانجليز بأن مرور عشر
سنوات منذ ٥٦ هل أثرت فيه رد : هل تتخيل أننى مثل مستر الخرع .

رشدت أنتباه صديقنا هذه العبارة - ما هذا - هل المشكلة مطروحة على
بسط الجذنه والتمهامة والفتونة . . ليس ممكنا أن تنتهى هذه الاحداث
بحرب لا بد وأنها مناورة لارهاب إسرائيل فقط وارغامها على عدم الهجوم
على سوريا . . .

عندما عبر الى سيناء قال له قائد كتيبة الكبارى وكان قائده السابق
ان شاء الله ستمودون سريعا . هذى مناورة . كان سكان الاسماعيليه يقابلونهم
بالزغاريد والشربات والحلوى والدعاء وكانت العربية تتحرك متوغلة في عمق
سيناء في الظلام تصدر أصواتا رثيية وتبعث الدفء والخدر في جسده
فتدور الافكار وتصططم براسة ثم تخرج تجول حوله . وتعود له توزعه
. . لماذا تم تغيير القيادات قبل الحرب بمدة قليلة - اليمست القيادات
القديمة أبعث للثقة . . !! هل هى حرب فعلا . . . اذن لماذا ينفشرون كل
هذه الصور واتصريحات . . ولماذا الطرف الاخر يجلس في برود يراقب . .
وفي ياس قال لخدمه ماذا سيحدث اقصاعا سوف أوت . . وتذكر قائد
كتيبة ومعركة عندما كان يتول لجنوده . . نحن نحارب لكى نعيش لا لكى
نموت . . ما فائدة جندي ميت ولكى نعيش يجب أن نستعد ونندرب . .
وكان يسأل نفسه ترى هل استعدنا . . هل تدربنا . .

وظيرت في الافق الاضواء الحمراء والبرتقالية ايذانا بظهور الفجر .
وانسغل في متابعة اثار الضوء على الموجودات حوله عن أفكاره حتى ظهرت
الشمس تماما كان جسده قد أصبح جزءا من الربة ولم يعد يشعر بأنه
يسافر وكان الجندي السائق يحواره بتطلعا .

سأله : هل أنت خائف ؟!

رد عليه : لماذا . . ربنا معنا . . ان شاء الله نرهم في البحر .

سأله : ولماذا نرميهم في البحر ؟

رد : دول ولاد كلب كفرة .

وتعجب صديقنا من الرد .. ولكن هذا هو مستوى الاقتناع .. وحاول أن يشرح للجندی القضية ولكنه توقف فقد فات الاوان . وتنبه أنه هو نفسه لو وجه أحدهم له هذا السؤال ماذا سيكون رده . هل هناك أي مبرر مهما كان لأن يقتل انسان آخر أو يرميه في البحر ؟

سألته : هل ستزور اسرائيل بعد الصلح ؟؟

تردد قليلا ثم رد : وهل يتحتم على أن أزور جميع بلاد العالم ؟ ان ليبيا قريبة جدا ولم أزرها والسودان اقرب وأوربا وباقى أفريقيا . عنما وصل صديقنا الى نهاية رحلته وجد نفسه في معسكر خان يسند لاستقبال مندوب هيئة التدريب . . . وبسرعة انتشرت العريات وابتدأت البلد وزرات تعمل في حفر الملاجئ وخنادق الوتاية واقامة الخيام . . . واستغرق العمل اليوم بكامله . . . وكان اهم خبر هو لانتصار القرسانه على الاهلى وتحصولها على الكأس لأول مرة بعد حصول الاسماعيلي على العوري . . . واحدد الاهلويب والزملكاوية . . . وكان هناك مقال في مجلة صباح الخير بقلم محمود السعدني أربع صفحات عن الانتصار العظيم للاسماعيلي . . . استدعى بنض الضباط لحضور مؤتمر يعده المشير عمر بن نير نسيط قيادة الفرقة . . .

وذهب صديقنا لحضور المؤتمر . . . استقبلهم قائد الفرقة الجديد المعين منذ أيام عثمان نصار بتلميحاته قبل حضور المشير . . . لا شكوى . . . لا تلبات . . . نحن مستعدون للتضحية فقط مفهوم . . .

وحضر المشير عامر وصفي محمود قائد الطيران وعبد المحسن كامل مرتجى قائد الجيوش البرية وعديد من قادة الاسلحة والقوات .

(١) هامش : لم يصدر أي تصريح من أي مسؤول مصري برمي اسرائيل في البحر ولقد أكد السيد الوزير محمود رياض ذلك أكثر من مرة في عديد من المؤتمرات وفي هيئة الامم المتحدة ولكن هذا التصريح صرحه الشقيرى في بداية الازمة .

تكلم المشير عن المعركة القادمة بصفتها نزعة عسكرية وطلب من الضباط أيضاً أى استفسارات لهم ...

لم يتكلم أحد .. حسب أوامر قائد الفرقة .

احتد وقال انا عارف انكم بتتكلموا فى الميزات اسمعنى هنا .

احدهم يسأل : ترى هل نحن مستعدون .

اجاب - بالطبع احنا عندنا اقوى طيران فى الشرق الاوسط انتم جبهة

قول لهم يا صحقى قول لهم عن السخوى والتوييلوف ..

رد الاخر : يافندم لن يحتاج المشاة للحرب .. سأنضم للمعركة

ولن يحتاج جندى المشاة حتى لتطهير الخنادق ساطهرها بالطيران .
وخرج الضباط عن قمارهم فصفقوا .

سأل ضابط آخر : يافندم الجيش كله فى سيناء وهذا ما حدث فى ٥٦

ماذا سيحدث لو هاجموا مصر ..

ردت: المشير المضد بمنف بقبضته وقال .. انا المشير غنيد الحكيم

عاهو يقول لنى قمار على حماية مصر وتحقيق نصر فى اليمن وتحقيق نصر

فى سيناء ثم انتصب واقفا وغادر القاعة وهو يبتسم ويقول ان شاء الله

لن يحدث شئ وكان صديقنا فى حاجة شديدة لهذا الرد .. معنى ذلك

ان كل ما يراه فى القوات البرية لا قيمة له .. لان الحرب الحديثة تعتمد

على الطيران والقيادة اعتمدت اتوى طيران فى الشرق الاوسط وشعر بالغيرة

وفى نفس الوقت بالاطمئنان .. وكما حدث له .. حدث للآخرين ..

ولكنهم اعتمدوا على الكلمة الهامسة البتسمة ان شاء الله لن يحدث شئ ..

وابتدأوا يحسبون موعد الاجازة والزيادة المتوقعة للمرتبات .. ومتى سيبدأ

تفتيش هيئة التدريب .

سألته : ولكن اسرائيل ليست اى بلد فى العالم .. لقد زرتها أسبرا

ذليلا .. فهل ترغب فى زيارتها ضيفا عزيزا .

اجاب : لقد قال لنا سكرتير الحزب الحاكم فى ذلك الوقت الملبأى

اأنا اليريم أسرى ولكن بسأنا أم لم نشأ فسيأتى اليوم الذى نصبح فيه

اصدقاء ونزورهم بهذه الصفة . ولكن كيف يحدث هذا وفى اسرائيل وحولها

مليونان من العرب الفلسطينيين مطرودين ومشردين كيف أستطيع ان

أواجه ذا العيون الزرقاء، والذي قابلني هناك .. قد استطيع ذلك يوم أن
تحل انتقضية الفلسطينية ويرتضى الطرفان شكلا مناسباً للعلاقة والتواجد .
صدرت بعد ذلك الاوامر لكتيبة صديقنا بالتحرك الى موقع جسيدي قرب
الחסنة بكيلومتريين .. وجلس صديقنا بجوار سائق جرار ضخّم يصدر
أصواتا عالية وهو يصعد المنحدر في الطريق الى الحسنة .. كانت
الشمس قد قاربت على المغيب ونسمه سواء يارده تهب من الشبّاك
على يمينه بكابينة الجرار .. وكان يشعر بحزن لا سبب له عادة ما يصاحبه
في هذه الفترة من اليوم . بأن الشمس وهي تستقط غاربة في الافق تعلن
أن ييما آخر من عمره قد انتهى .. وما العمر الا ستقطات متتالية لهذه
الشمس في الاذق .. وفي يوم ما تعلن انتهاء حياة الانسان ككائن على
الأرض .. وكان امامه في (القول) عربة محملة بأخشاب لا قيمة لها الا اذا
كانت جوانب مرحاض ميداني .. وكراسي ومناضد وخيام ومكاتب
وجراكن وفوق هذه الفوضى يجلس جنديان لفا حول رأسيهما فوطة كاكي
اتقاء للبرد . أحدهما يشعل سيجارة ويستند على كرسي . عندما فقق صديقنا
فيه انفجر ضاحكا فلقد كان كرسيه بثلاث أرجل فقط . عندما لفت نظر السائق
الضخم له .. تسأل باستغراب - والنبي يافتدم اللباس دي ضالعة
تجارب بكرسي بثلاث أرجل .. استمر الآخر في الضحك ثم علق .. عوده
حيهملوا ايه .. ولكن الموضوع لم يكن بسيطا عند صديقنا هكذا
اذ من الأحق بالمكان في العربة جندي يجلس مرتاحا أم كرسي بثلاث
أرجل ؟؟ . لماذا نحتقر الانسان هكذا ؟؟ لماذا نطلب من ذلك الجندي أن
يحارب وهو راقد فوق كومة دن النفايات . الا نستهلك جنودنا هكذا بهذه
الطريقة الأبدائية الوحشية ..

واسترسل في افكاره .. هل كل هذا العناء وكل هذه الضجة من أجل
الضغط على اسرائيل .. لا بالتأكيد انه للضغط على مصر .. فحرب
اليمن وهلت الى قمة مشاكلها .. والاسعار في ارتفاع مضطرد والمشاكل
الداخلية تهز البلد هذا وهذه الحرب الصليبية ضجة من أجل الهاء الجياع
عن شكوى بطونهم . وهكذا تعودنا عندما تتفاقم مشاكلنا الداخلية نطلب
النصر في الخارج ..

يوم الانفصال السوري .. انصرتنا بثورة اليمن ودفعنا بقواتنا
اليها وقطع السائق تسلسل افكاره بسؤاله .. ياافتدم هل لليهود يعرفون

أين نحن الآن .. أتصد هل يعرفون أننا متجهون الى الحسنة . (ان الخوف الاسطوري من العدو قابح في نفوسنا .. رغم كل أساليب الدعاية) .
رد صديقنا - بالتأكيد ان اليهود بشر مثلنا ولهم امكانيات لا تقل عن امكانياتنا وبالتأكيد هم يعرفون ماذا يحدث كما نمرف ماذا يفعلون فالاستطلاع والمخابرات هي اعين وآذان الجيوش ويجب ان نذرك وتحن مبصرون والا وقعنا في اول بالوعة فاغرة فاعها ...

سألته : ولكن ما هو تصورك للحل العادل للقضية الفلسطينية .

اجاب : لا يوجد عادل أو غير عادل . نحن في مواجهة تحدى حضارى اما أن نقبله ونكون ... أو نتجاهله ونزوى .. وفي حالة قبولنا للتحدى وتطورنا .. لن تصبح هناك تصايا شكلية .. الاسرائيلى يقول ماذا نفعن بالأرض ان مصنع ساعات صغير يدر ارباحا وعائدا يوازى مئات الاف . المزرعة والاف الافدنة غير المزرعة .. اذا امتلك العرب عناصر التحدى الحضارى اى امتلكوا لغة الضر . وطوروا امكانياتهم واستقلوا أفضل استدلال فستقوب اسرائيل داخل الامة العربية كما ذاب اليهود دائها في وسط المسلمين والمسيحيين طول التاريخ .. ان امتلاك العرب للغة الحضارية سينزع من اسرائيل اشواكها ومخالبها المثلة في تكوينها الاستعمارى ولكن هل نحن لدينا الثقة في أنفسنا .. اذا ابتدانا فالزمن في صالحنا

استقرت وحدة صديقنا في اليوم الأول من يونيو ١٩٦٧ قرب الحسنة وابتدأت باقى القوات تتمركز في مواقعها .. استعدادا لمركة قد تحدث اولا تحدث وكادت اولى المهام التى أوكلت الى صديقنا مشاركة مجموعة استطلاع الفرقة في تحديد واختيار اماكن الاحتلال للواءات التابعة لها .
ممثلا لوجهة النظر الهندسية .

كان مكان اول اللواءات وهو اللواء ١١٨ سهلا فلقد كان عليه ان يحمي المنطقة من المدق التركى (وهو طريق كانت تستخدمه القوات التركية في حركتها) الى طريق الحسنة القسيمة . لذلك انطلق في ثلاث عزبات جيب قائد الفرقة ورئيس الاركان ورئيس العمليات وقادة اللواءات ورؤساء اركانهم وضباط العمليات وصديقنا الى منطقة عمل اللواء وحدد مكان

الكتائب ونقط الاتصال مع اللوات المجاورة ... الخ . كما لو كان الامر يتصل بتدريب او مناورة عادية ..

وفي اليوم التالي ٢ يونيو ثم تحديد مكان اللواء ١٢٠ اى اللواء الثانى وكان قائده عميدا احتياطيا اسمه العميد بركة رجل كبير السن طيب الى درجة كبيرة وابعد ما يكون لان يصبح قائدا للواء فى المواجهة حتى ان ضباطه كانوا يسمونه (الضرب من الحركة للعميد بركة) وكانت منطقة عمليات لوائه فى مكان موحش يسمى وادى خرم ولم يكن يعرف مكانها الا قائد استطلاع الجيش وفى محاولته للوصول اخطأ الطريق اكثر من مرة .. حتى اصبح من الصعب لغيره الوصول ثانية خاصة انه فى طريق عودته عاد من طريق اخر مختصر يمر من خلال مجرى سيل جاف متشقق ولا يصلح لمرور العربات الا الصغيرة جدا ..

١٠ فى اليوم التالى ٢ يونيو طالب رئيس الفرع الهندسى من صديقنا قيادة مفرزة قاصدين تحرك لتعليم وتفتح الطريق لتحرك اللواء ١٢٠ لاحتلال مكانه .. وعندما واجهنا صديقنا تبانه لا يعرف طريق الوصول هذه الاخر بأنه سوف يلحاقه ..

واختار صديقنا هل يقبل المهمة ويضلل لواء كامب خلفه ولعله ينجح عن طريق التجربة والخطأ .. ام يقول ويصر على أنه لا يعرف .. ومن قال لا اعرف فقد اتمى حتى ولو حاكمه رئيسه .. واختار الحل الاكثر شرفا .. ان يقول لا اعرف ويصر عليه ..

أخذه رئيسه الى العميد بركة يستوضح الموقف .. وعندما قال له العميد « والله يا بنى له حتى أنا نفسى معرفش أوصل ... ده دوخنا اصبارح » تحرك رئيسه بعصبية وتمتم « يا سيادة الرائد عليك أن توصلهم » ثم ركب عربته وانطلق ..

جلس صديقنا بجوار رئيس مهندسى اللواء مهموما يفكر ماذا يستطيع ان يفعل ... وعندما أسر ذلك لزميله .. احتاج الاخر .. وابتدأ يتشكى

مما يراه حوله .. وبهت صديقتنا من الموقف المتردى الذى عليه الجيش فقد اتضح انهم استدعوا الاحتياط على عجل وبملايسهم المدنية ووزعهم بغض النظر عن تخصصاتهم السابقة على الوحدات الأعبى من ذلك انهم احضروهم بواسطة عربات كتيبة النقل ثم سحبوا العربات وتركوا الجنود بدون اسلحة كافية او حتى مياه للشرب .. واصيب بالثقل فتحرك فى اتجاه العميد يستنجد به لعل زميله لا يعرف كل الحقيقة .. عندما سأل كيف منتقلون .. فاجاه الاخر باعطائه قطع من الجيلاتى احضرتنا ثلاثيات ضخمة من القاهرة ترفيها للجنود العطشى .. وقال اولاً نأكل الجيلاتى وبعد ذلك نتقاهم .. ثم اردف .. سيحضرون لنا عربات كتيبة النقل لتوصيتنا قل لى والغبى يا بنى من أين سنحضر المياه .. يقولون ان غداك بثرا .. هل رايته؟؟

قطع عليهم الحديث وضوا قائداً الفرقة وضابط استطلاع الجيش الذى نادى على صديقنا فى يا يشونجس هات معدتك واتبعنى ..
افتح الطريق وعلمه لعربات اللواء ..

.. سألته : وما بعد الاستقلال ..

أجاب : فى اللغة العربية عندما تضع بعض الكلمات بين قوسين بمعنى ذلك أنها جملة اعتراضية لتصبح موقف ويمكنك قراءة الجملة متجاهلاً ما بين القوسين .. ما حدث منذ ٦٧ يمكنك ان تضعه بين قوسين وتكمل الجملة .. قبل ٦٧ كانت الجملة هى كيف نتغلب على أزمة اقتصادية حادة كيف نعمل ؟ كيف نواجه عالمنا متطراً ؟ ويتطور بسرعة أكبر .. كيف نقود الطاقة لصالح شعوبها وشعبنا ؟ لتحتل المكان المناسب لها وقطعت هذه الجملة بحرب واحتلال واستنزاف وحرب ومفاوضات وصراع .. والان علينا ان نكمل جملتنا كما كان يجب ان نكملها منذ خمسة عشر عاماً ..

كانت الرحلة مرهقة الى أقصى درجة .. فان وادى خرم ان لم تكن تعرف أرض زراعية أهملت لمئات السنين .. فجفت ونشقت .. واصبح أى خدش لها يثير أثربة ورمالا سائبة .. ولعمل طريق حتى ولو مؤقت يستغرق شهوراً .. لذلك اكنفى صديقنا بتعليم طريق بواسطة طرف سكيمة الجريد ليكون علامة للعربات فقط وكانت العربات تتبعه فتزيد من نبش الرمال حتى أصبح من المتعذر ان تتحرك بسرعة أكبر من ٢٠

كيلو متر ساعة وبصعوبة .. وزعقت موثرات العربات .. أثارت خلفها
عواصف من ارماس السائبة .. وتصايح الجنود الملقن فوقها .. ونحول
وادی خرم الى سيرك ... فوضى شاملة كاملة .. وفي نهاية اليوم حوالي
الخامسة .. وصلت القافلة الى عايتها ... بحث قائد الفرقة عن صديقنا
... اجاط كتفيه بساعده ثم اشار الى مجرى السيل الجاف ... وطلب
منه فتح طريق عرضي عبره ليحرك عليه المدفعية التي حتما ستتجز عن
الحركة خلال الطريق الذي اتوامنه .

كان الرجل يتكلم بصوت هادى أبوى .. وقد حاول أن يكسر حدة
التعليقات المسكرين الجافة ... وأثر ذلك كثيرا في صديقنا .. فهو
كبتية شعبنا يمكن أن تسلب منه حياته بالكلمات الرقيقة التي لم يتعودها ..

عندما سأل قائده عن خريطة يتحرك من خلالها ... قال له الآخر ..
لا توجد الا واحدة .. ولا يستطيع الاستغناء عنها انما الطريق المطلوب
في اتجاه النخلات البعيات .

ذهب صديقنا متحمسا وطلب من جنوده انزال البلدوزرات من فوق
المقطورة ليبدأ فتح الطريق ...

ولكن لماذا ستكون وحدة صديقنا اكثر تنظيما من الآخرين !!

لقد همس السائق في اذنه ... بأن الرديراتير مخروم ولا يوجد معه
ماء ..

وكاد أن يصيح فيه ... وكاد أن يقول له مثل رئيسه « تصرف »
ولكن ماذا يفيد كل هذا ... كان عليه أن يتأكد من سلامة معداته قبل
أن يتحرك بها .. وكان عليه أن يتأكد من وجود ماء ...

وعاد لقائد الفرقة حزينا ومثوترا فوجده رائدا على الارض ينظير
الى السماء يتأمل ... عندما لاحظته سأل « مش حتمذر ... طيب بكره
ان شاء الله تحضر معدتك وفتح الطريق » .. وبأحساس بالذنب أجاب
صديقنا فورا وبدون أى حسابات « لا نيا أفندم انشاء الله سيفتح الطريق
اليوم » وعاد الى رجاله يفكر كيف سيوفى وعدا قطعه على نفسه بدون
تفكير أو حساب .

كان جنوده يشعرون بمدى الحرج والاحباط اللذين تسببوا فيهما لقائدهم فجلسوا واضعين أيديهم تحت رؤوسهم في انتظار الفرج . . . وكان قد توصل الى خطة ابتدائية بأرسال عربة محملة بجراكن مياه الى الحسنة فتملاها وتعود بها حتى ولو كانت الساعة العاشرة مساءً فبدأ العمل في الصباح .

ولكن رقيب سريته عاد مهللاً . . . كما لو كان أرشميدس ينادى لفيناه يافنم . . . لفيناه . . . فلقد وجدوا بئر مياه على بعد أمتار . . . اندمعوا جميعاً في فرح حقيقي تجاه البئر . . . ولكن كيف . . . !! كيف يحضرون المياه منه . . . وتفجرت طاقات لم تكن في الحسبان . . . فك سائق حبل شبكة التمويه . . . وأحضر آخرون جراكن ربطات بالحبل وملأوا كل الجراكن بالمياه . . . وفي وسط الفرخة . . . تنبه صديقنا الى أن الوقت يجري وستنيب الشمس بعد مدة قصيرة . . . ولن يستطيع تحديد اتجاهه . . .

أخذ رجانه وتحرك بسرعة في الخرج ينثرهم ويبين كل واحد وآخر حوالي مائة متر . . . في الاتجاه الذي حدده له قائد الفرقة . وبعد دقائق دار البلحوزي وعلى ضوء كشافات العربات والجرارات أزال التربة المكسرة في عرض مجرى السيل . . . ساعات . . . ساعات . . . وساعات . . . حتى وصل الى آخر جفدى . . . ولم يظن طريق التسمية الحسنة كانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحاً . . . قسم جنوده الى قسمين احدهما مستتبقظ للحراسه وآخر ينام . . .

ظهرت الشمس ثافية . . . راضات المكان . . . لم يتعجل في يوم ظهورها كما تعجله في هذا اليوم . . . ولم يفرح بالضوء قدر فرحه بهذا الضوء . . . لقد كان الطريق على بعد أمتار منه . . .

في التاسعة صباحاً كان صديقنا يقف أمام خيمة القائد . . . وكان قد انتهى من ارتداء ملابسه . . . ابتسم وسأله . . . هل ستذهب لفتح الطريق يا باشمهندس . . . رد الآخر . . . لا . . . بل أنا عائد من خلاله . . . صحبه قائد الفرقة معه الى ميز الضباط القادة . . . لتناول انطازه . . . بعد قليل حضر رئيس المهندسين نظر له بغضب ثم همس . . . ما الذي أتى بك هنا . . . الم اقل لقم الا تتصلوا بأحد الا من خلاي . . .

انقذه قائد الفرقة وقال : الحقيقة الباشمهندس قام بعمل رجولي لقد فتح لنا الطريق العرضي ويمكننا أن ننقل المدفعية اليوم . . . من فضلك وجه له خطاب شكر بأسمى على كتيبته .

غير رئيس المهندسين لهجته وعقب على كلام القائد « في الحقيقة هو ضابط ممتاز » خارج الميز كان يقف قائد الكتبية عندما شاعر صحبتنا في صحبة رئيس المهندسين بادرة « ايه يا بنى انت كنت فين !! .. هو فيه نسران هنا والا ايه » .

رد رئيس المهندسين بعد ان وقف انتباه وقال :

يا سيادة المقدم يشرفنى ان ابلفك بان قائد التفرقة يقدم شكره لسيادة الرائد والكتبية على العمل الرجولى الذى قامت به سريره في فتح الجاريق العرضى لتحرك المدفعية .

رد قائد الكتبية « وأنا كمان يا فندم سألته بنفسى لاصلاح للطريق الآخر » رد الآخر « لا المهم احضار حفار الخنادق من اللواء ١١٨ ونقله الى اللواء ١٢٠ - في حرم » .

سأته : ولكن ما تم خلال خمسة عشر عاما لا يمكن أن يوضح بين قوسين . لقد كان له تأثيرات ايجابية وسلبية في كل شيء .

اجاب : عندك حق .. ان الاطفال الذين ولدوا في ٦٧ أصبحوا الان شبابا .. والشباب أصبحوا في منتصف العمر . ولكن المشكله مازالت قائمه التحدى المطروح مازال قائما كيف نستطيع ان نجتاز الهوة الواسعه بين عالم متقدم ويتقدم بسرعة فائقة وبين توقفنا .. لا تهتم بأن الجارى والمياه والطرق والكورباء والتليفونات .. الخ . تحتاج لاصلاح .. فهذه سيتم اصلاحها .. ولكن الانسان نفسه هو موضوع التحدى يا صديقى .. كيف يعيش .. كيف يفكر .. كيف يعمل .. ما هي قيمه .. ما هي علاقته .. الانسان المصرى خلال الازمه تشوه كثيرا ولكنه أيضا احتمال كثيرا وفي استطاعته مع التنظيم أن يخلق المعجزه .. الانسان المصرى لا يقل عن الالافى او اليابانى الذى استطاع بعد الحرب العالميه ورغم اقتصاده المدمر والتشوهات الواضحه التى حدثت له أن يخلق المعجزه ..

- عندما عاد صديقنا الى وحدته وجد رئيس العمليات يطلبه .. فلقد
أحضروا لهم مائتي جندي احتياط يثيرون الاضطراب في كل شيء ..
وطلب منه ان يقول لهم كلمتين ليسكنوا .. اليس مسئول التوجيه المعنوي
بالكتيبة . جلس بينهم يتأملهم كلهم تجاوزا الثلاثين .. رجال مدنيون
رغم الاوفروات الواسعة التي يرتدونها . تابلوه بعاصفة من الطلقات ..

المهامية يا سعادة البيه .. القضية يا سعادة البيه .. قضيته فنل
.. مراتي بتولد .. امي بتموت ..

ظل ساكنا حتى انتهوا وصمتموا .. اطل فترة سكوتة مسنعيها
بالسلطات التي منحه اياها المشير عامر يوم وضع على كتفه رتبة العسكرية .

أخيرا قال لهم بصوت هادئ .. هل تريدون ان تحاربوا !!

ردوا في صوت واحد .. آه .. آه .. نموت في سبيل فلسطين ..

رد متحيلا نفسه قائدا (كتيبه ومركبة) .. لماذا تموتون .. جندي
ميت لا قيمة له ثم صمت قليلا وأكمل من يستطيع منكم ان يرض لهما ؟ ..
لم يرد أحد - من عمل في سرية طروق ؟ .. من حفر بالمفرقات ؟ .. لم يرد
أحد - أكمل .. حماسكم أكبر من قدراتكم .. وبالتالي فالعمل العظيم
الذي تستطيعون ان تقوموا به هو ان تتركونا نعمل ولا تزيدوا مشاكلنا ..
الأكل سنحاول ان نقسمه .. الماء سنحاول ان نحضره .. ولكن أرجوكم
تذكروا ان حماسكم أكبر من قدراتكم وعليكم ان تقوموا بواجبكم بان
تتركونا نعمل بهدوء ..

الشيء الغريب بعد ذلك أنهم قاموا بواجبهم وتكون منهم ما يشبه
الحكم الذاتي وظيفته المحافظه على العهد الذي قطعوه على انفسهم ..

كانت مشكلة الجنود الاحتياط سهلة .. ولكن الأكثر صعوبة كانت
الضباط الاحتياط الذين انضموا الى الكتيبة لتعويض نصفها المفقود في
اليمن .. لقد كان معظمهم قد حضر سيناء لأول مرة وبعضهم ذات - ايس -
مدة طويلة عن القوات المسلحة .. كاساتذة في الجامعة .. أو مسئولين
بوحدات مدنية .. وكان كل منهم يحمل في يده لسيناء خريطة صغيرة

مرسوم عليها الطريق الأساسية . انتفوا حول صديقنا يسألونك عن تفاصيلها . عندما طلبه قائد الكتيبة وهو مذعور . ان قائد الفرقة يطلبك بالاسم لأمر هام أسرع لمقابلته .

قال له : أنا انضيتك لهذه المهمة للأسباب الآتية أولا : لانك موثوق منك ويعتمد عليك + ثانيا : لانك تعرف الطريق جيدا . ثالثا : لانك مهندس . . . ستذهب لخرم هناك احتل اللواء ١١٦ بدلا من اللواء ١٢٠ الذى سجنهنا ولقد وصلوا منذ ساعات فقط ستقابل العميد خيرى قائد اللواء وستقول له ان سيادة المشير سيحضر باكر ٥ يونيو صباحا للتحقيق على التجهيزات الهندسية وديفاعات اللواء + وبإشارة تعد ثلاثة مطارات لثلاث طائرات هليكوبتر في مكان ظاهر تحيطه بالجير الابيض كى تنزل الطائرات فيها لا تناخر الساعة الان الساعة يجب ان تصل قبل التاسعة .

خرج صديقنا مندهشا . . كعادته في هذه الايام . . كل الاشياء اتى حيا . . نبر مذبذبة . . كيف يسحب اللواء ١٢٠ ويحتل مكانه ١١٦ رغم أن الأول لم يمرض على احتلاله لموقعه أكثر من ساعات . . . يفتش المشير على لواء لم يمرض أكثر من ساعات على احتلاله لموقعه .

ولكن عليه أن يبلغ الرسالة . . فما ادراه . . قد تكون هذه هي طبيعة الامور . . والانسان الذى ينظر للتفاصيل قد لا يرى الصورة العامة جيدا - جمع مجموعة من الجنود في عربة ومعهم مهماتهم . . وتأكد في هذه المرة من أن المهمات كاملة . . . واتجه الى مقر اللواء ١١٦

الطريق في الصباح لعنة . . فما بالك ليلا . . والحركة في الصحراء بدون خريطة أو اضاءة معجزة حتى لو كنت تعرف المكان فما بالك وهو لا يعرف أين احتل اللواء الجديد مكانه . .

تحرك في الطريق المعروف لديه حتى وصل الى نهايته وهناك ظل يدور بالعربة في دوائر ضيقة لساعات - ديدة .

وفي كل لحظة يوقفه جنود الحراسه . . ويسألونه عن كلمة سر الليل التى هي كلمة خاصة بهذا اللواء ابتكرها على عجل . .

دخل السريه الطيبه وسرايا الخيمة .. حتى عثر على سرية المهنسين
بإصطفة .

كان قائدهما صديقا له .. قابله بالاحضان . عندما عرف مهمته
نصحه بأن ينام حتى الصباح .. ولكن الاخر كان لا بد وأن يبلغ الرسالة
.. دله صديقه على المكان التقريبي لقائد اللواء وهناك اوقفه جندي الحراسة
اثبتت .. طفى النور .. خلمه .. النبل عايز مين .

- سيادة العميد خيرى .

- نقوله مين .

- ضابط من طرف قائد الفرقة .

وجه حديثه للعربه - يافندم - يافندم .. سيادة الرائد عايزك ..

صوت أجش من داخل الدريه .

- عايز ايه .

- أنا يافندم ضابط من طرف سيادة قائد الفرقة ومعى رسالة .

يرد من المداخل ايه الرسالة .

- اكلم سيادتك لانها سرية جدا ..

يستيقظ بتأفف ويصمى نور البادوس ويفتح الكبوت من الخلف .

فيظهر فى الضوء الخافت شخص سمين جدا . أسمر - شرس ..

- ايه ياسيدى الرسالة السرية جدا اللي جاييها الساعة اتنين . دى

- سيادة المشير سيحضر باكرا للتفتيش على تجهيزات الدفاع

الهنسى .

- وأنا حمل ايه الساعة اتنين (وكانما شعر بأنه تجاوز فأردف)

طيب اتفضل أنت ... علم ياسيدى .

ادى صديقنا مهمته وأنهى قلقه .. وترك الاخر ساهرا .

فى الخامسة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ومع ظهور أول ضوء للشمس

يسمح لصديقنا بتمييز ما حوله .. وقف فوق ظهر عربته .. وحدد أماكن

ظاهرة تستطيع أن تنزل فيها الطائرات .. وكون ثلاثة مربعات تصلح

الى خيمة صديقه قائد سرية المهندسين فوجدهم يعدون العدة لرص
الى خيمة صديقه قائد سرية المهندسين فوجدهم يعدون العدة لرص
حقول الغمام في مواجهة اللواء الجديد ١٠٤

بعد قليل هبطت طائرة في مكان من المطارات الثلاثة لتتأكد من صلاحيته
قبل حضور المشير ٠٠ ثم عادت ثانية ٠٠ وجلس صديقتنا مسترحيا
قبل أن يستعد للعودة ٠ كان يفكر ٠٠ وهكذا كانت نظرتة ضيقة للامور
عندما اعترض على احتلال اللواء ١٢٠ - الاحتياطي للموقع ٠٠

ان هذا اللواء بالتأكيد افضل كثيرا ٠٠ وقطع عليه سلسلة تخيره
ضابط يدخل مندفا الى الخيمة ٠٠

مسمعتوش وقعنا عشرين طائرة ٠٠

- اية

- وقعنا عشرين طائرة اسرائيلية ٠

- مين ٠ ٩٩

- احنا ٠

- مين ؟ !

- في مصر ١١

- امتي ٩٩

- الان ٠٠٠٠

- مين قال كده ٠٠

- في الاذاعة ٠٠٠٠ فتح الراديو بسرعة ٠

كان صوت المذيع يججلج ٠٠٠ وقعت اسرائيل في المصيدة ٠٠ هذا
يومك يا عربي ايها المواطنون ٠٠ [استمع بانتباه شديد ثم التفت لصديقه] ٠

- معنى كده ان القاهرة دمرت ٠٠٠

- ليه ٠

- توقع عشرين طائرة في اول موجة ٠٠ معناه انهم هجروا بمئات
طائرة على الاقل ٠

- آه .

صیحات من الخارج والجنود يرتصسون بقوا اربعين يافندم .
عواطفه تغلب على عقله ويبكى . . اربعون . . اذن شبكة الصواريخ قامت
بالواجب . . احتمال الاصابه ٩٠٪ في روسيا لو الضابط لم يصب الطائرة
بالصاروخ يعدمونه . . هكذا يقولون . . !!

- يرد صديقه - ياعم ده كلام اذاعة تلاقيمهم عشرة او خمستاشر .

يدخل رئيس المهندسين مهرولا . . وبدون تحية . . يسأل صديقنا -
أين قائد الكتيبة . . خرج منذ الصباح لاحضار حفار الخنادق من اللواء
١١٨ ولم يحضر حتى الان

طائرة منخفضة جدا تطير فوق الوادي . . طائرة ميراج اسرائيلية . .

اسميد خيرى يهرول ويشتم . . كل العربيات تنتشر . . انتشر . .
هد الحيه دى . . حاس صرنا جدا ونقل قوته للاخرين . .

ويعود صديقنا الى كتيبته من الطريق الذى فتحه بالامس . . .
المدافع المضاده للطيران فى حالة تأهب . . طلقات متياعده تسمع من بعيد . .

فائد الكتيبة يقابله . . ويسأله : الم تر الحفار .

يرد : حمار أيه يافندم الحرب قامت . . .

الفصل الثاني

الحرب

سالت صديقنا : هل تتصور أن تقوم حرب أخرى مع اسرائيل . .
أجاب : كل شيء ممكن . . دعنا اولاً نحلل أسباب الحروب ومنها
نستطيع الاجابة على سؤالك . . في الغالب يكون سبب الحرب هو فرض
ارادة سياسية واقتصادية من طرف على طرف آخر . . فخلال صراعنا مع اسرائيل
. . قبل ٤٨ وأثناءها . . كانت مجموعة من الصهيونيين يحاولون عمل
وطن قومي لهم يهربون فيه من اضطهاد دول العالم - كما يقولون -
لهم . . أى فرض ارادة سياسية . . تطور هذا الموقف بعد ذلك عندما عرضت
اسرائيل نفسها على بريطانيا كأداة لحماية مصالحها بمنطقة الشرق الأوسط
وتأمين قناة السويس . . ثم على فرنسا . . لضرب ثورة الجزائر عن طريق
كسر شوكة مصر . . وفي ٦٧ كانت الحرب هي فتويج لخطة امريكية هدفها
الانتهاء على الروح والخط الثورى المتحرر في المنطقة والذي كان يقوم
عبد الناصر . . في البداية استهلكت القوات المسلحة في اليمن ثم هدت
الاقتصاد القومى بالمقاطعة والحصار . . ثم أكملت على ما تبقى في حرب
٦٧ . . لتفرض ارادتها السياسية والاقتصادية على المنطقة . . ومن جهة
أخرى فان الاقتصاد المصرى والرأسمالية المصرية . . هما المنافسان
الوحيدان والمطلان لتقدم الرأسمالية والصناعة الاسرائيلية
وتفعلها في أسواق المنطقة . . حرب ٧٣ كانت رفض الاستسلام للواقع
الذى فرضته اسرائيل وامريكا . . وفي جوهره بالطبع فرض ارادة . .
سياسية . . أهداف اسرائيل من الصلح هو التجارة أولاً وأخيراً . . وهم
لا يفكرون ذلك . . أى التغلب على الازمة الاقتصادية الاسرائيلية عن طريق
سوق يضم مائتى مليون عربى . . في المنطقة . . ان لم تحقق امريكا
واسرائيل أهدافهما . . فستقوم حرب . . ولكن هل يوجد عاقل واحد
في مصر يستطيع أن يغامر بكل اقتصاد البلد بدخوله معركة أخرى . .

أنظر يا صديقي قناة السويس .. كل البترول المكتشف في مصر ..
اصلاح الأراضي والزراعة .. السيلحة .. المواد الخام .. كلها اليوم
في منطقة ميدان المعركة التقليدية .. من الذى يستطيع أن يدمر اقتصاد
مصر بتعطيله قبل واثناء وبعد حرب مهما كانت اعدائها أو أسبابها ...
عاد صديقنا الى كتبيته .. اذن فقد بدأت المعركة وقبالت اسرائيل
التحدى بدلا من أن تقبل الضغظ عليها وتسحب حُودعا من امام سوريا ..
وانقطعت الاخبار .. ترى ما الذى يحدث الان .. الشمسى في كبد السماء ..
ولا توجد سحابة واحدة .. والارض لم تتغير .. والبشر يتحركون يبحثون
عن المياه والأكل ...

ومن الراديو يأتى صوت أم كلثوم .. جيش العروبة يا بطل ..
الله معك .. ما اشجعك ما ارويك .. يشعر بأنزعاج من كلمات الاغنية
ولحنها ... ما الذى حدث .. أين أغاني ٥٦ .. الشعب بيزحف زى النور
.. الشعب جبال .. الشعب بحور ..

رقد على سريريه يفكر .. ترى كم طائرة هاجمت القاهرة .. وترى
هل زد طيرنا بنفس القوة .. وكم طائرة سقطت لنا .. في صباح ابوم
التالى .. كانت الامور هادئة .. اين الحرب لا شيء الا بعض الاغانى
والتعارات والديانات وفي صوت اسرائيل كان ليفى اشكول يقول لجنوده
.. معكم السلاح ولديكم القيادة المربة جيدا .. ولقد تدريبتم واسوعبتم
دوركم وما عليكم الا ان تدافعوا عن انفسكم وتنتصروا لتعيشوا .. ومن
القاهرة كان أحمد سعيد يقول .. كلها دقائق ونصل تل ابيب .. سنسئق
موسى ديان على أقرب شجرة .. افتلوهم .. اذبحوهم .. انه يوم
العروبة .. الجيش الاردنى في المعركة .. الجيش السورى في المعركة ..
الجيش الكويتى في المعركة .. الجيش .. الجيش ..

رئيس الفرع الهندسى يخرج مهرولا ومعه قائد السريه الاولى ليرص
الغاما أمام اللواء ١١٤ (اللواء الثالث فى الفرقة) ويعود ثانية ليطلب من
صديقنا الذهاب الى قيادة الجيش لاحضار خطة نصف الطرق من رئيس
مهندسى الجيش العميد « عبد الستار مجاهد » فى قيادة الجيش التى سم
اعداها فى خمس سفوات تحت الأرض لتتحمل انفجار قبله ذريه فوقها
مباشرة كان العميد عبد الستار يجلس أصغر الوجه جأظ العينين ..

أمامه قروصتا سجائر كليوباترا والطنفايات ممثلة بأعقاب السجائر ..
وحوله مساعدوه .. عقداً ومقدمين ورواد

سأل صديقنا : هل أنت قادم من الحسنة .. هل يضربونها الان
بالطيران .. عندما أجاب صديقنا بالنفي .. رد الآخر : الان يضربونها ..
انتظر قليلاً .. كان حوله في غرفة العمليات معلق خطط الجيش ملونة
بالأحمر والأزرق والأسهم والاشارات تكدد أماكن القوات وموقف العدو ..
وكان صديقنا يتأملها .. عندها دخل أحد الرواد قادماً بأحدث المعلومات ..
- لقد اخترقوا الخط الدفاعي الرئيسي وسقطت العريش وبئر لحن
وأبو عجيلة ورفح والشيخ زويد ..

وذهل صديقنا انها أول معلومات حقيقية يعرفها عن الحرب ..
معنى ذلك ان الاسرائيليين في طريقهم الى مواقع قواتهم في الحسنة اذا
استمر الموقف هكذا فستكون المعركة في اليوم التالي .. أى ٧ يونيو ..

ركز عينيه على الاوراق .. أين هذه القوات وأين الهجمات المضادة
.. لقد كان بناء على ورق .. ومن الورق .. انهار مع أول نسمة هواء
.. وتجمعت كل الخفائيش تصدده في الظلام .. شريط بدأ بانكرسي دى الارجل
الثلاث .. وخطب المشير على المنضدة بقبضة يده .. واللواء الاحتياطي
المهمل بدون مياه أو حتى عربات .. واللواء الآخر الذى احتل أماكنه خلال
ساعات .. وقائد كتيبته الذى مازال يبحث عن الحفار .. وكانت العربة
تتحرك به بعيداً عن قيادة الجيش في اتجاه الحسنة .. وكانت سحابات
الدخان تتصاعد من المواقع القريبة من وحدته .. وهكذا يعمل الاسرائيليون
يكونون بالطيران ثم يهجمون بالمدركات والمشاة بعد ذلك .. وبالتالي
فالمعركة انتهت بهذه السرعة سقطت أبو عجيلة والتي كانوا يسمونها مركز
سيناء لقد صمدت في ٥٦ عدة أيام رغم أنها لم تكن محصنة بنفس الدرجة
التي عليها الان .. انه يعرفها جيداً فقد شارك في اقامة هذه التحصينات
في يوم ما .. لقد كان لكل بنحوية دشمة خرسانية .. وكاد يشك في صحة
هذه المعلومات .. ولكنها معلومات هيئة العمليات .. على أعلى مستوى ..
آه .. هل انهزم الجيش وسمر بالقشعريرة .. لا يمكن ان لدينا أقوى حليزان
في الشرق الاوسط ..

ولاذ صديقنا بالصمت يوقب ما سوف يحدث .. خوفاً من أن ينشر
الدعر والبلبة بين الزملاء .. واختفى عن الاعين في حفرة بعيدة يبكي ..

ويجتزئ الالم ٠٠ حتى أفاق على جحيم نيران الطيران المعادى - كآات
الطائرات الاسرائيلية قد ملكت الجو تسقط عليهم مطلقة دفعات متتالية
من الرشاشات ٠٠ ومن بعد كان يسمع صوت انفجارات مكتومة وفرععات
متباعدة ٠٠٠

ويستقط بجواره سائق عربته ٠٠ رآه وهو يسقط اصفر وجهه بشدة
وجحظت عيناه متسائلة ما الذى حدث !! ٠٠ ثم التوت قدهاء ٠٠ وترنج
لليمين ثم لليسار ودفغ يديه للامام ممسكا بالهواء وسقط على وجهه معلنا
صوت اصطدامه بالأرض ٠٠٠٠ موت أول رجل ٠٠ من وحدة صديقنا ٠٠
كانت المعدات الضخمة المظاهرة ٠٠٠٠ هدفا سهلا للطائرات اغرت الطيارين
بان يلهوا بوصاصاتهم كأنهم فى تدريب ٠

سقط الطيار منقضا بطائرته مرة اخرى بعد أن دار دورة كاملة ٠٠
وعاد ليكمل تعميمر المعدات ٠٠ اقترب جدا من الأرض ٠٠ كان قادما فى مواجهة
صديقنا ينثر الموت حتى انه رآه ٠٠ كاد يلمسه ٠٠ وجهه كان واضحا
من خلال زجاج كابينته تخيل أنه يبتسم متسفيا ٠٠ وجه منتفخ ابيض
شديد الاحمرار يدل على ضخامته يخفى عينييه خلف نظارة مستديرة قابضة
على وجهه وطاوية جلد قابضة على رأسه واذنيه وأمطر الموقع بالرصاص ٠٠
كان من الممكن اصطياده ببندقية صيد ٠٠ لا بل بطوبة ولكن ببندقيته رقدت
عاقرا بين يديه لسبب لا يجره ٠٠

وكانما مر هذا الخاطر بروس اخرى ترقب ٠٠ ولكنها كانت أكثر
فاعلية اذ أنه سمع طلقات بنادق قصادمة من الطرف الاخر للموقع ٠٠
طلقات يائسة متباعدة ٠ أخرجت القائد من مكمنه يصرخ ٠٠ من الذى ضرب
على الطيار ٠٠ ؟؟ اجاب أحد الجنود - انها طيارة اسرائيلية ٠

رد الاخر - م ٠ أنا عارف ٠٠ عايز تلفت النظر له ٠٠ تثيره ٠٠
سيعود لك ثانيا ٠ هل تستطيع مقاومته ببندقيتك هذه ٠
- رد جندى - انها تسقط الطائرات فى فيتنام ٠

- اجاب القائد بصورة قاطمة - وحياء أبوك بلاش فلسفة ٠٠ فيتنام
حاجة وهنا حاجة ثانية متضربش الا بأوامر ٠

ذهب صديقنا بعد ذلك ليرى الضحايا ٠٠ كان اولهم سائق عربته ٠٠
ولد اذ لا يمكن أن يطلق عليه لقب شاب ٠ فبرغم تجاوزه العشرين الا أن

جسمه كان ضئيلا أنهكه سوء التغذية والفقر ٠٠ كان قادما لتوه من أعماق
الصحراء يحمل معه جهله وسذاجته ٠٠ وبيضا طاعته الابوية ٠٠ التي
لا تسمح له بأى تصرف ذاتي ٠٠ ثم درب على أن يكون سائقا لعربة
تيمتها الاف الجنيهاات ٠٠٠

ولقد كان من الممكن الا يموت لو لم يتذكر فجأة اثناء القصف أنه
تسمى خونته في العربة ٠٠ وهذا مخالف للأوامر فانطلق من خندقه في اتجاه
العربة وفتح الباب وأخذ الخوذة ليعود بها وهنا تنفض الطائرة وهدهها
بركة الدماء ٠٠ وكان له زملاء كثيرون في اطراف المعسكر ومعسكرات أخرى
٠٠ سقطوا ٠٠ دون كلمة عطف أو تشجيع ٠٠ ماتوا وقد كانت حياتهم ليست
بخير من ماتهم ٠

جففت دموعه ٠٠ وتماسك ثم همس لنفسه ٠٠ قد تكون هذه هي
الحرب ٠٠ الا يجوز أن يكون طيرانا مشغولا في ضرب مطارات العدو ٠٠
الا يجوز أن نقوم بهجوم مضاد نستعيد به أرضنا ٠٠ وقد يستطيع مع
رجاله أن يقدم عملا ٠٠ أى عمل يوقف الهزيمة ٠٠

كان القائد يصيح في التليفون ٠٠ يا فندم الطائرات تلقى شراكا
خداعية ٠٠ أرجو تبليغ الوحدات بالأمر بما أحسن حتى ننسفها ٠

واستدعى اقدم صف ضابط وأشار له في اتجاه جثه السائق ٠
لقد وجدنا شركا بجواز الجثة اذهب وانسفه ٠٠ يصدر أوامره بعصبية
فلتبتعدوا جميعا ٥٠ مترا على الأقل ٠٠ يتكلم ثانية في التليفون الميداني ٠٠
يا فندم سننسف الشرك بعد نصف ساعة ٠٠ يليوا الوحدات حتى لا يحدث
رد فعل غير مطلوب ٠

وتكونت نصف دائرة بعيدة بالنظر الكافي يرتبون الصف ضابط وهو
يزحف تجاه الشرك بين اعجاب الجنود واشفاق الضباط ٠٠ حتى وصل
الى مكان الشرك راقدًا ٠٠ ثم فجأة وقف متحديا لكل الاوامر ٠٠ وأمسك
بالشرك ورفع لاعلى ثم عاد ضاحكا رغم المأساة التي يعيشها وصاح
من بعد ٠٠ فلقد كان الشرك خوذة الجندي الميت بعد أن اخترقتها الرصاص
فأخرج باطنها وأصبح منظرها غريبا ٠

وهكذا مر اليوم الثانى للقتال ولم ير صديقنا الا تلك الطائرات
النزقة ٠٠ وصوت المذيع الثرثار الذى لا يزال يتكلم عن الخطوات الباقية
المرتقبة والشئق على اقرب شجرة ٠٠ قرب نهاية اليوم انشا مقبرة للشهداء
ليجفن فيها الموتى ٠٠ وعلى ارتفاع منخفض كانت تطير طائرتان ميغ ١٧ ٠٠
هلل لهما الجنود والضباط ٠٠ وعلق أحدهم ٠٠٠ الم اقل لكم لقد صدرت
الأوامر للطيران بالتدخل ٠٠ وكان قائد الفرقة يمر سريعاً بعربته وخلفه
عدد آخر من العربات الجيب عائداً من معركة قُرب العريش ٠

ومع غياب شمس ذلك اليوم حضر رئيس الفرع ليبلغ قائد الكتيبة
بأن الفرقة ستسحب ٣ كيلو مترات الى مدينة الحسنة للدفاع عنها ٠٠
اتناء حديثه يعود أحد الضباط من مأمورية توصيل الغام « لخرم » اصفر
الوجه ويتكلم دون أن يطلب أحد منه ٠٠ خرم محروقة الجثث مضروبة
بالغاز ٠٠ ولا أحد هناك كل الناس انسحبت المنظر مرعب ٠٠ اكوام اكوام
من الجثث السوداء راقدة فوق بعضها البعض ٠٠ عندما سأله قائد الكتيبة
عن أحد الضباط الاحتياط الذين يعاونونه ٠

اجاب : لقد كانت عربته أخر عرب في القول والظاهر انه خاف وهرب ٠
رئيس المهندسين يثبور هل نحن نلعب ؟ ٠٠ يا حضرات لا توجد
أوامر بالانسحاب واذا انسحب اى فرد ففى الاسماعيلية الشرطة العسكرية
ستضربه بالنار فوراً ٠٠٠ ويسأله صديقنا : ولكن كيف سذافع عن الحسنة
ونحن قوات معاونة لا تحارب ٠

يرد - أوامر : ٠٠ والأوامر صادرة من قيادة الجيش ٠

- من الذى سيحارب نصف كتيبة مهندسين أم سرية الخدمة أم
الشرطة العسكرية ٠

يرد - سيدعنا الفوج المدرع ٠

فكر قليلاً ٠٠ وقال لنفسه لايد وأن القيادة تفكر أفضل ٠٠ أن الاوان
لعمل ما ٠٠ ثم تكلم كما لو كان يكمل حديثاً ساشترك فى المفزة يافندم ٠
ابتسم رئيس المهندسين ٠٠ ثم لف ساعده حول كتفيه فلقد كان يعرفه
منذ أن درس له فى مدرسة المهندسين شاباً لا يقبل الا المنطق ويناقش كثيراً
ولكنه ملتزم الى أقصى درجة ٠٠ ويؤدى واجبه بفهم ٠

قال له : انا اعرف انك لن تهذا الا اذا فهمت .. خطة سيادة الفريت
محسن هو ان تتحول الهزيمة الى نصر بتكوين نقط قوية قابلة للحصار
تدافع عن مناطق محدودة ويترك الجيش الاسرائيلي يدخل المنطقة ويفرد
قواته في مسافات واسعة .. وبذلك يسهل على الفرقة المدرعة ان تفك
الحصار وتحول الهزيمة الى نصر .

- رد صديقنا - لكن يافندم دى العريش والشيوخ زويد وابو عجيله .
- اجاب - ايوه فاهم .. فاهم .. ووصلوا الى الكيلو ١٦١ قرب
المكان الذى كنا فيه لكن اللواء ١١٤ المدرع ارجعهم .. لا تكن لحوحا .

اسرع الجنود في تحميل العربات ولكن العربات لم تكن تكفى فلقد
سحب بعضها لتحميل الالغام وتوصيلها للواءات المعاونة لذلك
فلقد اصدر القائد اوامره بترك ما يزيد حتى ولو كانت اجهزة
اللاسلكى ... ركب صديقنا بجوار قائد الكتيبة في عربته وترك الراديو
الخاص به بجوار السائق وانطلقا لتنظيم تحرك قوة الانسحاب .

أحد الجنود الاحتياط تكسر ساقه لقد اصطدم جرار بالعربة التى
يركبها . زملاؤه يحاولون اسعافه وهو يبكى « ياخيبتكم ياوالدى من بعدى ،

قوات اخرى تنسحب من القسيمة على الطريق متجهة الى ثمادة ..
الجنود ييتسمون لماذا ؟؟ سيديفوعون عن خط الدفاع الثانى معنى هذا
ان خط الدفاع الاول قد سقط .

همسات بين قائد الكتيبة ورئيس العمليات .. لا تعنى احدا ..

يصلون الى المكان الجديد المحدد لهم .. توزع العربات .. تتخندق ..
توزع الحراسة .. ويجد صديقنا نفسه منفردا بعد طول تعب حوالى
الثانيه صباحا يحاول ان يجمع كل المعلومات التى استطاع ان يحصل
عليها وكل ملاحظاته ويربطها في اطار منطقي .. اذن .. فان هناك هزيمة
.. ولكنها هزيمة تكتيكية .. ان دور الطيران والمدرمات لم يبدأ حتى الان
.. وبالتالي فان القوات تنسحب لتتمسك بأرض اخرى ينطلق منها قوات
التهجوم المضاد .. هكذا حدث في روسيا .. لقد وصل الالمان الى مشارف
موسكو .. وحاصروها .. وفك الحصار وانطلق الجيش حتى برلين .

وبالتالى فعليه الا يهلع من الظواهر .. ويتمسك بالارض مع جنوده .. حتى
يفك الحصار .. الحصار .. معنى ذلك ان الموقف الحاكم الان هو المياه ..
وجرى في اتجاه فناطيس المياه .. احضِرْ أهم صف ضابط وقل له ..
أنت المسئول عن هذه الفناطيس .. لا تصرف منها الا بتعليمات منى شخصيا ..
كل المطلوب هو الثقة في القيادة .. لا بد وانهم تعلموا من حرب ٤٨ ،
٥٦ .. بالاضافة للخبراء الروس .. ان باكر هو يوم المواجهة مع العدو ..
وتذكر انه لم ينم منذ مدة .. وقرر أن يجبر نفسه على النوم ولو لساعات
قليلة .. حتى يكون قادرا على مواجهة العدو .. كانت أضواء طلقات أضواء
ارض المعركة تلمع من بعد .. لا بد وأن هناك معركة على بعد عشرات الكيلو
مترات فقط ..

وأجبر صديقنا نفسه على النوم داخل كابينة المعربة .. واستبطن
على أصوات جنوده يضربون شبابيك كابينة المعربة بقبضاتهم .. لقد
ابتدا الاله جورس يظهر في طرف السماء ناشرًا حوله دماء افاعي الشمر التي
تقف على بوابة العالم الاخر .. منتصرا على الظلام .. كان الجنود
يتكلمون في صوت واحد .. دبابات العدو يافندم وقفز من مكانه مسرعا ..
صعد الى أعلى التبة .. ثم ضحك .. لا هذه دبابات الفوج المدرع التي
ستدافع معنا عن المدينه .

وجاء حوره للرد على تساؤلات الجنود .. مثلما رد رئيس المهندسين عليه

– لكن المعركة دائرة طول الليل يافندم ..

– اثبتوا .. كونوا رجالا .. واستدار يبحث عن الراديو ..
وتذكر انه نسيه في عربة قائد الكتيبة ..

سأل : أين القائد

: غير موجود نحن نبحث عنه .. كذلك رئيس العمليات اختفى

.. تجمع عدد من الضباط يتساءلون ..

لعلهما يأخذان أوامر جديدة .. لعلهما في رئاسة الفرقة .. وتفرد
الضباط والصف ضابط يبحثون عن قيادة الكتيبة .. عن القائد ورئيس
العمليات ثم رجعوا بأخبار غريبة .. لا وجود لقيادة الفرقة .. لا وجود
للوحدات الاخرى .. القائد ورئيس العمليات هربا ..

ثم تجمعت اشتات من الكتائب والسرايا الاخرى التى لم تجد رئاستها حولهم . . . ودار حوار بين الجميع لا فارق بين ضابط او صف ضابط او جندى . . .

- فلنمش نحن أيضا .
- لنا دور يا حضرات .
- القيادة انسحبت .
- ولكن الجنود موجودون .
- العدو على بعد خطوات .
- نقاوم .

• نقاوم فى الخلف مع النسق الثانى .

• وقطع الحوار هجوم الدبابات السوداء .

وزعق الجنود من اعلى التباب . . اليهود يانفدم . . دبابات اليهود . . وفى هذه المرة عبرت الدبابات عن نفسها بإطلاق النيران . . وجرى الجميع تجاه العربيات . . بعضها محمل بالالغام . . الضباط يتجمعون فى كابينه عربيه . . خمس ضباط . . الجنود يقفزون الى ظهور العربيات . . العربيات تجرى بسرعة . . طلقات الدبابات تطاردهم . . العربيات تجرى أسرع . . توقفت الطلقات . . أصبحوا بعيدا عن مداها . . وفوجيء صدقنا فجأة بأنه قد هرب . . وشعر بالعار . . كيف لم يؤد واجبه . . أى واجب خلال هذه الفوضى . . لم يكن يتصور فى يوم أن يهرب وبهذه الصورة وبدون أن ينذر الآخرين . . أصبحت قضية حياته أهم . . وتسامل كيف ساعيش بعد الآن . . وكيف سأواجه الآخرين . . حتى حياته أصبح مشكوك فيها . . ان العربيه التى يركبونها محمله بالالغام . . عندما صرح بذلك تنبه زملاؤه فقال أحدهم نرميها علق آخر . . لو ضربتها طائرة ستدمرنا جميعا

قال هو . . نعمرما ونرميها تعطل القوات القادمه خلفنا .

قال آخر . . وما ادراك قد تتعثر فيها قوائنا نحن . .

واسـتقر رأيهم على أن يتخذوا بالالغام كما هى . . فأصدروا تعليماتهم للجنود المتعلقين بظهر العربيه يقتفوا .

وبعد أن أطمأنوا على تأمين حياتهم فهم الان يعيدون الى حد ما . . وبعد أن تخلصوا من الالغام . . ابتدا السؤال الخالد يطرح نفسه عليهم

وبعد ... ماذا سنفعل .. لاول مرة عليهم اتخاذ قرارهم بأنفسهم بعد ان انهارت القيادة هل يستكملون الحرب !! فيلجأون الى الجبل ومن عناك يشكلون مقاومة ما ... هل يستمرون في الحركة بالمربة حتى يصلوا الى مكان آمن .. هل يتحركون في الجبل .. وأستبعوا الحل الاول .. ثم الحل الثانى لخطورة الطيران على العربات المتحركة .. وقرروا أن يتحركوا في الجبل ولكن بعد أن تطوع أحدهم يملء العربى والجراكن بالمياه والحصول على طعام من العربات المضروبة على الطريق واللاحق بهم .

نزلوا جميعا من العربى الا واحدا منهم ومعه جنديان .. الذى تحرك الى الطريق ثم اختفى عن نظرهم والى الابد ...

وأصبح عليهم الان السير .. الحركة أو الموت .. ولا يهم الماء .. ولا يهم الطعام .. ولا يهم أى شىء سوى الحركة .. وكلما توغلوا في حوض الجبل .. كلما حافظوا على حياتهم أكثر .

سألت صديقنا : هل تتصور ان العرب سوف يعودون لمصر أو أن مصر سوف تعود للعرب ...

أجاب : الامور لا تؤخذ هكذا ببساطة يا صديقى .. انا لست منجما ولا أطمح في أن اكون منجما .. انما فلنستقرى الاحداث .. ما الذى تحتاجه مصر من العرب وما الذى يحتاجونه منها .. وعلى اساسه سيتخذ ما الذى -وف يحدث .. العرب ومصير .. يحتاجون لان يصبحوا قوى اقتصادية وعسكرية وثقافية وحضارية .. في مواجهة القوى المختلفة في العالم . والذى أصبحت فيه الشرازم لا تستطيع العيش .. العالم يتجه الى الوحدة .. لا التجزئة .. وبدون ذلك ستحاول العراق عمل القنبلة الذرية وليببسا شراها والسعودية اتقاءها .. وهكذا .. ومصر تنفصل الوطن العربى الى نصفين شرقى وغربى .. وهى القلب وبحكم كثافتها السكانية وتجاربها الحضارية هى الثقل .. ولكن عليها أن تعدل في علاقتها بأخوتها .. فهى لم تعد الواحد والباقى اصفار على الشمال .. كما كان يقال .. بل هى تزداد بتماسك قوى أخرى معها وعلى الاخرين انهاء شكل البطولة الفرنية والزعماء الأواحد وتحويل بلادهم أن حكومات عصرية .. فادرة على مواكبة العصر .. وهناك أمل .. ولكن بهدوء .. ودون تعجل .

شمس يونيو ... وصعود الجبل ... وارهاق عشرين يوما .. ونقص المياه والطعام .. عذاب ..

وهروب الجندي من ميدان القتال ومن الدور الذي اعد له نفسه
سنتين طويلة وخيبة امله في نفسه .. وفي كتيبته .. وفي جيشه وقومه ..
عذاب .. ومقدان الطريق .. والاصل .. والهدف .. والماضي والحاضر
والمستقبل عذاب .. ولكن أكثر درجات العذاب هو الرعب من قوى غير
منظورة .. وغير متوقعة .. وغير مستعد لها .. أكثر درجات العذاب
لان الانسان يشعر في هذه اللحظات بمدى ضلته .. لان الانسان يعود
الى عصور الجهل فيما قيل التاريخ عندما كانت تحيطه الغوامض من كل
اتجاه وتحاصره الاعداء في كل خطواته .. وهكذا كان أصدقاؤنا .. مجموعة
من الضباط والصف ضباط والجنود بعضهم يعرف البعض .. والبعض
الآخر رمت به الاقدار قبل المعركة بأيام جندي من جنود الاحتياط والبعض
الآخر وجد الامن في أن يتحرك مع جمع أي جمع .. حتى ولو لم يكن يعرفهم ..
الآن انتهت كل الفوارق .. الا قوة الاحتمال .. من يستطع المثابرة
والحركة للوصول للهدف سيبقى حتى ولو كان جندي احتياط علاقته بالجيش
بدأت منذ أسابيع ومن يسقط .. فسيسقط للابد .. حتى ولو كان أقدم
الضباط جميعا .. وتفجرت الطاقات .. تفجرت الطاقات المختزنة أمام
الرغبة في الحياة التي لا يقف أمامها أي عائق ..

وتحرك الرجال رغم فقد جميع الاحتمالات النظرية للنجاة .. ولكن
الامل دفعهم لبذل المزيد من الجهد .. والعرق .. والتحمل ..

يقول صديقنا وهو صادق في ذلك .. لم يكن أتصور أبدا أي احتمال
عدا أنني سوف أعود .. الى الوطن .. الى الارض .. الى المنزل ..
الى الاهل .. الى انراحة .. لم أتصور أبدا أنني سأموت أو أسر .. رغم
أن كل الظروف كانت ضدي واليهود ضدي .. وبنى وطني ضدي وأنا نفسي
.. ضد نفسي .. الا أن خيال الفناء لم يراودني أبدا طول رحلة السير ..

ونفذت الطاقة .. ونفذت المياه .. وابتدأت الخيالات المرعبة تغزو
بعض الافراد .. وظهر تأثير الضعف الناتج من قلة الماء والطعام وحرارة
الشمس على بعض الافراد .. وتخيل البعض انه لا نهاية لهذا العذاب
وأنهم سوف يموتون .. ولكن لا وجود للمثبات في الحياة وانما هي في حركة
مستمرة متجددة متغيرة .. كل لحظة تختلف عن التي قبلها .. حتى في جبل
قفز .. فعنما قارب الجميع على التوقف نتيجة لقلة المياه .. وظهرت بعض
الاصوات التي ادانتهم لصعودهم الجبل .. وجدوا من يجري خلفهم وينادى

يا مصري ٠٠ يا مصري ٠٠ وإذا هم مجموعة من عرب سيناء الهاريين
الى الجبل خوفا من رصاصات الطرفين ٠٠ ومعهم ماء ٠٠٠

لحظات خاف الأخوة بعضهم من بعض ٠٠ وقفزت الى مخيلتهم
الاساطير التي نسجت عن استغلال عرب سيناء للموقف ٠ وعن تسليمهم
المصريين للاسرائيليين ٠٠٠ ولكن العطش والخوف من الموت شجعهم على
حوارهم ٠٠ ولم يندموا ٠٠ فلقد شربوا جميعا حتى الارتواء وملأوا الاواني
التي معهم ٠٠ ودلوههم على الطريق من خلال مسارب الجبل ٠٠ وأهدوهم
ما هو اعلى من ذلك جميعا ٠٠ اهدوهم النصيحة ٠٠ قالوا لهم لماذا أنتم
ملتاعون هكذا ٠٠ الستم رجالا ٠٠ سيروا في الجبل لا تنزلوا للطرق الرئيسية
٠٠ وفي الجبل ستجدون الماء والماعز اذبحوا واحدة أو اثنتين ٠٠ أشووها
٠٠ وكلوها ٠٠ يوم ٠٠ اثنين ٠٠ وستصلون ان شاء الله فقط لا تندروا
للطرق الرئيسية ٠٠ لقد كانوا رجالا حقيقيين ٠٠ صلبيهم الجبل والحياة
٠٠ لم تدلهم الهدية وتلفهم وتحولهم لحيوانات مدللة صغيرة تموت ان
لم تطعمها ٠٠٠٠

بمرور الوقت اكتشف الجمع أنه في حاجة الى قيادة حقيقية تحافظ
على قطرات الماء التي يحملونها ٠٠ ويعرف الاتجاه والمنطقه ويحدد خط
السير ٠٠ ويتحمل المسؤولية ٠٠ الان لا داعي للترقب انما مطلوب قائد حاسم
٠٠ غير متردد ٠٠ يفهم الموقف ٠٠ ويستطيع أن يقود ٠٠ وتكون ثلثائيا
طاقم قيادة ٠٠ فرض نفسه لامكانياته وأطاعه الاخرون رغم أن منهم من
هو اقدم رتبة ٠٠ وحدد الطاقم الطريق ٠٠ لو تحركنا في اتجاه الغرب فسنصل
ياكر الى طريق البحيرات نخترقه بسرعة ٠٠ ونصعد للمجبل ثانية بعد
ياكر لوسرنا بنفس المعدل سنكون على ضفاف القتال ،

وحمل اخرون زمام المياه بحيث يتم توزيعها في حضور الجميع
وبنفس القدر ٠٠٠ وفي وقفات خاصة ٠٠

واستطاع الجمع بذلك أن يصمد ويتحرك في وسط السكون ٠٠
لا تقعات ٠٠ ولا رصاص ٠٠ ولا مدرعات ٠٠ ولا دماء ٠٠ ولا صوت
٠٠ ولا حتى أحاديث ٠٠ اصرار على الحركة فقط ٠٠ كان كل شبر يقطعه
الجمع ٠٠ لا يستطيع العودة اليه ٠٠ فلقد كان أسفل الجبل وعلى طريق
قه - يتحرك قول من المدرعات الاسرائيلية وكأنها في طابور استعراض

يسير أمام النصبة الرئيسية في ثقة شديدة .. اعداد لا نهائية من المدرعات المتجاورة يحرم عليهم العودة .. أرض مصر .. يحتلها الاسرائيليون .. ويمنعون المصريين من الحركة .. آه .. آه .. وانتهى الماء المحافظ عليه وابتدأت المعدات تطالب بالطعام .. وفقد الرجال طاقتهم وأبتأ الإله آمون يترك مكانه في مملكة النهار ليذنف الى مملكة الظلمات بعد أن كبر وشاخ خلال رحلته عبر السماء .. وقبل أن يغيب اهدى الجمع قطيعا من الماعز .. ييرعى في سلام .. وجرى كل اثنين خلف معزة .. كانت الماعز تحاورهم وتجري منهم وكلما تصوروا انهم قابضون عليها افلتت ..

وأمسك صديقنا وآخر باحدى الماعز ووضع فمه على ضرعها .. ياللذه .. سرسوب من اللبن الدافئ يصطمم بقلقه الجاف فيرطبه ويرويها .. الماعز مستسلمة .. بل تنظر اليهما بحنان شديد ..

يقول صديقنا .. كانت تنظر لى بحنان أم وحبيبة .. وانهلث عليها أقبليها بين العينين .. يالأنسانية هذه المعزة .. يالأمومتها تركتنا نشرب لبنها في محبة وسلام .. لقد حطمت حياتي بعد ذلك تلك المعزة .. فاننا مازلت أبحث عن نظرات عينيها بين النساء حتى الان وأفتقدتها .. لن انساعا ما حييت ..

كان آمون قد أنهى وظيفته في هذا اليوم وهذه الكدر بعد ما شاهده على أرض الكنانة .. وقرر دخول مملكة الظلمات وكان أصدقائنا يستغيثون به .. أن أبق قليلا ولكنه لم يكن في حنان الماعز .. لقد كان قاسيا للغاية وتركهم في ظلام .. وأصبح الطريق غامضا .. لا يرون شيئا الا جبالا تكسوها المهابة .. والسواد .. وتجمع داخلها المتناقضات .. السلام والهدوء .. والغموض والرعلا .. وابتدأ الهواء يفقد حرارته .. ويلسعهم قلا تحميهم ملابسهم الصيفية .. وقفز الدفء ليصبح هو حاجتهم الاساسية .. ولكن كيف !! وقد فقدوا كل ثروت البشرية العلمى في بعث الدفء .. ان الانسان في عصرنا بدون أدوات حضارية ضعيف جدا .. ترى كيف عاش أجدادنا في العصور المتوحشة في هذا البرد عراة .. وتحرك العقل البشرى يحميهم ويخود عنهم كما زاد من قبل عن اجدادهم فمنعهم من الانتراض .. عليكم أن تتكيفوا مع الوضع الجديد .. وهكذا ابتكروا طريقة للدفء بأن يحتضن بعضهم بعضًا فبيعت كل منهم الدفء في الآخرين ويتمتع هو الآخر بدفء مقابل .. وناموا فوق الجبل أجسادا ملتصقة لا فارق بين

جسد ضابط أو جندي أو صف ضابط فكلها باعثة للدفء .. وفي وحدتها
نجاه للجميع .

وظهر حورس في الامق متجدد المنتسب فأيتمز النيام باعنا الامل
في نفوسهم مستكشفا ما حدث .. ليحكى القصة التي لا يزال يراها منذ بدء
التاريخ .. ظلم الانسان لاخيه الانسان .. تجبر القوى .. وحيرة الضعيف .

ومع الضوء .. جاء السؤال .. ما العمل ؟؟ .. هل سيصلون . .
هل ضلوا الطريق .. لابد وأن يكون قريبا من هنا .. وجلس البعض
في باس مكانه .. وتحرك آخرون .:

وتساءل صديقنا كيف يمكنه المحافظة على قدرته وحركته .. لابد
وإن يأكل . . . وأدار بصره حوله فلم يجد سينا .. الا بعض القواقع تركت
في مجرى سيل .. وفكر قليلا لابد وإنها تحوى بعض البروتين .. فما
المانع من أكلها .. شكلها كريه .. ومع ذلك مد يده وأخذ يكسر بعض
القواقع يمتص ما بداخلها .. ليس طعمها كريها . . . وابتدأوا يتسابقون
بعد ذلك في العثور عليها حتى تحدث المعجزة . في بعض الاحيان تكون المعجزة
أن تكسب شهادة استثمار .. أو أن يموت لك قريب في الارجنطين أو أن
تكون الفتاة التي تحبها لم ترضع عليك .. هكذا علمتنا السينما المصرية
والجريدة .. والقصة .. ولكن أن تكون المعجزة اثرا لسير عربية .. فهذا
شيء جديد ..

لقد وجد الجمع .. أثارا حديثة لعربة .. معنى هذا أنهم بتتبعهم
له سيصلون الى مكان ماهول أو طريق يحدد لهم حركتهم .

وساروا على هداه .. حتى وصلوا الى عدة عربات مضروبة بالصواريخ
هل بهاماء . ولم يجدوا الا قليلا من المياه الصدئة في الرديراتيرت تخاطفوها
سريعا ..

وتتبع آخرون مسارات أخرى .. ثم عادوا يصيحون الطريق . الطريق ..
سألت صديقي : الا زلت تحلم بأن نكون قوة كبرى باتحادنا ..
الم يكفنا ما حدث لنا !!

أجاب وما الذى حدث لنا ٠٠ اربعون عاما من المعاناة ٠٠ مائة عام ٠٠
ان عمر الشعوب يا صديقى لا يحسب بالاعوام القليلة هذه ٠٠ ولا بد أن نحلم
واقدمنا على أرض الواقع الصلبة لنظوره ونبنيه على أساسات قوية نحتمل
بناء شامخا ٠٠ ان الاجيال القادمة تطالبنا بما لم يحققه لنا الاباء وعلينا
ان نزرع شجرة الزيتون التى لن يأكل ثمارها الا الاحفاد ٠٠

اندفعوا فى اتجاه الطريق ٠٠ لقد كان طريق البحيرات فعلا ٠٠ بالتالى
لم يضلوا كثيرا ٠٠ يصبح الباتى للوصول للقتال حوالى سنتين كيلومترا
أى يمكنهم الوصول خلال يومين ٠٠ وتجدد الامل مع صباح أخيرين الماء
٠٠ الماء ٠٠ لقد كان هناك عربات محملة ببنطاليس وجراكن ممثلة بالماء
ومعطلة على الطريق ٠٠ شربوا حتى ارتوا ٠٠ وحملوا كل ما استطاعوا
حمله من أوعية ممثلة ٠٠ واستعدوا للحركة ٠٠ واختلفوا ٠٠ جزء منهم
رأى السير بمحاذاة الطريق ٠٠ وجزء آخر رأى اختراق الوادى وجزء قال
فلنصعد ثانياة الى الجبل ٠٠ كان الرعب من الجبل أقوى من الرعب من طائرات
العدو وقولاته ٠٠٠ خاصة أن ذلك المذبح الثرثار كان لا يزال يملككم
عن القتل والخنق والضرب ٠٠ وأن القوات المصرية قد حصرت القوات
الاسرائيلية على الطريق الاوسط ٠٠ وهم على الطريق الجنوبى ٠٠ هم أذن
فى امان ٠٠ المشكلة فقط مشكلة وقت وانقصر الرأى الذى يقول أن يخترنوا
الوادى فهو حل متوسط بعيدا عن مغامرة الجبل ٠٠ وبعيدا عن اغراء الطريق
للطيران المعادى ٠٠ وكما تضع بلورة سكر صغيرة فى محلول مركز فقتجمع
حولها بلورات اخرى وتكبر كذلك حدث لهم ٠٠ تجمع حولهم أعداد كبيرة
من الجنود والضباط الثارين فى الجبل ٠٠ وزاد عددهم حتى قارب المائة ٠

حاولوا التفرق لمجموعات صغيرة ٠٠ ولكن كل المحاولات باءت بالفشل
أمام غريزة القطيع ٠٠ وتنبه صديقنا آلى عامل جديد استجد ٠٠ نظرات
كراهية اطلت من أعين بعض الجنود الجدد للضباط وكانهم يحملونهم
مسئولية ما حدث لهم ٠٠ وتوقع أى تصرف خال من الحكمة ٠٠ كان صديقنا
يحمل مبلغا من المال حوالى مائتى جنيها هى خصيلة بضائع بيعت من
كانتتين الوحده ٠٠ ورغم أن النقود لا قيمة لها فى مثل هذه المواقف ٠٠ ولا يمكن
استخدامها الا أن الامل فى ثراء مفاجيء قد يدفع أحدهم ومن خلال هذه

المفوضى لسلبها ولو على جثة صديقتنا .. فأخفى النقود بين ملايبه
الداخلية وجسده ...

كان الجمع يتحرك يحده الامل في النجاة ويغذيه بدلا من الطعام ..
بعضهم يحلم والبعض الآخر يسخط والبعض يتحامل على نفسه حتى سمعوا
صوت محركات طائرة التفتوا جميعا لها .. كانت طائرة اسرائيلية ذات
محركات تسير بمنتهى الامان تستكشف المنطقة .. كانت نجمة داود
واضحة عليها ..

زق أحدهم ارتدوا جميعا .. كان الامل الا تراهم .. ولكنها استدرت
لتعود ثانيا فوقهم .. ليرقدوا .. وهكذا حدث حوار غريب بينهم وبين
طائرة الاستطلاع .. كلما أعطتهم الطائره مؤخرتها ساروا .. وكلما عادت
رتدوا على الارض .. ولكن بعض الجنود لم يشعروا بالمسؤولية .. خاصة
بعدما فتدوا احترامهم لفادتهم فكانوا يتحركون بغض النظر عن مكان الطائرة
.. وابتدا يدور بينهم حوار .. ترى هل لا حظتهم .. هل سترمى جنود
مظلات ؟؟ هل هي طائرة استطلاع ... !! هل هي ناقلة جنود ! لماذا تتحرك
بأمان هكذا رغم بيانات الاذاعة بأن الطريق الجنوبي مؤمن .. وقطع حديثهم
عقورهم على عربة زيل معطلة في وسط الوادى .. عندما اداروها وجدوها
سليمة ... ووجدوا بها بعض الطعام علب اكل محفوظ .. كانوا ياكلون
ويحلمون حول العربة ..

بعضهم كان رايه ان يركبوا العربة ويتحركوا بها في اتجاه القنال ..
باتى حوالى أربعين كيلو مترا تستغرق ساعة .. في نهاية اليوم يصبحون
في الاسماعيلية ..

البعض الآخر كان يرى ان القوات الاسرائيلية بعيدة ولا خطر الا من
الطيران فلينتظروا حتى غروب الشمس ويتحركوا بالعربة .. ونصحهم
أحدهم بالابتعاد عن العربة كي لا يلفتوا النظر اليهم .. وكان صديقنا
قد اطمأن .. بعد ساعات سيصل الى الدر الغربى .. سيرسل لاهله تليفرافا
من كلمتين « لازلت أعيش » وبعدها سيذهب لرؤيتهم .. سيصل .. سيصل ..
يا للمفامرة .. رائحة خصوصا لو انتهت بسلام .. كان يعجب كيف

أسنطاعوا أن ينجوا من الموت .. ينجوا من الموت وصدمة هذه الفكرة
والجيش .. والحرب .. والهدف .. والقضاء على اسرائيل والحقاق عن
العروبة .. ماذا حدث ؟ !! كان يريد أن يأكل .. أن ينام .. ترى ما سبب
الهزيمة ؟؟ هل اصبحت هزيمة ؟ من ادراه فهو لا يرى الا جزءا ضئيلا
داميا من الصورة .. وشعر بالخدر فاسترسل في احلامه .. كان يريد أن
يستحم ... أن يخلق ...

وفجأة وبظنرة للأفق البعيد تبددت كل الاحلام .. لقد ظهرت طائرة
حربية تطير على ارتفاع منخفض .. وخلفها أشباح سوداء تتحرك على
الارض ..

سألكه : وهل ستتركنا الدول الكبرى تنمو وناطحتها ..
الآن تطالبنا بالثمن ..

رد : هي دائما تطالبنا بالثمن وهي دائما لا تتركنا تنمو ولكن هل
تتصور أن الحياة مفروشة بالزهور دائما .. وهل كانت الدول الكبرى منذ
الازل دولا كبرى .. !!

الساعة حوالي السادسة مساء ٨ يونيو والشمس تميل للمغرب وأصدقاؤنا
مجموعة من الضباط والجنود المنسحبين عبر سيناء في طريقهم الى مصر ..
حوالي المائتين رجل على يمينهم جبل لا يعرفون ماذا وراءه .. وعلى يسارهم
واد رملي غسيع جاءوا من خلاله .. وخلفهم يمتد الوادي في اتجاه مجهول
قادم منه أشباح مكدرات سوداء تتقدمها طائرة تطير على ارتفاع منخفض
.. وعلى بعد عشرات الامتار منهم عربة زيل معطلة ولكنها أملهم في أن
يتحركوا بها الى القتال .. وبين الكودي الحشيشية البرية المنخفضة
يرقدون في انتظار الظلام - اللخظات تمر ببطء كأنها دهور وهم يكتفون
أنفاسهم في انتظار القادمين .. ترى هل هم جيشهم جاء متصورا أنهم مجامع
اسرائيلية هابطة في الوادي !! أم ترى هم اسرائيليون قادمون للتخلص منهم
ولاول مرة يكتشف صديقنا أنه من الممكن أن يموت فان الاشباح
القادمة ستطلق عليهم النار حتى يتعرفوا عليهم .. وعلى هذا قد يقتل
بعضنا بعضا .. الموت .. الموت لأول مرة .. وفجأة صاح ..

- اليهود .. دبابات اسرائيلية ..

- لا .. انها دباباتنا ..

- انها .. لليهود ... وأنهت المناقشة . اصوات طلقات رشاشات
ومدافع دبابات .. ومرت عن يمينهم ويسارهم دبابتان تليهما عربتان
مدرعتان .. وارتفعت الطائرة الى اعلى .. لتدور دورة كاملة في السماء ..
فلقد أدت دورها .. وتتصاعد من الجمع المختفى بين كدى الحشائش القصبرة
أصوات عديدة ...

- نحن عرب ... احنا مسلمين ..

- اسكت ... دول يهود ..

- يا حبيبتى ... يا بنتى مين حيريكى بعدى ..

- مننا خلاص ... أشهد أن لا الله الا الله ...

- سلم يا محمود ..

- ارفع المنديل ..

- مظلومين والله مظلومين ..

- سلم يارب .. سلم يارب .. سلم ..

- احدهم يجرى نحو العربية في محاولة يائسة للهرب بها ..

- ابعد عن العربية .. يعقبها طلقة مباشرة تصيب العربية فتحولها

الى كتلة نار ...

طلقات الرصاص ترسمهم .. اصوات جنائز العربات المدرعة قريبة

ومتلاحقة كأنها تسرع مقلهفة لتندوس على الاجساد الملتصقة بالارض ...

يقول صديقنا .. كنت احاول ان اغوص في الارض كى تحمىنى ..

ولكنها كانت تلفظنى فوقها كأنها أم مجنونة قاسية قذفت بأبنها على شريط

للسكة الحديد وهى واقفة تضحك لترى هل سيهر القطار القادم فوق ابنها

أم على الشريط المقابل ... »

تجاوزتهم العربات والتفت امامهم مكوثة نصف دائرة اطلقوا عليهم

دفعات متتالية من الطلقات .. ثم قفز الجنود الاسرائيليون من العربات

ينادون بجميية ركيكة « سلم يا مصرى .. قومى .. مفيش حد حذصريه .. »
في الوقت الذى يصبح فيه الانسان وجها لوجه امام الموت ينتابه شعور غيبي
عادى .. الحقيقة مجردة من جميع الاخفاءات التى يحاول أن يخفيها بها
في الظروف الطبيعية .. ويتصرف كل منا ولاول مرة على سجيته وتأخذ
الاشياء حجمها .. الطموح .. الرغبة .. الامتلاك .. الفخر .. حتى الحياة
نفسها .. وهكذا تجرد اصداؤنا جميعا واصبحوا عرايا امام انفسهم وامام
الاخرين وتحول رجال منهم الى اطفال ينهون وتحول بشر شامخون
الى خرق مهلهلة .. وتحول بعض الصامتين الى جبال صلدة شامخة ..

كان احدهم يبكي اطفاله الذين سوف يتيتمون .

وأخر يستجدي عطف آسريه باطلاق مجموعة من الشتائم في كل من
يجلو لهم سماع شتائمه فيهم .

وأخر لم يبق له الا تراثه الفكرى المتمثل في الدين فأخذ يقرأ سوراً
من القرآن ويصلى تائباً عن ذنوبه ..

ورابع أخرج صورة زوجته وأخذ يكلمها ويتبناها .. أحضرت لك الشفة .
والسيارة .. وكل ما طلبت وذهبت أنا .. معاشى سيجعلك ..

وخامس خلع رتبه العسكرية وانهمك في حفر حفرة ليخدفنها فيها وبسرعة
خلع سترته لكي يخلع الفائلة والكلسون فاليهود يعرفون الضباط من
ملابسهم الداخلية .

ودار في نفس صديقنا سؤال عجيب لا يدري كيف قفز الى قشرة شعوره .
ماذا فعل بملابسه المكسرة في دولابه وبالأجهزة المصرية التى في منزله ..
ومغامراته العاطفية المتعددة .. وقراءاته .. وتعلمه عشرات السنين ..
وسهر الليالى في الرسم والتصميم حتى حصوله على البكالوريوس ..
ودموع الفراق .. وساعات الانتظار .. وصراعه وعنفه .. ثم تشهد وقال ..
« مسكينه يا أمى ترى كيف تستقبلين خير موت ابنك » .. كل الاشياء
أصبح لا قيمة لها الان وكل الساعات التى قضاهها هباء .. وكل الليالى
تبخرت .. ولن يبغى الا بعض الكتابات التى قد يهتم بها انسان ما ..

آه لو كان له عمرٍ نسيهه ليتريك اثرا في الحياة .. سسيفير حياتہ
بالكامل حتى ...

« سلام يا مصرى .. قومي مفيش حد خضر به .. احنا منس
متوحشين .. قومي ، وقام صديقتنا مع من قاموا .. الان هو امام
الاسرائيليين وجها لوجه .. ها هي ذى اللحظة .. ولكن في موقف مخزى
يستجدى حياته في نظرات الاعداء .. ها هي ذى اللحظة .. ولكن
يا المهافتها .. تشجع يا فتى انه القدر الذى كتبه عليك ذرو الكأبات
الحمراء ... تشجع فان مت فلتمت شجاعا .. تشجع لو ضعفت فستنجم
طول عمرك .. تشجع فلن يجدى انه يارك شيئا الا لذة عدوك .

سألت صديقتنا : هل أنت رياض عما حدث حتى الان !!

أجاب : لقد تمنا بأقصى ما نستطيع ... ان الحرب عمل لا انساني
مرعب .. التدمير .. والقتل .. والتشوهات البدنية والنفسية .. شىء
لا يحتمل .. واذا كان من الممكن أن تسترد حقوقك دون تفريط بالسلم
فبالأكيد هو أفضل من الحرب ...

سألت : هل لتجربتك الشخصية دخل في وجهة نظرك هذه !!

أجاب : بالتأكيد لا يعرف الوجد الا من يكابده ... ولا الصبابة
الامن يعانيتها ...

الفصل الثالث

الاسر

عندما عاد صديقنا من الاسر كان قد استقر في روعه من خلال المعاناة الطويلة بأن الهزيمة التي تمت كانت هزيمة مجتمع .. وأنه لابد من حدوث تغييرات أساسية في هذا المجتمع لمواجهة الهزيمة .. وأنها كافية جدا لتجعل كل القوى تتكاتف وتفيق من غيبوبتها .. كان يقول دائما « لقد كنا نعيش ونحن نتخيل أننا نستند الى حائط صلب ونقف على أرضية متماسكة .. وكنا نرمي بكل ثقلنا على القيادة .. متصورين أنها تصنع المعجزات .. هكذا علمونا .. لذلك أخذنا موقف المتفرج وفي أفضل الاحيان المتعاطف الساذج ولم نتحمل ابدا مسؤولية اتخاذ قرار استنادا على أن القيادة أفضل وتعرف صالحنا أكثر .. وقرارها سيكون الا صوب وتفاضينا عن أشيائ كثيرة وسلبيات حادة تراكمت ونخرت في البناء حتى أصبح بناء من قش طار مع أول صدمة »

ولم يستطع ما حدث أن يمحو حماسه وثقته بالقسورة .. بل كان يتخيل أنه انحراف أو خطأ حدث ويمكن تعديله .. بتكاتف كل القوى .. ولكن صدمته كانت كبيرة ... عندما عاد فوجد أن المصريين هربوا من مواجهة .. جزء منهم هرب عن طريق الامراض الهستيرية .. أي تحول مرض نفسى الى جسدى .. فمرضوا بالضغط والسكر و امراض القلب والمعدة .. وجزء آخر هرب بالهجرة .. وجزء هرب بالتجائه الى التطرف الدينى أو التطرف العبثى والاستهتار والغرق في اللذات الحسية .. وحتى الذين لم يهربوا وحاولوا اتخاذ موقف ايجابي لجأوا الى أنماط جاهزة تعلموها من الصين وفيتنام وكوبا والاتحاد السوفيتى .. وأنفسهم الى شرائم صغيرة تتخفى تحت الارض ويدور بينها وبين بعضها صراعات مرعبة .. وبينها وبين الحكومة ثقة مفقودة ...

ومكذا عندما تخلخل البناء بحث كل منا عن وسيلته الخاصة للنجاة
تماما كما حدث لحظة أسرههم .. عندما تحقق الجميع أنهم أصبحوا أسرى ..
انطلقت الأصوات مليش دعوة .. ملعون أبو الحرب .. احنا مسلمين ..
وكان الآخرون يصيحون أيضا « ايدك على رأسك » .. مبن اللي رعى
القنبلة على الدبابة ...

واقترب منه شاب في حدود الخامسة والعشرين أبيض ذو شعر معد
طويل يلبس أوفرول أخضر مزركش ويسير بكبرياء وخيلاء شديدين .. وفي
نفس الوقت حذر من المفاجآت ..
وسأله : « انت ضابط » ..

سأله وفي نفس الوقت مد يده نحوه فاخطف النظارة البيريسكول
وقذف بها لزميل له وقف بعيدا .. فتشبه ولم يكن معه شيء ذو بال سوى
النقود التي أخفاها ولم يعثر الآخر عليها .. سحبه بعيدا وقال : ارتد ..
ايدك قدامك .. اخفض رأسك ..

جمعوا الجنود في مكان والضباط في مكان آخر كانوا صديقنا وضابط
آخر ثم ابتدأوا يحضرون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود
وقف باقى الضباط وكانوا قد تخلصوا من رتبهم مذعورين .. منبئين عن
انهم ضباط .. عرضوهم على صديقنا فأقر ورصوهم بجواره .. وزعوا المياه
لكل فرد رشفة من زهزية معدنية مثلجة .. ماء ذو طعم خاص مخلوط
بالمغنيسيوم أو ما شابه ذلك ..

سأله أحدهم باللغة العربية وهو راقد : ماذا تعمل ..
رد عليه صديقنا بالانجليزية : مهندس معماري ..

ثم ابتدأ يتكلم بالانجليزية .. لم يكن يدرى لماذا فعل ذلك .. كل
ما شعر به أنه انطلق يتحدث بالانجليزية .. هل كان يتصور في ذلك
الوقت انهم لن يفهموا العربية .. أم لانهم اغراب كلمهم بلغة غريبة ..
أم أنه حاول لا شعوريا أن يفهمهم أنه مثقف مختلف عن الآخرين ويجب
الاحتياط ..

ولكن لم يذم هذا الحال طويلا فقد زعق بالعربية .. وكان الصوت
تادم من انسان اخر غريب عنه . « حرام عليكم .. حتملوا ايه فيهم
عندما شامدهم يجهبزون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود .

التفتوا لصاحب الصياح ليؤنبوه .. ولم ينفذه منهم الا قدوم عربية
جيب مركب بها جهاز لاسلكى وضابط كلهم بالعربية .. فتركوا الجميع .
الا واحدا منهم اراد ان ينتهز الفرصة لياخذ لنفسه بعض الاسلاب .. فمد
يده لينزع خواتم الزواج من الايدي . ولكن لسوء حظه انه قد ابتداً بذلك
الضابط الذى اخرج صورة زوجته يقبلها اثناء الموقف فصاح فيه هذه ليست
ملكى انها ملك الدمام وخوفا من الفضيحة تنازل عن رغبته فى الاسلاب ..
قوموا ... تقدم ضابط يدير الطاير .

وتقدم اقدمهم لبيير الطاير .. طاير من الاسرى !! ومع ذلك فلقد
كان يديره كما لو كان فى استعراض .. بالطبع لم يقصد هذا .. ولكنه
تعود ان ينادى على الجنود بنفس الطريقة خصوصا لو كان ذلك امام قائد
كبير يريد ارضاءه .. وهو هنا يحاول ارضاء آسريه .

الاسرى متعبون .. خائفون لى اى باكرة غير عادية تصدر من الجانب
الآخر فهم لا يأمنون لهؤلاء السائرين خلفهم .. اعدائهم . وجنود الاعداء
فرحون كانهم مجموعة من ارسنقراطى العصور الوسطى خرجوا للصيد
وعادوا بمجموعة نادرة من الحيوانات سليمة ..

ظل صديقنا يتفحصهم .. هؤلاء الاعداء .. هؤلاء المنتصرون
الاسرون المتحكمون فى حياتهم .. لا يمكن ان يضم جيش كل هذه
المتناقضات فى الملابس والسلاح والشكل واللغة والحركة والتصرف .

ملابسهم : مايوه .. (اى والله مايوه) قميص احمر وبنطلون
كاكى .. اوفرول اخضر وحذاء مظلات .. اوفرول رمادى .. اوفرول
اصفر .

اغذية رؤسهم : طائفة صوف مشغولة .. برنيطه رعاة بقر امريكية ..
طائفة مصرى .

أسلحتهم : خنجر - رشاش عوزى اسرائيلى - رشاش بور سعيد -
بنديقية بلجيكي - بنديقية تشيكي - بنديقية رش (أى والله رش) .

مجموعة متنافرة لا أساس لها . . ولا تكوين . . غريب . . حل عز ولا عم
اسروهم ابيض اسود . . اسمر . . شامى . . عراقى . .
مغربى . . يمنى . . مصرى . . تأمل صديقتنا ثم ضحك وربت على كتفه . .
سأله :

- ألسنت من الظاهر ؟؟

- نعم

- مدرسة الالهامية .

- نعم

- لقد كنت معك فى المدرسة .

- ماذا ستفعلون بنا .

حظكم رائع . . صدرت الأوامر الآن فقط بوقف اطلاق النار واخذ اسرى
قبل ذلك بحقائق كانت الاوامر باقتل ولا اسرى الا فى أضيق الحدود . ثم
دار حوار سريع بين الطرفين . . كل منهم كان يريد أن يتعرف على الطرف
الأخر . . حاول الاسرائيليون فى البداية تهذئة الاسرى . . لا تخافوا نحن
لسنا متوحشين . . ماذا تظنون بنا . .

بعد ذلك ابتدأت الاسئلة . . لو كان الوضع بالعكس ماذا كنتم
بنا فاعلين . ثم ابتدأت نغمة الفرح والتعالى . . ما رأيكم فى طيراننا ؟؟

كانت فرحة النصر تتلألا فى أعينهم وفى نبرات صوتهم . . لا يستطيعون
اخفاها . ولا يستطيعون تصديق أنهم نجوا من رهيهم فى البحر .

كانوا يريدون أن يتلفخوا برؤية زعب أسراهم وخوفهم وضياعهم .
لحظات غريبة تلك فى حياة الانسان التى يصبح فيها بلائمن ويمكن قتله
بسهولة لنزوة فى رأس مجنون . أو للتسلية . . لو أن جنديين مهوسين

من ضغط الموقف والارهاق نراهننا على أن يصيب أحدهما عين أحد أسراهم
اليمنى في مقابل زجاجة كازوزة .. لكان من حقهما . عندما كنا نسمع عن
إبطاره لهم السلطة للاطاحة برأس أى انسان لسبب واه او بدون سبب
كانت أجسادنا تفسر .. فما بالك بأصدقائنا هؤلاء .. الذين أصبحوا
بدون ثمن .. جردوا فجأة من الحصانة التي يتمتعون بها طول عمرهم
ولم يشعروا بنعمتها وهي الا يموت أى منهم بدون مبرر . وبدون أن يدافع
عن نفسه ...

كان صديقنا يحلم وهو يتحرك في طابور الاسرى .. آه لو كان الأمر
بيدى لفرضت الحق والعدل دون دماء .. ثم أبتسم .. عدنا للاساطير
والخرافات الشرقية عندما يحلم كل منا بخاتم سليمان يحركه فيتحقق
له أمانيه .. لا عدل الا مع القوة .. وفي الوحدة .. والتدريب .. والعمل
المستمر .. والقيادة الواعية .. والانتصار يحتاج لعرق وتعب وتضحية
وايثار وغفل وبذل وتخطيط ووعى وتجانس بين المحاربين في الحياة
والمعيشة والهدف والمزى والايمان بالقضية التي يحاربون من أجلها
وهذا حدث لهم فانتصروا وافتقدناه فما نحن نسير في طابور الاسرى .

عندما قامت أول مظاهرة في القاهرة بعد الهزيمة .. وكان صديقتنا
قد عاد من الاسر .. كانت مظاهرة احتجاج على الاحكام الصادرة ضد قادة
الطيران .. اندهش صديقنا .. فلقد كانت أول مظاهرة يشهدها منذ أن
قامت الثورة .. أى احتاج الأمر لسنة عشر عاما وهزيمة عسكرية حتى
يستطيع الانسان المصرى أن يحنج ويعلن احتجاجه في مظاهرة
جماهيرية .. وودلو أنه انضم لها ولكنه خاف .. خاف عليها من أن يقبض
عليه فيقال أن المخابرات الاسرائيلية هي الحركة للمظاهرة فيفسد الهدف
منها ويفسد اسمه أيضا .. ان هذا الخوف في نفسه وفي نفوس الآخرين كان
يغريه بالتأمل .. وكان يقول هذا لجنوده .. انتم تخافوننى وأنتهى
ما استطيع ان أفعله هو أن أسجنكم لكن ماذا ستفعلون مع اعدائكم وهم
يستطيعون ما هو العن .. أن يقتلوكم .. لا تخف منى .. كى لا تخاف
من عدوك فتستطيع أن تحارب .. الانسان القادر هو الانسان الخر المتحرر
من المخاوف .. الأمن على حياته ولقمة عيشه وعمله وحرية ..
فيدافع عنها ..

أحضروا لهم عربة مغلقة وركبوا فيها ٠٠ أو ركب من تبقى من الجزيرة
حوالى الخمسين ٠٠ والباقى تركوهم جثثا أو أشباه جثث بين كودى
الحشميش ٠ قفلت العربية من الخلف بأذلال الكيود المشمع واضلمت الدنيا ٠٠
وأصبح كل منهم مع نفسه وفى مواجهتها وتصاعدت الاحداث لا يعرف من
القاتل ومن المتقى ٠٠٠

- ابعده يا أخ شويه ٠
- يا بنى هنا مكان الضباط
- هو هنا كمان ضباط ومش ضباط ٠٠ كلنا أسرى فى ايديهم ومفيش
حد أرجل من حد ٠
- آه لك حق الراجل كان وانا نفسه ٠
- الوحيد اللي فيكم الرائد الذى صرخ علشاننا ٠ يا أخى راجل فعلا
لا قال كلام فارغ ولا اتهم زى الثانيين ٠
- لولاه كنا متنا ٠٠

كانت هذه الكلمات نياشين علقت على صدر صديقنا رغم أن قائلها
لا ينتظر مكافأة على ذلك ورغم أنه لم يتصنع لثقال له ٠٠ وأبتسم ٠٠ حتى
فى أحلك الظروف يستطيع الانسان أن يرضى عن نفسه ٠٠ ولكن ماذا فعل
ليرضى عن نفسه ٠٠ لم يخلع رتبه وينكرها ٠٠ ثم يعود ليتمسح بها ٠
دافع عن الجنود بأضعف الايمان وهو الصراخ ٠٠ لم يتكلم بدون سبب
ولم يسمع أسريه ما يحلو لهم ٠٠ وتعلم من ذلك درسا الا يتخلى عن قيمه
حتى أمام الموت وليمت رافع الرأس ويتحدثون عنه ويستمدون من صموده
قوة ٠٠ خير من أن يبقى ويرى نظرات الاستياء والاحتقار فى عيون الآخرين
٠٠ ان العيون ترصد كل العيون وتقوى وتضعف بها ٠ وعليه أن يكون مصدر
قوة لنفسه وللآخرين فى أزمتهم ٠٠ ووجد يده تمتد لتربت على رأس ما
تبكى ٠٠ لا تبك يا رجل ٠٠ لا تحزن ٠٠ لقد ادبت واجبك ٠ ولنستفد
من الدرس ٠٠ ان جبن وقذارة واستهتار الآخرين تهمنا جميعا لان حياتنا
مرتبطة بهم وبتصرفاتهم ٠٠ فلا نتركهم يلعبوا بأقدارنا بعد الان ٠٠ لو
لو قدرت لنا الحياة ٠

وقفت السيارة أمام مبنى ٠٠ ضوء الشمس اختفى تماما وحل الظلام
مجموعة من الجنود الاسرائيليين وأمامهم برميل ممتلىء بالماء وكوز ٠٠ قفز

الاسرى بالتتالى من العربية .. وتم تفتيش كل منهم .. جبوبه .. ملاهسه
.. ويخلع حذاءه وشرابه .. ثم يشرب كوز ماء .. ويغسل الميني .. الاضواء
خافتة .. ونسمة هواء باردي تلمح كل من ينزل من العربية فيرتعش ..
اصوات تنطق لغة غريبة على الاذن .. كأنه كابوس أو احد أفلام فليپيني ..
يفرك عينيه لعله نائم .. ثم يتيقن أنه يعيش هذا الحدث عندما تلمسه
أيدي حقيقية لتفتيشه .. يشعر بالارهاق الشديد أملة في الحياة الان أن
يرقد لينام .. لا يعتر المفتشون على النقود هذه المرة أيضا .. يجلس
الى المبنى .. الاضواء قوية .. يطلب مقابلة ضابط ..

.....

- عندى اقوال خاصة ..

.....

- معى مائتان من الجنيهات المصرية اريد أن احتفظ بها معك ..

.....

- انها مرتبى عن شهرين ..

.....

- هل تريد الحق أم كلاما يناسب الموقف

.....

- نعم احبه لقد فعل لنا الكثير .. ابتداء من الاستقلال وتأميم القنال

حتى بناء السد العالى ..

- فعلا عبد الناصر لا نستطيع ان ننكر انه زعيم عظيم .. ولكن

غلطته الوحيدة انه اغلق مضيق ثيران ..

لماذا قال هذا الكلام في هذا الموقف بالذات .. وبعد أسره بمدة

بسيطة .. لا يدري .. هل هو عناد قومى لم يكبح .. هل هو رد فعل

للشعور بالنقص .. هل عن ايمان ساحق .. هل ليكتسب احترام عدوه

بشجاعته أم كان للكلمات التى قيلت عنه في ظلام العربية اثر .. أم لجميع

هذه الاعتبارات ..

اشار له الضابط للمكان الذى سينام فيه .. كان صالة اسكوانتش

راكت في مبنى بسيتاء لا بد وانه مطار .. فلا يلعب الاسكوانتش في سيناء

الا الطيارون .. وفيه يوجد منصة أو بلكون للمراقبة معلق بها كشافات

قوية مسلطة على عدد من الاسرى المصريين الراقدين على الأرض كل اثنين منهم ملتفان ببطانية والحراس اليهود بجوار الكشافات ممسكون برشاشاتهم ينادون « كله ينام » بتهديد . ولم يكن الاسرى في حاجة ليذا التهديد فسرعان ما استغرق الجميع في النوم .

يقولون في المثل الشعبي الجوعان يحلم بسوق العيش . كان صديقنا يحلم بأنه ينام على سريريه بالقاهرة مريضا يتأوه . والدته تضع كفيها على جبهته . عندما هزه زميله أو شريكه في بطانيته ليستيقظ . كان الضوء الطبيعي يملأ المكان . وكان معظم النائمون قد استيقظوا واستطاع ان يتبينهم جيدا . كان معظمهم من الضباط برتب مختلفه رواد ونقباء وملازمون . وبعض المتقدمين كانوا يجلسون على الارض مقرفصين في استسلام . انتهت نظرات الرعب من أعينهم . وحل محلها نظرات هي خليط من الاستسلام والترقب . وكان جندي اسرائيلي طويل الشعر على موضه البيتلز قوى يرتدى ملابس ملتصقة بجسده ويتصرف كنجوم السينما . يجمع البطاطين ويزجر الاسرى أمرا اياهم بالجلوس بجوار الحائط . وكان أخز يمر عليهم بقطع من البسكويت والجبن الذي استولوا عليه من مخازن الجيش المصرى كوجبة أفطار .

ورغم أن معظمهم لم يتناول طعاما منذ مدة الا أن أغلبهم اعاد الاكل كماهو ورفض المزيد . كأنهم متفقون على الا يأكلوا . الاعناق تنجح لأعلى . ثلثي المنصة نساء . لم يروا نساء منذ شهر مجددا اسرائيل يطلن عليهم . كأنهن ينظرن الى حيوانات غريبة مجموعة قرود في أقفاص بحديقة الحيوان . او قل قرود بجبلالية القرود .

لا بل الآخرون هم الذين يتفرجون عليهن كأنهن معلمات سيئما خارجات من عند الكوافير لتوهن . أحمر الشفاه . الملابس المتصقه بالجسد . الصدور النافرة المتمردة على قمصائهن . الميني جيب . أه هذا جيش العاهرات . لقد كان الامل في امتلاك واحدة منهن سببا قويا للحرب لعديد من الضباط والجنود .

ها هن يتسلبن بالفرجة على رجال مصر الاشواس . لا بل وايضا يقذفن قطع الشكولاته لهم . تماما كما نفعل مع قردة حديقة الحيوان .

العجيب أن بعض الاسرى أخذ الحلوى وفكها وابتلعها بين نظرات زملائه ... حتى الانسان عندما يحبس يمكن أن يتصرف كالقرد ...

رقيب اسرائيلى يسأل .. هل هناك من يحتاج لطبيب .. وأجاب
بلاياجاب أكثر من شخصين .. وحضر الطبيب .. كشف عليهم .. تأدية واجب
وواجب ثقيل فهم من ساعات كانوا قاتليه ... أعطاهم
بعض الاقراص المسكنة أو المهدئة .. كى يترك لنطباعا بانسانيتهم ولكنه
للأسف كان طبيبا وليس ممثلا فلم يجد الدور ...

انتصف النهار .. ثم نودى على صديقنا .. أعطاه رقيب اسرائيلى
نقوده .. كان يعدهم له بالعبرية آحاد .. أشنين .. ثالوث .. مائتى ليره
.. ليكتشف لأول مرة قرب اللغة العبرية من العربية ..

سأله .. ماذا سافعل بها .. رد الاخر .. اعطيها لمن سيستلمكم
في المسكر الاخر ..

عربات لورى مدوّنة من الداخل بمقاعد للجلوس .. ركبها اسرائنا وعندما
طالبوا بالماء قالوا لهم هناك .. عندما طالبوا بالطعام .. قالوا لهم ايضا
هناك .. اقبلت العربات من الخلف كعادتهم في نقل الاسرى أصبح الضوء
قليلاً .. المقاعد متقاربة لدرجة اصطدام أرجل الجالسين متقابلين ..
صديقنا يواجه رائداً .. يبتسم ابتسامه خفيفة .. سمات وجهه تقول
« عزيز قوم ذل » .. صامت كأنه لم يتكلم أبداً ... سأله :

- سيادتك منين

- مدفعيه (باختصار شديد)

- زعلان

- لا فرحان قالها بقرّة وتهكم -

وشعر صديقنا بأنه كان سخيفاً .. ولكن الرد كان التسى ... وأصبح
السكوت - أفضل عمل .. ولكن السكة طالت - سأله :

- الى أين

- علمى علمك

وكان هذا الرد نهائية لاي محاولة لفتح حديث آخر فسكت ثم سرح
ثم هاجمته أفكاره .. ترى ماذا سيفعلون بهم .. نزع الاظافر .. تكسير
الاسنان .. شدد الشمس .

هكذا على الأهل يفعلون في معارضيتهم في مصر ... وخصوصا من يخع
منهم بين أيدي رجال السجن الحربي ..

حقا اذا كانوا في مصر يفعلون هذا في المعارضين مجرد معارضين
فماذا سيفعل اليهود بإسراهم .. أو قل أعدائهم .. ونزع نفسه من أفكاره
.. أين يستطيع الانسان أن يعيش .. كل المعالم تحول الى غابة مرعية
.. أكثر ضراوة من غابات الانسان الاول .

وحك ففنه فهو لم يتعود على اطلاتها بهذه الطريقة .. شعره أيضا
اتسخ واصبح متربيا .. يريد أن يستحم أن ينظف نفسه .

ترى ماذا سيقولون عنه أهله .. أصدقائه .. قائد الكتيبة ..
ورئيس العمليات الهاربان .. وشعر بمرارة .. ترى هل سيعبر اليهود
القتال .. هل سيصلون للقاهرة .. يقولون وقف إطلاق نار .. ترى الى
أى حد وقف القتال ...

كشفت غطاء العربية .. غابت الشمس وعم الظلام .. قفز من العربية
.. تمايلته لفحة البرد نفسها .. الى أين !! يضع يده في جيبه بظلولته
ويتحرك بكسل ... على الجانبين يقف جنود اسرائيليون أحدهم يزعم
ويطوح برجله في الهواء ليضربه بالشلوت يجرى فتصدم قدمه بمن يأتي
في الطابور بعده .. يضحك رغم المأساة .. كمة ضخمة على الارض
ملتفة مثل أصبع الكنافة .. تتكون من رجال نائمين على الأرض عشرات
.. مئات الاسرى .. حتى ليخيل لك أن كل الجيش المصري تم اسره ياخذ
دوره في الكمة .. المكان محاط بكشافات ضخمة من كل اتجاه .. كأنها
تضئ حلقة سيرك .. وصوت الموتورات عال والخزاس يطلقون
الرصاص فوق مستوى الرموس الراقدة مباشرة وهم يصيحون « ناموا كلكم »
ان الناظر لهذا المنظر يتخيل أنها ابادة جماعية في معسكر من معسكرات
النازي وأن اليهود ينفسون عن عقدهم القديمة ..

ولكن لم يمنع هذا بعض الهمسات التي تجاوبت من أطراف الكعكة . .

—

— طر مطرحك .

— أريد أن أشرب .

— ما في ميه . .

— آه . . . آه . . .

— اسكتى

ووجد صديقنا فوق رجليه المثنيتين من البرد رأسا صفراء تتساوه
ربت على الرأس . . فوجد وجهها متورما من الضرب . .

قال — عطشان حموت

— اسكت الا ترى الرصاص .

آه . . آه . . آه . . آه .

كان الصوت يؤلمه . . حتى فقد رغبته في الحياة . فصاح ليخفف
عنه

— يوجد مريض هنا . . .

وكان الرد — اسكتى . .

— انه يموت . . كمحاولة أخيرة متسترا بالظلام . . .

• وجاء الرد — تعالى • يلهجة التوعد والتهديد •

وذهب صديقنا للحارس في نوبه شجاعة مفاجئة . . أو قل في محاولة
دقيقة للانتحار والتخلص من قسوة الحياة • ولكن وللمعجب اشار الآخر الى
دورق مياه وقال :

— خذى من هنا ميه

— لا يوجد به الا قليل

— خذى من هنا الباقى . . وأشار لدورق آخر . .

أخذ الكمية المتوفرة في الدورقين فلم يكفيا ملء نصف كوب . . وذهب
للرأس الصفراء يسقيها • رفع رأسه على رجليه وأبتدأ يسقيه . . وفجأة
امتدت يد أخرى تخطف الكوب . . صرخ ابعده ايدك الرجل يموت . . فهل
كان من المعقل أن يضحي ويغامر لكي يسرق انتهازي الماء ويحرم منه المريض •

وهكذا مضت ليلة كثيبة يعجب كل من عاشها كيف مضت. حقا ان الانسان
آلة رائعة متكاملة .. ففى الاوقات التى تصبح فيها حياته مديدة بالفناء ..
تنبعث من داخله قوى خفية تحميه وتمده بقوة لا نهائية من التحمل والتكيف
.. منها الاحلام ..

الفجر يبزع ثانية .. أشعة الشمس تدفع الاجساد .. وما هم يرون
بأعينهم ماكانوا يلمسونه فقط ليلا .. الرأس الصفراء غلام لم يتجاوز
العشرين .. زملاء مازالوا يلهون أمام الأمريكين وجروبي وفى حلقات
الرقص وجهه كله كدمات كأنما هو قد أنهى لتوه ماتش ملاكمة وفى نحافته
وشعره الاصفر الطويل وذقنه التى مازالت بكرأ أحساس بالثسقاوة
واللامبالاة ..

على الجانب الاخر نتوء عال هو كرش مقدم مازال نائما .. من الناحية
الآخري زميل نقص وزنه خلال هذه الايام بصورة ملفته .. ماذا حدث ؟؟ ..

شعور طويلة .. ثقون غير حليقة .. تراب يكسو الوجوه والملابس
والشعر .. كأنها أشباح خرجت من قبور السنين تلعن العالم ..

وهؤلاء لم يكفهم ما أصاب جنود مصر .. فاحضروا مجنداتهم المزوقات
ليتفرجن عليهم الغريب أن القلوب الرقيقة والعيون الحساسة لم تدمع لسحق
الانسان لاخيه الانسان واذلاله ..

ترى لو امتيحت لهن الفرصة لحضور حفل فى نادى الضباط .. هل كن
يرين فى هؤلاء الرجال شيئا يدعو للتسلية .. !!

ارتفعت الشمس الى منتصف السماء .. وازدادت الحرارة .. وتصيب
العرق .. وجفت الحلق .. وفقد الرجال اتزانهم فهتفوا ..

... يحيا أشكول (أخص .. أخص) ..

... يحيا موسى ديان (مش معتسول) ..

... نريد أن نشرب (آه .. آه) ..

النسوة يسالن .. النسوة بيتسمن .. الرجال يضحكون .. فئاطيس
المياه تحضر .. المياه الباردة تملا الحلق .. تضغط على الانف ..
تختلط بالرمال لتكون طينا على الجباة .. والوجوه ..

- اصعدوا للعربات .

عربات لورى مكشوفة مثل التي تستخدم في نقل الرمل والزلط

ابتدأوا يرمسون الاسرى داخلها بأن يجلس صف قرفصاء ثم يأخذ كل فرد في الصف زميلا آخر بين ساقيه الذي يأخذ زميلا آخر بين ساقيه الذى يأخذ زميلا آخر . . وهكذا وضع غريب وطريقة أغرب للنقل يصعب ان تستخدم حتى في شحن الحيوانات فقد يهتهم صاحبها بالالتفك على الاقل .

- انزل اركب الاتوبيس .

اتوبيس سياحي فاخر . . شىء غريب من الضد للضد مباشرة ما معنى هذا ؟؟ واصبح اصدقاؤنا سياحا . . مع سائق أنيق يتكلم الانجليزية ووظيفته مهندس معمارى . . . مثل صديقنا .

اعطاء علبة سجاائر . . أخذ سيجارة منها ثم امتدت يد من الخلف فاخترت العلبة . . رائد ذو عينين زرقاوين نارى . . يحتفظ بالعلبة لنفسه .

السائق يلاحظ ما حدث . . فيعطيه لباننا يفرقه على من حوله من الزملاء في حذر من ذى العينين الزرقاوين .

زجاجة ويسكى صغيرة . . رشفة منها قد تدفء . . الزجاجاة يتم تداولها بسرعة .

- نحن نحب السلام « آه يا عقرب اى سلام هذا »

.....

- انا جميع اعمالى متوقفه بسبب الحرب « ونحن ماذا فعلتم بنا . . . »

.....

- بلدنا متقدمة « بالمدفع والطائرة . . . »

.....

وابتداً غسيل المخ . . بأحدث الطرق العلميه . . القسوة الشديدة . . يعقبها اللين والاعتذار بقلة الامكانيات والمحافظة على الامن . . هكذا نفذها الالمان

- وهكذا قام بها أدوات التعذيب في المعتقلات السياسية •• الدعاية نصف الحرب • واستجاب البعض أحدهم قال بسعادة غير متوقعة ••••
- اليهود في الراديو كانوا دائما ما يقولون •• سينضى الاسرى غدينا اجمل صيف على ضفاف البحر المتوسط في حيننا •
- والله ناس محترمين ينقلوننا في اتوبيسات سياحية •

وانفجرت الستائر قليلا •• اطل منها صديقنا •• انه يعرف هذا الطريق انه الطريق الى العريش •• وما هي محطة الابطال ونصب الجندي المجهول •• بجوار النصب عربة جيب مضروبة تتدلى منها جثة متفحمة سوداء من فعل النابالم •• اكيد هذذه جثة ضابط فجراب الطنجة يتعلق من وسطه •• الكلاب تنهش الجثة •• فطار مضروب بالنابالم •• جثت لا اول لها ولا آخر وجوه محروقة يكسوها الرعب •• الرائحة النفثة تزكم الانوف المرائق يلاحظ الامتعاض الذي على الوجه •• يقفل الستائر ويتكلم ••••

- نحن لا نريد الا أن نعيش فقط
- ••••• (الخناق ممتلئه بالجثث •)
- نحن نحب السلام •
- ••••• (دبابات معطلة داخل حقول الغام)
- لماذا تكرهوننا نحن نحبكم
- ••••• (عربات مشتعلة حتى اللحظة •)
- اقفل الستائر •••
- لماذا ••••• ؟؟
- اوامر •••••

ولكن حب الاستطلاع تغلب على الخوف قفلوا الستائر وتركوا اجزاء منها تسمح بمشاهدة محدودة •• قرب الشيخ زويد •• كانت خسائرهم •• دبابات محروقة •• سيارات مشتعلة وقطارا محملا بالخسائر ••

الحرب على الجانبين •• ولكنهم يحطمون اسراهم بالسماح لهم برؤية خسائر الجيش المصرى •• ويمنعونهم من رؤية خسائر الجيش الاسرائيلى ليتخيلوا أن الحرب قد حدثت بدون خسائر من جانبهم ••

لقد بدأ غسسيل المخ فعلا احذروا أيها الاحباب. احذروا .. رفع ..
غزه ويتجه الاتوبيس الى الطريق المنوع طالما نظروا اليه من قبل وتساءلوا
تري ما الذى خلف هذا الطريق .. لقد أصبحوا الان فى اسرائيل .. الليل
يرخي سدوله ويخفى المعالم .. العربة تسير بسرعة .. الحفء والكراسى
الريحة .. والنوم يهاجم معظم أصدقائنا بعد معاناة طويلة فى الليالى
السابقة .

عندما عاد صديقنا من الأسر ووجد ان معظم اهله المصريين قد هربوا
من المواجهة سواء بالمرض أو الهجرة أو التطرف أو اللامبالاه والتملل ..
اهتزت .. كانت صدمته فى بلده أكبر كثيرا من صدمته فى أسره .. وكاد
أن يفقد الأمل .. فأصبح يجرى خلف أى هاتف .. حتى ولو كان شاعرا
أو منشدا يلتف حوله بعض الشباب يصخبون وينفثون عن مشاعرهم
أو مجموعة من الشباب الصغير الذين تخيلوا أنهم قادرون على تعديل ما اعوج
بالخطب والشعارات .. وغاص .. لاذنيه يشاهد .. ويتكلم .. ويناقش
.. حتى اكتشف أن هذا أيضا هروب .. ولكن ما كان يحزنه ويصنئه ..
هو الى اين .. وكيف يمكن اجتياز الأزمة .. وهرب هو أيضا .. هرب
بدخوله مستشفى القوات المسلحة قسم الامراض العصبية .. كل ما فعله
أن أخرج ما بداخله للأطباء قال لهم الحقيقة وما يشعر به من أزمة ..
فحجزوه للعلاج وهناك عرفته .. (شاب رومانسى) .. يرتدى روب دى
شامبر أحمر .. ويديه راديو ترانزستور يستمع من خلاله الى الموسيقى
وبجواره عشرات الكتب يقرأها ليفهم .. كتب فى علم النفس .. والتاريخ
.. والادب .. والسياسة .. كان لا يتكلم الا قليلا .. وينصت كثيرا
.. وفى بعض الاحيان يكتب .. وأعطاني ما كتب ورقات متناثرات أشارتنى
الى درجة كبيرة .. وكان لابد من استكمال أحداثها .. لذلك فلقد داومت
على الجلوس معه واستنارته بأسئلتى ودونت ملاحظاتي على هذه الاسئلة
.. حتى تم الجلاء .. فزرتة لاعرف ماذا تغير فيه بعد أن جلا آخر جندي
اسرائيلى - وهكذا ولدت هذه القصة ..

صحا أصدقائنا على ضجة .. فوجدوا أن الاتوبيس يتحرك فى مدينة
ما .. عرفوا بعد ذلك انها بئر سبع .. مباني صغيرة ذات أسقف منحدره
مغطاة بالقرميد الاحمر على الطريقة الانجليزية .. أو الأوروبية من كل منزل
تظهر مدخنة بعضها يخرج منها الدخان دليل على أن بداخلها عائلات تتمتع
بالدفء والطعام الساخن بينما ملصق عليها افيشات أقلام حديثة تشبه

الافيشات التي كانت ملصقة أمام سينما كايرو وكان الفيلم المعروض ه صوت
الموسيقى « ٠٠ الأولاد والبنات حول السينما في انتظار الدخول أو الخروج
٠٠ البنات يرتدين الميكروجيب ويصفن شعرهن بطريقة ديل الحصان ٠٠
نفس المناظر واللامح التي يمكنك مشاهدتها في مدينة ما في أي بلد في أي
مكان من العالم ٠٠٠

الاتوبيس يقف داخل محطة بنزين ٠٠ يدخلون من الشباك خرطومًا
من مياه متخاطفه الايدي ٠٠ مريض يئن راقد بقاع العربة ٠٠ فقد شرب
بوله ثم شرب ويسكى لتسكين الالم ٠٠ ويطلب ماء بالحاح ٠٠

الحارس يسبه ٠٠ أخذ الضباط يحاول تهدئته اسكت يا شيخ معهد
الحارس يضربه بكعب البندقية ٠٠ يحاول أحدهم اعطاه خرطوم المياه لفض
المشكلة الحارس يضرب الاخر أيضا بكعب البندقية ٠٠ يسود السكون
العربة بعد ذلك ٠٠ السائق يعود ومعه علبة سجائر توزع - العربة تتقدم
٠٠ ثم تتف ثانوية ٠٠ المدينة في مهرجان وسعادة ٠ يلتف حول العربة
مجموعة من البنات يصحن ٠٠ واحدة منهن تخذل من الباب تبصق على
الراكبين ٠ فبيعهما الحارس ٠

العربة تتحرك على طريق صحراوي حوله معسكرات ٠٠ ثم تقف أمام معسكر
منها عبارة عن مربعات من الارض الفضاء تحيطها الاسلاك الشائكة وتفصل
المربعات طرق مخططة على شكل رقعة شطرنج ٠٠ يدخلهم الحراس أحد
المربعات ويعيدون تفتيشهم ولاول مره يسجل أسماء الاسرى ٠

(اسمك - تاريخ ميلادك - وحدثك - هل معك امانات ٠٠٠)

ينقلون الى مربع من المربعات الفارغة ٠٠ الهواء أكثر برودة ٠٠
ثم يظهر الفجر سريعاً ٠٠٠ فالنهار بحرارته ٠

قائد المسكر تصير متفطرس ٠٠ أبيض ٠٠ يدق الأرض بقدميه بقوة
اله من آلهة الرومان ٠٠ أو جنرال المائى نازى ٠٠ كلماته مفتعبة ولكن
لها تأثير السحر ٠٠٠

- ماذا تريجون ٠٠٠ آآ

- خيام .
- خيمه للضباط فقط .
- مياه - اكل - دورة مياه .
-

حرارة الشمس تزداد •• والعطش •• والجوع •• والتصرفات النازية أعطت انطبعا بأن الهدف من هذا المعسكر هو افناء الاسرى وتمر الساعات •• نريد طيبيا لمكان الجنود يسرع احد الاطباء ويعود ويضحك بسخرية •••

- أحدهم غرق •• في وسط الصحراء •• فلقد وضع رأسه في الجردل وضغط عليه زملاؤه فغرق ••

هناك من مربعات الجنود •• يحيى موسى ديان •• كان الحراس يفتنون السجائر والبريقال •• والجنود تتخاطفها وتتصارع عليها •• كل حارس كان معه آلة تصوير يسجل هذه الكوميديا •• أو قل تراجيديا هزيمة الانسان • والضباط أيضا •• أهدوا رتبهم في مقابل السجائر والصابون واللبان والشيكولاته •• بعضهم تمادى فسمح بالتقاط صور له مع الاعداء •••

أحضر الاسرون بعد ذلك الطعام •• قوالب جينه وأنابيب مربي وأرغفه عيش ضخمة كالسيجار •• وكلها اسرائيلية في هذه المرة • وتطوع بعض الضباط لتوزيع الطعام على الجنود •• وبعدها تعالت الشتائم •• كل ما لم يستطع الجنود أن يقولوه لضباطهم من قبل قالوه في ذلك اليوم •• يا حرامية تسرقون أكلنا حتى هنا ••••• ابتمدوا عنا •• اليهود أكثر عدلا •• ولم يستطع الآخرون الرد •• أولا لأنه لا يوجد سجن أو حجز تشسائق أو ضرب أو حرمان من الاجازات •• وثانيا : لأنها حقائق فإن بعض الضباط كونوا وسريعا شلة منفتحين تخفى كل ما تستطيع توفيره أو الحصول عليه من طعام ثم تتقاسمه في الخفاء ••••• بالمحسرة •• لقد هزمنا ••

مر النهار ببطء شديد •• وجاء الليل وفي هذه الايام تلاحظ أشياء لم تكن لتلاحظها من قبل •• مواضع الشمس في السماء وحركة الظلال •• اختلاف درجات الحرارة •• وهكذا •• وكان الجنود الاسرائيليون قد

مدوا خطوط مياه حتى كل مربع بواسطة مواسير في نهايتها مجموعة
حنفيات • وحفر الجنود المصريون حفره غطيت جوانبها بالخشب والخيش
واستعملت كدورة مياه •• وفرشوا خيمة كبيرة للضباط •• فأصبحوا
يعيشون في مربع ٢٠ x ٢٠ متر محاط بالسلك الشائك والاعداء •

ونام الضباط من الارهاق •• وجروهم مغطاة بطبقة كثيفة من التراب
مغلوبون على امرهم استسلموا • وتضاعفت رائحة دخان سجاائر غريبة
تشبه السجاائر العربية ومآلت الخيمة •• فتتبعتها بعض الضباط •• حتى
وجدوا مصدرها •••

- من أين •

- اعطاني اياها الحارس •

- نفس من فضلك

- خذوا خذوا واحده وابتعدوا عني ••

والثف عشرة من الضباط تحول سيجارة كريهة الرائحة •• يخضون ••
الهدية الدرجة تستعيد المادة الانسان ••

أحدهم يرمس •• سننقل الى معسكر آخر •

- كيف عرفت •

من الحارس صديقي •• لقد كان كومسيونجى في مصر •• ويجب
المصريين وكرمهم ويتكلم عن الفطير المشلتت والعسل النحل والزبدة ••
- وماذا قال لك صديقك هذا •• !!

سننقل الى معسكر جديد - في مكان ما - به حجرات ومياه ساخنة
وبارده وسراير وملايات والأكل في ميز •• وسجاائر •• وكل ما سنطلبه
سيجاب •

- اليهود قالوا هذا الكلام في اذاعتهم اثناء الحرب •

- انهم لا يكرهوننا •• انهم يكرهون نظام الحكم •

ورد آخر بأستقزاز - ماذا حدث لآم هل نسيتم أننا بين ايدي اعداء
وهم سيفعلون بنا ما يشاؤون • هذا جزء من مخطط • واسكتة أكثر من

صوت - بلاش دوشه .. ألم تكفيننا محاضراتكم وكلامكم المزوق ..
الم تربمينيك الاتوبيسات ومستوى الاكل ...

واحتار صديقنا .. اى الاطراف صحيحة . ثم تنبه انه متشدد
لا يقبل اى نفاس والاعجب من ذلك انه يحكم احكاما مسبقة على هؤلاء
القوم .. الا يجوز انهم بشر فعلا وانسانيون .. الا يجوز انهم واقعون
تحت تأثير دعاية وفكر غير صحيح .. هل يضع نفسه في توقعه ويفلقها
عليه فلا يرى او يسمع او يفهم .. الا يجب ان يفتنهم فرصة قربه من
اعدائه ويتعرف عليهم بشكل افضل ومن خلال ملاحظاته الذاتيه .

كل ما فى الامر انه اعتاد ان يتلقى من القيادة .. ماذا يضر لو انه
تلقى من راسه هو .. اليس هذا الحارس يشبه والده .. انه يبتسم
بود لماذا تحول هذا البرىء الى اداة فى ايدى مجموعة من الاستعماريين مثل
موشى ديان يستخدمونه لضربهم وقهرهم واقنع صديقنا نفسه بان
يخوض التجربة يرى ويسمع ويفهم ولا يحكم احكاما مسبقة على الجميع
ولكن يحذر فهو بين ايدى اعدائه .

طلبه احدثهم من معسكر الجنود بواسطة الحراس .. فذهب لرؤيته ..
كان احد صف ضباطه ..
- سلامتك .
- ساموت يا فندم
- لا كلها كام يوم وتبقى زى الحصان
- وصيتك اولادى
- سترجح لهم بالسلامة .
- مش معقول حيموتونا .
- اصمد سير حلونا قريبا لمسكر افضل وستعالج هناك .
- ربنا يسمع منك .. اولادى وصيتك .

وجاءت اول وجبة ساخنة يذوقونها منذ شهر .. جردل منتلئ
بالبطاطس واللحم كل عشره لهم جزء .. الطعام لذيذ ولكنه قليل ..
واسترخى اصفاؤنا ... وابتدأوا يتكلمون .

- الناس دى بتموتنا ببطء ٠٠ صباحا وانتم نائمون على الأرض
- تأملت وجوهكم فشعرت برعب من المنظر ٠٠ التراب والأرض والشعر الطويل
- والخقون غير الحليقة والعيشة اللاأدمية ٠٠٠
- وهل تظن أنهم سيلفوننا بحرير ٠
- العساكر مبسوطه ٠٠٠
- والله غلابة ٠ على الأقل لدينا خيمة ٠٠ وعم لهم الشمس والهواء
- والحر نهارا والبرد والندى ليلا ٠٠٠ -
- لم يحدث تغيير كبير في حياتهم ٠٠ هذه عيشتهم دائما ٠٠ المهم
- اننا لم نتعود على ذلك ٠
- بهذا الشكل سنموت ولن يحدث لهم شيء ٠
- ألسنا رجالا مثلهم ٠٠ يجب أن نعيش ٠
- ولكننا متعلمون ٠
- ان لم يفدك العلم في التكيف الاسرع والافضل فلا اهمية له ٠
- هل ستبقى للأبد هنا ٠
- الاتفاقيات الدولية تنص على ان كل ضابط له سريريه وملابسه
- واكله وسجائره ومصروف ايده ٠
- طظ بالاتفاقيات الدولية ٠٠ منذ متى احترم الاسرائيليون اتفاقيات
- دولية ٠
- لكن دى سمعة دولية ٠
- منذ متى ايضا اهتموا بالسمعة الدولية لذلك ضربونا بالنابالم
- لا تكن ظالما فهم يحاولون التعاون ولكنها الامكانيات ٠
- ثانيا امكانيات ٠٠ ألم تشبع من هذه الكلمة التى نعلق عليها عجزنا ٠
- هل رأيت الاتوبيسات التى أحضرونا فيها ٠
- وهل رأيت عربات الزلط التى كنا سنركب فيها ٠
- انهم فى منتهى الذكاء صوروا لنا انهم قادرين على شحننا كالبهائم
- ثم أركبونا اتوبيسات سياحية ٠
- لتعذر أى تصرف حقير يتصرفونه معك بعد ذلك وترجعه الى نقص
- الامكانيات ٠ ولكن حسن النية مقوفا ٠
- لو أننا أسرناهم ماذا كنا سنفعل بهم ٠
- تدفن رأسك فى التراب ٠٠ كنا ذبحناهم طبعا ٠

- ومن أدراك أنهم لم يخيخوا غيرنا .
- سأل أحد شلة المنتفعين عن موعد رحيلهم الى المعسكر الجديد ..
- فقيل خلال ثلاثة أو أربعة ايام وعندما ناقشه بعض زملائه في مدى
- العلاقة بينه وبين الحراس رد .
- هس .. لا أريد كلام أكثر من اللازم .. ستقولون عميل .. موافق
- .. عميل عميل .. عندما أعود بلغ عنى .
- وانفلك آخرون كأنما كان هذا الحديث اشارة البدء ..
- اسأذا نحاربهم
- اذا لم نكن في مستوى قدرتهم فلماذا نعاديبهم .
- ثم تندر آخرون على أنفسهم
- نحن اقوى طيران في الشرق الاوسط - سننقى على اسرائيل
- في ٤٨ ساعة
- اضرب .. اضرب .. اضرب .. لجل الصغار . لجل الكبار
- انهم متقدمون جدا .. مدوا المواسير في قنائق .. سوف لو تمان
- عندنا كان أحد وقتت اد ايه .
- كانت الصدمة قد هزت ايمان الجميع ثقهم في أنفسهم وبدون استثناء ..
- وجملتهم يراجعون مبادئهم المتوارثة .. وكلما كانت درجة الاقتناع سطحية
- .. كلما كان الانبهار اكبر . فأصبحوا يقدرون العدو بأكثر مما يجب
- ويبخسون أنفسهم حقها أكثر مما يجب أيضا .
- وهكذا فان الجنود بإيمانهم الاجوف النابع من تعصب دينى شيفونى
- سرعان ما حدث انهيارهم ودفعمهم هذا للهتاف لقادة أعدائهم . والضباط
- بعنترياتهم الجوفاء أيضا تعرضوا لهزات متفاوتة الدرجات من الانهيار ..
- تتراوح بين التعاون التام مع العدو الاملس وخدمته في سبيل بعض الامتيازات
- ومين مراجعة موقفهم من القضية والاستعداد لرؤية الموقف بأعتبرات جديدة .
- وهذا ما حدث لصديقنا .
- أصبح مستعدا لسماع وجهة النظر الاخرى والتعرف على العدو بروح
- محايدة جديدة بحيث لا تمس كرامته أو كرامة وطنه .. وتنبهت غريزه
- الاستطلاع لديه ليجاول أن يعرف ويفهم ويستفيد من التجربة الجديدة أقصى
- استفادة ..

وفي سبيل ذلك ابتداءً يراجع قيمه وأفكاره القديمة في ضوء آتون النار
الذى وجد نفسه داخله مرغماً .

صباحاً .. جاء البشير .. سترحلون وانتقلوا من يد الى يد حتى
وصلوا الى العربات .. عربات نقل الزلط .. ثانية ولكن في هذه المرة تسحنوا
فيها فعلاً بطريقة لا انسانية للغاية جلس كل منهم مقرصاً .. فاتحا رجليه
ليدخل بينهما زميل آخر ووضعت على عيتي كل منهم عصابة من الشاس
وانقطان كان صديقنا في اول صف ملاصق لجدار العربة ويجلس بمحاذاة
رأسه فوق الكابينة حارسان اسرائيليان بيدهما رشاشات وتحركت العربة
وتعالى الصياح ستكسر رجلاي .. يا اولاد الكلب الله يخرب بيتكم وتخييل
كل منهم أنه سيكون ضحية زملائه كما حدث مع غريق الصحراء .. فانهالوا
لعلنا بعضهم لبعض .. وكلما طالت المسافة .. كلما زاد العذاب -
حاول بعضهم الوقوف أو خلع العصابة ولكن الحراس زجروهم .

الهواء بارد .. ثم أصبح محملاً برائحة زهو البرتقال .. اكيد يهرون
الان بين بيارات البرتقال الفلسطينية التي طالما سمعوا عنها .. صياح المارة
يصلهم .. لقد دخلوا مدينة .. أصوات موتسيكلات وعربات تحيطهم ..
انهم يزفون عارهم .. ويمتمعون مدينتهم بالمنظر المحزى لرجال مصر
الصنائيد .. صياح لفتيات - شتائم للنبي محمد ماله محمد وأحداث تمّت
بعده بالف وثلاثمائه عام - شتائم لعبد الناصر - شتائم لام كلثوم ..
شئ غريب أن يعرف رجل الشوارع ما يوجههم لهذه الدرجة .. الاصوات
تضعف وتعود رائحة البرتقال .. لا بد وأن المنظر جميل .. كانوا يشعرونه
مز نسمات الهواء الرطبة المعطرة برائحة الحدائق .. أحدهم يعرى العصابة
ليرى .. عجيب هذا الانسان يخاطر بحياته في سبيل أن يرى .. ولكن
معظمهم لا يملك شجاعته أو استهتاره فهم يعرفون الا ثمن لهم .. ولذلك
فهم حريصون الا يعطوهم المبرر لاغتيالهم الذى خلّع العصابة يصف لهم المنظر .

نحن في قول عربات .. امامنا ميكروباس يركبه الحراس اليهود وبعض
المصريين ... آه شلة المنقذين .. الشجر على الجانبين أخضر وكثيف
(نعم .. نحن في الربيع) والورود والزهور تملأ منتصف الطريق وعلى
الجانبين .. (آه .. انها الجنة ..) العربات تجرى حولنا بسرعة ..
يا .. سيدات بالبايوهات اليكيتي في العربات الكشوفة ... (لا بد

وافهم بقرب البحر) ٠٠ العربيات تتف ٠٠ بنات صغيرات - يندمعن تجاه الميكروباسب ويقدمن زجاجات النازوزه للحراس ٠٠ الله الله ٠٠ الزجاجات منغيشة من قطرات الماء والبرودة ٠٠ يا نهار اسود ٠ وطى راسك طوية جاية ويحدث هرج في العربية فالجمع الاعمى يحاول أن يتوقى طوية قادمة من مكان ما لا يعرفه ويتنبيه الحراس لخطر الموقف فيسرعون بالحركة ٠٠

ساعات طويلة تمر ببطء كل دقيقة تمضى بدون أخطار يحمدون الله عليها ٠٠ والاطار تحيطهم من كل جانب ٠٠ حارس متهور او مدنى متحمس يقذف بطوية ٠٠ او ضغط الاجساد بعضها على بعض ٠ مع مرور الوقت قل الحذر وابتنأت أعداد متزايدة منهم تخلع العصابات ٠٠ وظهرت أسوار عالية في وسطها بوابة ينجمع حولها عشرات من الشبان والشابات بالميكروجب والمايوهات والشعر المسترسل أو البيتلز تهتف باللغة العربية شعارات معادية وكنمات بخيثة لا تسمع في أخط الاماكن يقفنون القادمين في ذلهم بالطماطم وعلب الصفيح الفارغه ٠

ودخلت العربيات من البوابة وسمح لهم رسميا بخلع العصابات ووجدوا أنفسهم في الجنة ٠٠٠ حقا ٠٠٠

أعداد كبيرة من الأشجار تشبه حديقته قصر المنزه في الاسكندرية أحواض الزهور والحشائش ٠٠ والشوارع المسفلتة النظيفة وفي خلفية الصورة جبل عال أخضر مزروع كله يظهر منه فنتاس مياه ضخمة ٠٠ ويتناثر عليه مجموعات من المنازل الصغيرة التي لا يمكن تمييزها بسهولة ٠٠ ونسمات هواء رطبة محملة برائحة النجرح والزهور وصوت حريمى رقيق يتكلم بلغة غريبة من الميكرفون ٠ قد يكون هذا منظرا عاديا في الظروف الطبيعية ولكن لانسان عاش حوالى الشهر في الصحراء لا يرى الا التراب واللون الاصفر يعتبر المنظر مفاجأة مؤثرة ٠٠

لقد كان هذا معسكر عتليت المكان الذى أعده الاسرائيليون للاسرى المصريين - ليعيشوا فيه أجمل أيام صيف ٦٧ على حد قولهم فى إذاعة اسرئيل ٠

الفصل الرابع

عتليت

آن الاوان لكى احدثكم عن نفسى قليلا أنا الكاتب ٠٠ كما سبق وذكرت لكم لقد تقابلت مع صدقةينا أول مرة فى مستشفى للقوات المسلحة بقسم الامراض النفسية وكنت فى ذلك الوقت نقيباً طبيياً يعمل بالقسم ٠٠ وكان صديقنا رائداً مهندساً حضر ذات يوم يشكو رغبته فى أن يطلق الرصاص على قادة كتيبته واللواء الذى يعمل بهما وعندما تخطينا معه اكتشفنا أننا أمام حالة خاصة ليست ككل الحالات التى نقابلها وانه ذكى مثفهم ولكنه مصاب باكتئاب نفسى شديد ٠٠ وأن لديه ما يقوله ٠٠٠ بعد أن عانى من الاسر ٠٠ وشحنى صديقى اليه كحالة مرضية تستحق المناقشة وكانسان ذى وجهة نظر تمسنا جميعاً ٠٠ فصارت بيننا صداقة غريبة ٠٠ هى خليط من ثقة مريض بطببيه وعلاقة مجروحين بخنجر واحد ٠٠ فرغم كونى طبيياً نفسياً متخصصاً بالقوات المسلحة ٠٠ الا اننى أيضاً انسان مصرى مصاب وان كنت اكثر قدرة على فهم مشاكلى واحاسيسى لذلك فلقد تتبعت حالته حتى بعد أن ترك القوات المسلحة ٠٠ وكان يزورنى فى عيادتى فى بعض الاحيان ٠٠ وكنت أسعى اليه فى بعض الاحيان ٠٠ وشفى صديقى ٠٠ ولكن انتم تعرفون ان كلا منا مريض بشكل او باخر بنسب مختلفة ٠٠ عندما اتقول شئى صديقى فاقصد انه أصبح يحمل النسب الطبيعى لانسان يعيش فى مجتمع عصرى ٠

وفى الفصل القادم سأتقل لكم ما خطه بيده من خلال مذكراته عن عتليت التى سلمها لى ولن اتدخل الا فى القليل فهذا الفصل لا يقرأ الا كما كتبها صاحبه ٠

عُليت قرية بجوار حيفا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ٠٠ واهم ما يميزها هذا المعسكر الكبير الذي بناه الانجليز أثناء احتلالهم لفلسطين فهو بذلك يشبه معسكراتنا على القناة ٠٠ في الاسماعيلية والسويس ٠٠ المباني المبنية بالخشب والاستقف المنحدرة ٠٠ ودورات المياه الجماعية ذات الحوائط الانترنيت ٠

والمعسكر قريب جدا من البحر بحيث نستطيع سماع صوت الامواج في الليالي الهادئة ٠٠ ويفصله عن البحر حقول الغام محاطة بالاسلاك الشائنة ٠٠ أو قل ارض مضاء عليها يافطة بالانجليزية والعبرية تدل على وجود حقول الغام ٠٠

والمعسكر مقسم من الداخل الى معسكرات فرعية كل قسم محاط أيضا بأسوار أسلاك شائكة وكل معسكر فرعي يتكون من عدة عنابر مبنية من الخشب كل عنبر يتكون من ٤ حجرات اثنتان منهما كبيرتان وهما اللتان على الطرفين والاخرتان اصغر قليلا ٠٠ ولكل حجرة باب وعدة شبابيك تفتح على شوارع فرعية مزروعة أر كانت مزروعة يوما ما ٠٠ والارضيات مبلطة موزايكو ٠٠ وفي مرحلة متقدمة وضعوا قضبان حديد لسد الشبابيك مع اتاحة الفرصة لفتحها ليلا ٠٠

والمعسكر الفرعي المكون من عشر عنابر يخدمه مجموعه من الحمامات ودورات المياه المقامة بالخشب والانترنيت والمعسكر يضاء بالكهرباء ٠٠ ومحاط بأبراج مراقبة تتبادلها الخدمات المسلحة برشاشات بلجيكية ومعلق بجوار كل برج كشاف كهربائي يدور طول الليل لكشف الطرق الرئيسية والفرعية الكثيرة التي تربط أجزاء المعسكر المختلفة ٠

ولاستكمال الحراسة تسيّر دوريات خدمة راكبة عربات جيب مكشوفة ٠٠٠ ولقد خصصت المعسكرات الفرعية لتضم الاسرى المصريين والسوريين والاردنيين ٠٠ بشكل نوعي ٠٠ فللجنود ٤ معسكرات والضباط الصغار

من ملازم حتى رائد لهم معسكر واضباط الكبار من مقدم حتى لواء لهم
معسكر آخر :٠٠ والمدينون لهم معسكر خاص ..

ويضم معسكر عتليت بالاضافه لذك عنابر للحراس الاسرائيليين
ومطبخا لاعداد الطعام للاسرى وآخر للاسرايليين .. ومطعما لهم ومدان
الاستجواب بعضها انشىء على عجل من الخيش .. كذلك يوجد بالمعسكر
مستشفى ميدانية لعلاج المرضى تحتوى على عيادة باطنية وعيادة أسنان
واجزخانة وحجرات للمرضى .. ومعدات عتيقة جدا ..

وللمعسكر بوابة خارجية أو أكثر من بوابة ومحاط بسور مبانى
عال وأبراج حراسة كالابراج السابقة .. ويحيط هذا المعسكر الكبير بواسطة
هيئة الادارة .. القائد ومدير المخابرات والاذاعة بواسطة ميكروفونات معلقة
بأنحاء المعسكر :

والعمل جار ليل نهار لعمل انشاءات جديدة وتغييرات في المعسكر
بتحصين أسوار وشق طرق جديدة .

ويقول الاسرائيليون .. أن الانجليز أثناء الوصاية على فلسطين
منعوا اليهود من الهجرة الا في حدود ضيقة .. ولكن لتدفق الاعداد الكبيرة
من المهاجرين اضطروا للقبض عليهم وسجنهم في هذا المعسكر .. ولقد اضطرت
العصابات الصهيونية (وهذا تعبیرهم الحرفي) .. في هذا الوقت لمهاجمة
هذا المعسكر أكثر من مرة وتهريب اليهود المعتقلين فيه لداخل البلاد ..
ثم تحول المعسكر بعد ذلك الى معسكر استقبال للمهاجرين بعد قيام الحكومة
الاسرائيلية يمشون فيه مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أشهر لاعدادهم
للحياة في اسرائيل عن طريق تعليمهم اللغة العبرية وأهداف قيام الدولة ..
والخطوط الرئيسية للاستراتيجية الاسرائيلية .. ولقد استقبل هذا المعسكر
أسرى حرب ٥٦ وحرب ٦٧ واستعمل في الفترة بين الحربين كمعسكر تدريب
النشيط من ١٩٢ : ١٥ سنة أثناء الاجازات الصيفية :٠٠ وفي آخر المدة التي
قضيناها كانوا يعدونه ليكون معسكرا ثابتا للواء الجولانى الاسرائيلى
أقدم لواءات جيش الدفاع ..

هذه هي عتليت وهذا هو معسكر عتليت الذي قضينا فيه حوالي الستة أشهر ٠٠ معسكر اعتقال بجوار حيفا في حوض جبل الكرمل مزروع بعناية بالاشجار ومحاط بالابراج من كل جهة وفي كل مكان ٠٠٠ وتقيم معنا فيه قوة اسرائيلية من الرجال والنساء ٠

جلسنا في صفوف متتالية واضعين أيدينا فوق رؤوسنا بتراخ ٠٠ ننظر حولنا باستغراب ٠٠ وأستطلاع ٠٠ ويعد الصدمة الاولى استطعنا أن نميز أن الصوت الانثوى ينادى من خلال ميكرفون باللغة العبرية ٠٠ ليسير العمل في المعسكر وبالتالي نستطيع أن نتصور مدى ضخامته ٠٠

نودى علينا ٠٠ ثم أعطى كل منا رقما أصبح لصيقا به بعد ذلك طول فترة الاسير ٠ الاسير رقم ٥١٧٦٣ هذا هو رقمي ٠٠

وابتدأوا في العمل منذ اللحظة الاولى التي وصلنا فيها ٠٠ كل منا حمل لوح اردواز عليه رقمه باللغة الانجليزية ثم التقطت لنا صور للحفظ في ملفتنا ٠٠

وانتقلنا بعد ذلك لملاء الاستمارات ٠٠

اسمك ٠٠٠٠ ٩٩

وحدتك ٠٠٠ ٩٩

سنك ٠٠٠٠ ٩٩

ديانتك ٠٠٠٠

متى أسرت ٠٠٠٠ ٩٩

أين ٠٠٠٠ ٩٩

ثم انتقلنا الى مكان آخر لنسلم فيه الامانات ٠٠ وسلمت نقودي وأخذت أيضا باللغة العبرية ٠٠ ثم انتقلنا الى غرفة التطهير ٠

نخلع ملابسنا ٠٠٠٠ ورششنا ببودره التطهير ٠٠٠٠

ثم انتقلنا الى غرفة الدمع ٠٠ حيث دمغت ملابسنا بالدوكو ٠٠ مربع أصفر على كل ركبة للبنطلون ٠ ومربع آخر على الظهر وعلى صدر السترة علامة بهذا الشكل لسنا وكذلك على غطاء الرأس ٠٠

وأستلم نل منا بطانيتين قديمتين توحيان بأن الفمل والبق يجريان
داخلهما وان لم نجدهما أبدا ٠٠ ووعاء للاكل من الالنيوم سميناه سرفطاس
٠٠ ولا أدري من أين جاء هذا الاسم وهل له علاقة بالاسم الحقيقي أم لا ٠٠
وملحمة ٠٠ أصبحنا الان أسرى حقيقيين ٠٠ لنا رقم ومعنا عهدة ٠٠
والتقطت لنا صور كنت أتمنى أن أراها فبال تأكيد كانت تستحق المشاهدة
٠٠ وجلسنا بدون وضع الايدي فوق الرؤوس في انتظار باقى الزملاء ٠

مر علينا مجموعات من الجنود الاسرائيليين ٠٠ شباب صغير السن
يحملون ادوات اكل تشبه ادواتنا ٠٠ بعضهم يحمل زجاجات غازوزة مثلجة
٠٠ برتقال وليمون ٠٠ والآخرين يقضمون في برتقالة كبيرة ٠٠ والكل
لا يهتم بنا فعندهم منا الكثيرون ٠٠

الظل مريح ٠٠ لاشك أن متاعنا ستصبح اقل ٠٠ ان الوصف
الذى سمعناه قد يحمل جزءا من الحقيقة ٠٠ الاسرة ٠٠ والمياه الباردة
والساخنة ٠٠ والمطعم ٠٠٠٠ وادوات التسلية ٠٠ معنى هذا انهم يريدوننا
الا نكرهم ٠٠ محاولة للتقرب ٠٠ بل محاولة للتأثير ٠٠ لهذا شحوننا
في عربات الزلط وبهذه الطريقة اللا انسانية ٠٠ لكي نصل الى ما يريدوننا
ان نفهمه ٠٠ وهو أننا نعيش في جنة ٠٠ لا ان العربات كان المقصود
بها استعراض اسراهم وخزينا وعارنا ٠٠ وقد يكون للضغط قبل الاسن جواب
٠٠ وقد يكون لتترك انطباع عن المصريين بأنهم مجموعة من البهائم المتخلفة
لدى الشباب الاسرائيلي ٠٠ قد يكون ٠٠٠

نحن الان في طريقنا الى المكان الخاص بنا ٠٠ خلف السور يقف
مجموعة من الزملاء ٠٠ حضروا قبلنا ٠٠ نظراتهم غريبة ٠٠ خليط من الترحيب
والحزن والرثاء ٠٠ حركاتهم خليط من اليأس والكسل ٠٠ لايد أننى أعرف
منهم الكثيرين ٠٠ الوجوه لا أرى فيها من أعرف ٠٠ أين أقاربى ٠٠ أين
أصدقائى ٠٠ لعلنى واجد أحدهم هنا ٠ هنا خير من الموت ٠٠ وهل لا يوجد
حل آخر ٠٠ الاسر ٠٠ أو الموت ٠٠ نسبة ضئيلة للنجاة ٠

أحدهم ينادى بى ٠٠٠ زميل قديم ٠٠٠ بالحضن ٠

— الحمد لله على السلامة ٠٠٠

— أى سلامة هذه ٠٠٠

- برضه هنا أحسن ٠٠٠
- كيف الحال ٠٠٠٠ ؟؟
- يعنى ٠٠٠٠
- بتاكلوا كويس ٠٠٠٠
- يعنى ٠٠٠٠
- أين تنام ٠٠٠٠ ؟؟
- هنا ٠٠٠٠
- على الارض ٠٠٠٠ !!
- نعم ٠٠٠٠
- ثم اشرت لادوات الاكل وسالت ٠٠٠
- وما هذا ٠٠٠٠ ؟؟
- هذا تملؤه ماء ٠٠ لان الماء ينقطع طول اليوم واثناء القفل ٠٠٠٠
- مستغرب - قفل ٠٠٠٠ !!
- بعد الساعه ٥ بيتقلوا علينا الابواب حتى الصباح ٠٠٠
- وهذه لتأخذ فيها الارز ٠٠٠ وهذه للخضار ٠٠٠
- الا يوجد مطعم ٠٠٠٠ ؟؟
- يا سلام ٠٠٠ سياسرونك في الهيلتون ان شاء الله ٠٠٠٠
- ومن الذى يغسلها ٠٠٠ ؟؟
- انت بالطبع ٠٠٠
- والهجوم ٠٠٠ ؟؟
- انت برضه ٠٠٠
- هل يوجد صابون ٠٠٠
- لا ٠٠٠٠٠٠٠
- حقنى طويلة عايز اطلق وعايز استحم ٠٠٠

قال ضائقا - اصبر يا اخى ٠٠ ستعرف كل شىء ٠٠ ابحت عن مكان
لتنام فيه اولاً وبعد ذلك سنرى : دخلنا حوالى عشرين صابطا الى حجر-
من الحجرات الكبيرة ٠٠ كل منأ فرش لنفسه بطانية على الارض ٠ وادار
الآخرى على هيئة مخدة ٠٠ وجلسنا ينظر بعضنا لبعض ٠

الوجوه أصايبها خيبة الأمل .. أين الميز ..؟ أين السراير ..؟
الحمامات ..؟ على كل حال أحسن من التراب ... والارض ...

ذهبت لدورة المياه .. يا للقدارة .. لا تطاق صفان متقابلان من
الفتحات تحتها خندق وعلى السنغمل أن يجلس أمام الآخرين يؤدي حاجته
ويرى الآخرين ويرونه .. ويسمع الاصوات ويشم الروائح .. منظر
لا انساني ...

سألت زميلي - من هؤلاء ..؟

- أردنيون ... وفي الناحية الأخرى سوريون ...

- هل يمكن التكلم معهم ...؟

- ممكن .. ولكن احذر الكلام هنا .. معظمهم جواسيس يفتلون الكلام

- كيف عرفت ...؟

- يقولون ...

رعب فقدان الثقة .. ذل .. ملل .. انتظار .. تفكير .. خوف على الأهل

.. توتر شديد هذه هي الحياة هنا ...

ومن الان بهتت الاحداث .. أصبحت صورة مرسومه بالطريقة

للتأثيرية ... اذا نظرت لتفصيلاتها لا تجد شيئاً .. ولأن من على بعد

تستطيع أن تحدد أشكالاً ... كأننا نعيش في عالم ثابت يخالف عالم

المتغيرات الخارجى .. ولكن .. هل يوجد ثبات في هذه الحياة ...؟

لقد كانت هناك تغييرات لا نشعرها .. كأننا في مركب بعرض

البحر .. لا نرى الا الماء من كل جانب في الخارج .. ولا نرى

الا أنفسنا .. نفس الوجوه .. ونفس الأشكال من الداخل .. ويمر

يوم .. يوماً ونشعر أن المركب لا تتحرك .. ولكننا تتحرك فعلاً وحتماً

سنصل الى شكل آخر .. متغير .. بعد ساعة .. بعد شهر .. بعد

سنة .. ولكن حتماً سيحدث تغيير .. لأن الارض تدور .. ومع دورتها

تتجدد الحياة وتغيير .. هل شعرت طول حياتك بأن الارض تدور ..

أنا أشعر الان .. بأن الارض تدور .. أشعر بأن الارض تدور .. وهذا

أملى .. والا سابقى هنا للأبد ..

جلست على بطانيتي المفروشه .. قرفصت .. رقدت .. اعتذلت ..
جلست .. ربتت .. ماذا أفعل .. ؟ .. هل سأبقى هكذا مهمتي
النوم .. والنوم .. والنوم .. تنابلة السلطان الذين كنا نسمع عنهم في
الحكايات .. أريد أن أخلق .. أن أغسل رأسي ووجهي .. أن أستحم ..
أن أكل ...

وخرجت من الحجرة الى الفناء الخارجي .. أدخل الجنود وعابن
كبيرين من البطاطس واللحم والارز .. اندفع الضباط كل يحمل في يده
أدوات أكله لاخذ نصيبه .. كل منهم يحاول أن يحصل على أكبر جزء
من الطعام .. الضباط تقضارب .. تتشائم للوصول للاكل .. الأكل
يتقارب على الانتهاء .. رائحة الطعام تحرك احشائي ... أفرز كمية هائلة
من اللعاب .. أبصق .. الضباط يزداد هياجهم كلما قلت الكمية ...
الجنود الاسرائيليون يتجمعون خلف الاسوار يتفرجون علينا .. ضابط
تو رتبة كبيرة يصيح في الضباط .. انتم همج .. احنا نأيس
متعلمين .. وعسكريون تعلمنا النظام حتى في الاسر نقف طابور ..
يوقفهم في طابور ويقف في أول الصف لاخذ نصيبه ... ينصرف تعود
الفوضى ثانيا كما كانت .. ماذا حدث للرجال .. نحن في غابة .. لكي
تعيش لأبد وأن يكون لك قدر هائل من العضلات .. والصوت القوي
العالي .. والبجاجة الكافية لرد شتائم الآخرين يأخذ منها .. هل معنى
ذلك أن الانسان يردد الى طبيعة الغابة والتوحش مع أول فرصة تواتيه
للتخلص من قيود المدنية المفروضة عليه .. أم هل هي طبيعة شعبينا وأن
الحضارة لدينا قشرية تنزل بسرعة مع أول اختبار .. هل كل شعوب
العالم بهذه الطريقة يتصرفون .. لو كان هؤلاء أسرى انجليز .. أمريكان ..
روس .. فرنسيين .. هل ... ٩٩

اسئلة كثيرة صعقتني وأنا اناضل للوصول الى تدور الطعام لاخذ
حبات قليلة من الارز والبطاطس وقطعة لحم .. اهدى بها صراخ
معدتي .. وضمت الادوات بجوارى بعد ما فرغت من الأكل وحاولت
أن اتابع حديثًا دلثرا بين الرائد عادل والملازم محمد وهو ضابط
من كتبيته

- هو مفيش أكل يا محمد ولا إيه ... ؟
- زحمة يافندم على القزان ...
- طيب م تاخذ تجيب لى أكلى ...
- والله يضربونى .. يفنكروا انى حاكل مرتين ...
- يعنى لازم أروح بنفسى .. إيه الغلب ده ...
- الرائد توفيق يتدخل فى الحديث ...
- لو لقيت أكل .. الأكل خلص خلص ...
- يعنى إيه .. تعينى مين اللى أكله ...
- فوضى شديدة ...
- يخرج ثم يعود متحسرا هاتجا .. الشعب الهمج ده .. تصور فعلا
الحلل فاضية .. لا .. لازم يتنظم المعسكر ده .. اذا م كناش عارفين
ننظمه اليهود ينظموه .. يرضى مين ائى أفضل جمان .. وبيجمع الرواد
فى حجرة من الحجرات للمناقشة .. الحجرة مزحمة جدا .. أصوات
عالية حرقها الجوع .. فصغار الضباط بختوتهم استطاعوا الحصول على
أكبر جزء وتركوا الكبار بدون أكل ..
- المناقشة تزداد سخونة ...
- أنا دفعة ٥٢ ...
- لكن أنا فى أول الدفعة ...
- رشم أدميتك كام ...
- يبقى صفوت اقدم الضباط ...
- لا عبد الله الاقدم ...
- أنا ياسيدى متنازل عن اقدميتى ...
- خلاص صفوت ينظم الموضوع بتاع الأكل ...
- أنا لا اتحمل المسئولية منفردا .. يجب أن نفسمها بالتساوى ..
- ياصفوت لازم تقوم بدورك ...
- أنا مقلتش حاجة .. لكن تتحملوا المسئولية معايا .. احنا هنا
كلنا أسرى ...
- يرضيك العيال ياكلوا اكلنا ...
- نفسم المعسكر لجموعات ويتولى القيادة فى كل مجموعة ؟ اقدم
رائد ...

- والتعيين ياصفوت ٠٠٠
- المشكلة مش مشكلة تعيين ٠٠ المشكلة اننا امام نظر وسمع العدو ٠٠٠ ولا بد ان نظهر بمظهر مشرف ٠٠
- العدو اختبرنا جيدا في الايام السابقة ويعرف من نحن ٠٠٠
- مش مبرر اننا اتأسرنا وانهزمنا اننا نستسلم للفوضى ٠٠
- شرف بلدنا وحضارتنا متوقف على مظهرنا هنا ٠٠ لا بد من السيطرة الكاملة على المعسكر لذلك اقترح ان يصبح اقدم رتبة في كل حجرة مسئولاً عن حجراته ٠٠ واطم رتبة في كل بلوك مسئولاً عن بلوكه ٠٠ وتتسم البلوكات الامامية بقيادة والخلفية بقيادة ٠٠
- ما لزوم كل هذه القيادات ٠٠٠
- لزومها اننا نبقي بنى آدمين مش وحوش ٠٠ بلدنا عرنت التقسيمات الادارية من خمسة آلاف سنة ٠٠٠
- والتعيين ياصفوت ٠٠٠
- اقدم ضابط في البلوكات الامامية يعاونه طقم توزيع رئيس شئون ادارية وضباط للتوزيع ٠٠ رئيس الشئون الادارية يستلم تعيين البلوكات والضباط توزعه تحت اشرافه ٠٠
- طيب موافقين ٠٠ الراءد يحيى يصبح مسئولاً عن البلوكات الخلفية ٠٠
- والراءد فريد يصبح رئيس الشئون الادارية للبلوكات الامامية ٠٠٠
- وأنا شايف ان الفوضى التي نعيش فيها نتيجة لقلّة الوعي ٠٠ ومن رأيي اننا نعمل ضابطاً للتوجيه المعنوي والراءد ثروت أدر الموجودين فهو ٠٠٠
- موافقون ٠٠٠ موافقون ٠٠٠
- وانفض الاجتماع بعد ما تكونت الاسس التي ستحكم المعسكر وتديره ٠٠ هذا الشكل أكثر تمدنا ٠٠ والا أصبحنا وحوشاً نتصارع ٠٠ ولكن ترى هل ستنتج هيئة الادارة الجديدة ٠٠
- الساعة الخامسة ٠٠ العشاء ٠٠ قزان به طعام أبيض ٠٠ الراءد فريد يستلم القزان ويستلم خياراً وطماطم وبصل ٠٠ وارغفة طويلة

متضخمة تشبه عيش التوست .. ضباط الشؤون الادارية وأطقم التوزيع
تستلم الطعام .. الضباط يتجمعون حولهم .. الرائد يحيى يصرخ ..
الضباط تقتشاجر معه .. يدورون على الحجرات .. الضباط تتجمع عند كل
حجرة .. تتدافع .. تتصايح لم ينسوا درس الغذاء .. العشاء ملعقتين
من الطعام الابيض وخياره أو طماطماية أو بصالية .. ورغيف عيش
للاكل على ثلاث وجبات ..

الطعام الابيض له طعم الجبن .. أو اللبن الرايب .. أو اللبن
الزبادى .. نتناقش طويلا حول ما هو .. الرائد توفيق يقول انه شربة
جينة .. الرائد عادل يخطف طمطماية كبيرة .. لقد كان الرائد الذى
اختطف علبة السجائر فى العربية .. وجوه كثيرة ارأها لأول مرة ..
أحاول أن أحفظ أسماءهم ..

الجنود الاسرائيليون يدخلون المعسكر .. يصفتون بأيديهم ..
يحملون رشاشاتهم مصوية نحونا .. آن وقت القفل الضباط يدخلون
حجراتهم .. الجنود الاسرائيليون يتممون على الضباط بالحجرات ..
يقفلون الابواب من الخارج بالاقفال .. التعليمات أن تبقى الاضواء طول
الليل بالحجرات .. لا تطفىء الانوار .. الليل يحل .. الشيخ محمد الذى
شرب بوله يقوم ليصلى .. أحاديث ثنائية أسمع منها خرم ..
أبو عجيبة .. اللواء العائسر .. اللواء المدرع .. العقسيد ..
العميد .. الرائد .. الطيران .. الحرب .. اليهود .. القتل ..
العطش .. الموت .. الاسر .. اصوات فى الحجرة المجاوره .. الله .. الله
الله .. حلقه ذكر .. ادعية ..

- ما هذا هل ستقاوم اليهود بالذكر ..
- ابتسامات خفيفة لا تصل الى ضحكات .. نتثامب - أريد أن أنام
- لكن قائد الكتيبة ورئيس العمليات راحوا نيين ؟
- هربوا زى الباقيين ..
- ولا الضابط اللي أخذ العربية وجرى ..
- ربنا ينتقم منهم .. فهم السبب ..

ويمر الليل بطيئا نتقيا فيه ما حدث لنا في سينا .. وكيف
أسرونا .. وكيف نجونا من الموت وكيف خانوا .. وكيف .. وكيف ..
حتى نسقط من التعب نائمين ..

في السادسة صباحا .. يفتح الحراس الابواب .. ويتممون علينا ..
ثم يتركوننا لنذهب لحدوات المياه .. الماء يسمح به ساعتين صباحا ..
وساعتين قبل قفل البوابة .. وحول الحنفيات نتجمع لنفسل او عيتنا
وملابسنا ونصلا الالوعية الخاصة بالنساء .. ثم نرتب بطياتنا ونجلس
في الحجرات لنعود الى اساطيرنا القديمة عن الحرب ..

تعرفت به ملازم اول شاب .. أسمر .. طيب .. رياضي .. اسمه
بيومي .. منذ تخرج من الكلية الحربية وهو يعمل باليمن ضابط استطلاع ..
كان ذكيا وملاحا .. كان يقص لي قصته .. لقد أحضرنا من اليمن ..
ركبنا القطار المتجه للقاهرة .. بمهماتنا وكل ما أحضرناه من اليمن ..
الثلاجات .. والريكوردات .. والتوينزات .. وفجأة صدرت الاوامر
لسائق القطار بالدوران والعودة .. ثم اتجه الى سينا .. فالعريش
ومنها ذهبت رئاسة اللواء وكتيبة الى منطقة بجوار الحسنة اسمها خرم ..

- مين قائد اللواء ؟

- العميد خيرى ..

- انت كنت في اللواء ١٢٠ ؟

- آه .. آه ..

- انت ضابط استطلاع ؟

- آه .. آه ..

- منذ رأيتك وأنا احاول أن أتذكر أين رأيتك قبلا .. الم تستلم

مضى المطارات التي أعددتها لطائرات المشير ..

- آه .. آه .. فعلا .. تفكرتك .. بعد ذلك ضربتنا الطائرات

الاسرائيلية بالنابالم ..

- وكانت لنا كتيبة متأخرة .. اصطادوها عند الكيلو ١٦١ .. وهى

في طريقها لخرم .. لم ينج منها احد ..

- فعلا ٠٠ قالو ان خرم كانت مضروبه بالنايلم ٠٠٠
- يوم ٦ يونيو العميد خيرى ورئيس الاركان ذهبوا لقيادة الجيش
أخذوا أمر الانسحاب فأرسلوه لنا مع سائق عربى الاستطلاع لنخبر
الوحدات ٠٠ وكلفنى قائد الاستطلاع بتبليغ الكتائب ٠٠ ضللت
الطريق ولم استطع العودة فأول مرة أدخل سيناء ٠٠ وأخيرا ٠٠
تقبضوا علينا بدون مقاومة ٠٠ ولا طلقة ٠٠٠ !
- نفس القصة ٠٠ العميد خيرى فعلا لم يكن مقتنعا منذ البداية
بما يحدث ٠٠

زهقت من حديث الحرب والهرب والانسحاب ٠٠ ومع ذلك لم استطع
ان اتخلص من سماع القصص صباحا ومساء ٠٠ كان لابد ان نتكلم ٠٠
كان لابد وان نشتكى ٠٠

أنا قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات فى اللواء ١١٨ ٠٠ كان علينا
حماية الثلث عند الكيلو ١٦١ ٠٠ أنا سريتى ممتازة ٠٠ كانت السرية الاولى
فى الفرقة ٠٠ فى كل الاختبارات كذت أحسن قائد سرية مدفعية مضادة
للدبابات ٠٠ كنت تدخل مكتبى نفسك تتفتح ٠٠ داهنه زيت وفارشه
بأرضيات خشب بتاعة انساكر ٠٠ كانوا زيادة فى العهدة ٠٠ ومجلد المكتب
بورق ضرب نار ٠٠ كنت ضابطا ممتازا ٠٠ والله ٠٠ لكن الجيش ٠٠
غريبة ٠٠ تصور قالوا انسحبوا الى مكسر القناجيل ٠٠ أرض كلها رمل
وغرز العربيات غرزت ٠٠ زقيت المدافع بايدى ٠٠ ونصبنا المدافع ٠٠
مواتير العربيات فوتت عربيات خفيفة بتشد الحفح بصعوبة ٠٠ فى الغرز
لازم تفوت ٠٠ المهم ٠٠ الجنود فى الخط الاول انسحبوا ٠٠ من
ابو عجلة ٠٠ غرقانين دم ٠٠ مفبش فايدة ٠٠ الخطوط تنهار بسرعة ٠٠
جنودى روحهم المعنوية انهازت ٠٠ وفى وسط الهيصة دى ٠٠ قالوا لا
ارجعوا تانى ٠٠ ازاى نرجع ٠٠ السرية انفرطت ٠٠ لم استطع السيطرة
عليها ٠٠ نصف المدافع فى الغرز ٠٠ والجنود فقدت حماسها ٠٠ والقيادات
فقدت سيطرتها علينا ٠٠ سهرنا طول الليل نسمع الضرب والطلقات
الكاسفة ٠٠ قائد كتبية المشاة الذى كنا نعاوننه مشى ٠٠ الناس كلها
انسحبت بأوامر ٠٠ بدون أوامر ٠٠ لا اعرف ٠٠ لم أجد فى مركز القيادة
قائدا واحدا ٠٠ رجعت ٠٠ حرقت أوراقي ٠٠ ولكن نسيت شسانون كان

يه مذكرات فرقة قادة السرايا .. ومذكرات طبيعتها مدرسة المشاه ..
ومذكرات فرقه المساحة .. كانت ممتازة كنت مجلدا .. ومهتم بها ..
نسيتها في الثمانون ..

سألته - أنت قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات .. في ايديك أقوى
سلاح لضرب الدبابات التي أربعتنا كلنا .. المفروض الاتخاف منها ..
ما الذي أخافك .. اسأذا لم تمت فوق مدفعك .. اسأذا لم تنتظر حتى
تستعمل مدفعك .. على الاقل كنت ستضرب دبابة .. اثنين .. ثلاثة ..
أى حاجة يشعرون اننا بنقاوم .. هذا شغلك .. حياتك .. له .. ٩٩

وايه يعنى دبابة .. وايه يعنى لما نقاوم ما كان سيحدث
أنى ساهوت أنا وطفقى بعد أول طلقة .. حتى دون أن نصيب .. في المدفعية
شئ اسمه تصحيح .. بنضرب أول قذيفة .. وبعد ذلك نصحح عليها ..
المفروض أن نعمل في وسط مجموعة تحميننا .. تضرب معنا .. المدفع
له لهب قوى جدا يكشف موقعه من أول طلقة .. ونضرب بعد ذلك ..
وإذا كان القادة هربوا هل سلكون أكثر منهم حماسا .. كلهم هربوا ..
كفاية الويل الذى وجدناه طول الطريق ...

مشيت .. أخذت معى زمومية وزجاجة كولونيا .. وعلب نول ..
وغيرارين في شنطة .. الطريق اعرفه جيدا .. إذا استمررت في السير سأصل
الى الاسماعيلية .. مشينا انا وآخرون .. حوالى عشرين كيلو .. الدبابات
ضربت كلها .. أوغرزت .. الورشة كانت محرومة .. قلنا نستريح قليلا
فيها .. دخل اليهود بعربياتهم ضربوا العسكر كله أسرونا .. بينهم بنات
زى القمر .. منهن واحده قربت منى وسألتنى انت من الظاهر طلع عليه ولع
سيجاره من سجايه .. نمنا على الارض .. العربات تدور وتتجه نحونا
بسرعة من بعيد .. وتفرمل عندها .. قبلنا ببوصات .. كنت بتكلم انجليزي
زى اللبلب البنت أحضرت لى كويا من الليموناة الثلجة .. استجوبونى ..
قلت أنى ملازم جديد لا أعرف شيئا .. ضربنى بعصاية فيها مسامير ..
عندهم خريطة لسيناء بالكامل مكتوب عليها بالعبرى .. كانت إيما سوداء ..

أنا كنت في لواء مدفعية .. بين خرم والمطه .. كنا مجموعة اللواء
ياقوت .. أقدم الاسرى - معنا هنا .. كنا ثلاثة لواءات مدفعية ولواءين

مشاة احتياط ٠٠ كان واجبنا مصيدة للديابات اليهودية ٠٠ كنا في مكان لا يعرف عنه شيئا ٠٠ لم نر الحرب يوم ٥ ، ٦ يونيو ٠٠ وكاننا لواءات لجيش آخر ٠٠ يوم ٧ يونيو اتصلت بنا القيادة من وهران الساعة ٤ ظهرا . وهران ٠٠ القيادة سقطت صباح يوم ٧ يونيو الساعة ١١ على

وجه التحديد

– انتظر حتى تعرف بأقى الحكاية ٠٠ الو ٠٠ ياقوت ٠٠ هل تستطيع الانسحاب الى الحسنه ٠٠ قلنا ٠٠ نستطيع ٠٠٠

بعد نصف ساعه ٠٠٠ الو ٠٠ الوياقوت طريق تمادة مؤمن انسحب عليه ٠٠ اللواء ياقوت الحقيقية عمل انسحاب تكتيكي كما هو موجود في الكتب ٠٠ بعد آخر ضوء ٠٠٠ لواءات المشاة أولا ٠٠ وبعدها لواءات المدفعية ٠٠ والاضاءة متقيدة ٠٠ وخرجنا من حفرنا ٠٠ وانطلقنا في الطريق لتمادة ٠٠ وبالقرب من تمادة ٠٠ وجدنا سدا ترابيا ٠٠ وباعت ضوء ٠٠ ورشاش متوسط ومدفع هاون ٠٠ عندما اقترب القول من السد ٠٠ تسلط علينا انصواء البورجكتور ٠٠ يخلنا في دور من الفوضى العجيبة ٠٠ الهاون والرشاش ابتدا في الضرب والناس لم يستطع اى قائد أن يسيطر عليهم ٠٠ دلهم ضغطوا على السد ٠٠ وابتدأوا يضربون بعضهم بعضا ٠٠ وانتهت تماما السيطرة على اللواءات الاحتياط ٠٠

قائد اللواء مسكين ٠٠ كان واقفا فوق عربته الجيب ينادى ويصرخ ٠٠ ولكن لا مجيب ٠٠ تداخلت اللواءات بعضها داخل بعض ٠٠ وأخيرا ٠٠ فك أحدهم مدفع وعمره واطلقه في اتجاه البروجكتور ٠٠ طلقتين ٠٠ أحضرنا بعد ذلك بلدوزر ٠٠ فتح ثغرة في السد وتحركنا ثانيا على الطريق ٠٠ لكن في فوضى غريبة ٠٠ بعد حوالي مائة أو مائتين من الامتار وجدنا سدا آخر ٠٠ ونفس الطقم ٠٠ وهذه المرة كانت كافية لينفرط عقد خمسة لواءات – كان من المفروض أن تكون مصيدة ديابات ٠٠ وفي داخل الصحراء المحيطة بطريق تماده وعلى الجانبين ٠٠ انطلق كل منا يبحث عن طريق للعودة ٠٠ وفي اليوم التالي كانوا يجمعوننا مثل السمان المنهك بعد رحلة طويلة ٠٠ ويستط في اول شبكة مفرودة على الشاطئ ٠٠

– مش معقول الناس دي كانت قهمانا بالشكل ده ٠٠٠٠

– ولاد ٠٠ عرفوا انهم لو هاجمونا في خنادقنا ٠٠ كنا كبدناهم

خسائر شديدة • كانوا خسروا •• فكروا يدمروننا بأيدينا ••
هذه هي الحرب الحديثة ••• بالطبع لا يوجد مبرر لاقول ان الاشارة
التي ارسلتها القيادة في الحقيقة ارسلتها القيادة الاسرائيلية من
مركز قيادتنا وعلى أجهزة اشارتنا بعد ما انسحبت القيادة وتركت
الاجهزة والخرائط •• والشفرة •

- منتصرون •• يبتكرون ويخططون •• وينفذون بجرأة •• كنت
قائدا لسرية مهندسى اللواء العاشر مشاة •• وهو لواء مستقر منذ مدة
طويلة في القسيمة •• يوم ٤ قرروا تغيير مواقعنا وتكثيف حقول الالغام
لذلك اخذت ٥ عربات لصرف الغمام من العريش وفرصة اكلمهم في البيت
من السنترال •• صرفت الالغام وتمت الليلة في النادي •• صباحا كلمتهم
العربية وبعد ذلك بدقائق انفجرت عربة تلو الاخرى •• تقابل ذرية •• تخيل
عربة محملة بالالغام وتنفجر •• ضللت الطريق في الصحراء •• حتى ورمعت
قحمائى من المشى •• وكدت اموت من العطش •• التقتنتى دورية اسرائيلية
ثلت لهم اشرب •• قالوا امش لن نسقيك •••• قلت لهم لازم اشرب ••
خذونى معكم او اسقونى •• وتشبثت بهم •• حتى اخذونى ••

انت كنت ستموت من العطش •• انا كنت ساموت من الشرب ••
كنت قائدا لنقطة مياه قرب عين الجديرات بالقسيمة كل الناس يتشرب
من عندى •• حتى يوم انسحبوا جميعا ولم يخبرونى أنهم ينسحبون ••
تقولش رمية • في الزنقة يعرفوننى وفي المصلحة يتكرونى المهم دخلت المدرعات
الاسرائيلية القسيمة •• وقبضوا على •• سألنى قائد المدرعات فين التتكات
•• انا فاكر تتكات الماء •• اشرت له عليها •• قال لى لا التتكات ••
واخيرا فهمت أنه يقصد المدرعات عندما اخذنى لاحدها وأشار لى عليها ••
ثم قال اين التتكات الخاصة بكم •• ثلث له •• لا اعرف انسحبوا وتكرونى
•• اخذنى لفناطيس المياه تخيل انونا مسممة •• واجبرنى على الشرب
من كل فنتاس وكميات كبيرة حتى كدت ان اموت من كثرة الشرب •••

أما نحن فقد كنا في ابو عجيبة •• كنت قائد الورشة في نهاية ابو
عجيبة •••• وابو عجيبة محصنة جدا •• ولا يمكن اختراقها من المواجهة
أبدا •• طالب القائد تدعيم لواء مدرع •• واجابت القيادة أنه قادم لنا لواء
•• واتفقنا ان اشارة التعارف هي ان يدخل مضيئا انواره •••

- ودخل مضيئا أنواره حتى وصل الى الورشة فأطلق المدفعية ..
فلقد التقطت القوات الاسرائيلية الاشارة ودفعت لواءا مدرعا مضيئا أنواره
استقبلناه بالاحضان ورد علينا بالنيران

وهكذا مضت الايام الاولى من الاسر كل منا يتكلم عن مأساته ..
متمسورا أنها المأساة الوحيدة .. ولا يمل من سردها أبدا .. حتى حفظنا
جميعا كل القصص ... حتى التصرفات الصغيرة منها .. وكنا نجد لذة
في الرواية ولذة في السماع ونسهر حتى أوقات متأخرة من الليل نغضب أنفسنا
.. بين الاهت والذفرات الحارة الحزينة .. واصبحنا نكملها عندما
يسردها صاحبها .. ثم ساد بيننا صمت مفاجيء عن رواية اساطير الحرب ..
خلال الاسبوع الاول لم تحدث أحداث هامة عدا تنظيم الادارة
للمعسكر واعتيادنا على النظام الجديد سوى بيان المخبرات الاول ..
وهذا البيان له قصة ...

في نهاية الاسبوع الاول وحوالي المسابعة ارتفعت اصوات الميكروفونات
على غير العادة ليتكلم المذيع باللغة العربية في صوت ضخم قائلا « ايها
الضباط والجنود بالجيش المصرى اليكم هذا البيان .. » ثم صوت الرئيس
عبد الناصر .. يقول « لقد فقدنا أكثر من ثمانين في المائة من معدات الجيش
وأنه لم يكن موجودا من يدافع عن قناة السويس » .. ثم صوت المذيع
ينعى الجيش المصرى ويرجع ذلك الى شخصية الرئيس العدوانية الفزقة ..
ثم نسمع صوت عبد الناصر قائلا « أنا المسئول عن كل ما حدث » ..
ويتركنا البيان معلقتين .. لا نعرف ماذا يحدث في بلدنا .. هل حقا
عبد الناصر الذى قال هذا الكلام .. هل هذه مسرحية متقنة .. هل معنى
ذلك أن الجيش قد تدمر .. وأن اليهود قادرون فعلا على الوصول الى
القاهرة .. وتذكرنا ما كانت الاذاعة الاسرائيلية تخبئه في بداية الحرب
كانوا يوجهون نداء يقول « ايها الجندى المصرى نحن لا نريد بك اذى ..
عندما تشاهد جنود جيش الدفاع الامرائلى القى سلاحك وارقد ماذا يدريك
أمامك وجنود جيش الدفاع لديهم الاوامر بأن لا يصيبوك بضرر ..
وستتلقى فصل صيفا ممتع على ضفاف البحر المتوسط في ضيافتنا) نداء
يحمل قدرا هائلا من الصفاقة لمن يستمع اليه في بداية الحرب .. ولا يترك
الا ابتسامة خفيفة اذا كنت مؤدبا ... ولكنه يصبح شيئا يمكن التفكير
فيه بعد الاسر ..

ودارت المناقشات بعد انتهاء البيان .. معنى ذلك أننا هزمنا فعلا .. هذا اعتراف صريح من عبد الناصر .. وكاننا فوجئنا بالهزيمة .. وكاننا لم نعيش المأساء كان عندنا أمل .. أى أمل .. وانتهى لكن هل عبد الناصر هو المسئول الوحيد عما حدث بالتأكيد هو شريك .. ولكن النظام بالإكامل مسئول .. الجيش .. والاعلام .. ومجلس الامة الذى حل نفسه فى وقت الشدة .. والاتحاد الاشتراكى الذى لا وجود له .. ونحن ايضا .. مسئولون ..

رد آخر - يابنى دول مجانيين .. أصيبوا بجنون العظمة .. وطغوا وفسدوا هذه هى الفتية .. شمس بدران ده .. كان .. الاها .. كان متحكما تماما فى كل شىء .. النظام كله يجب أن يتغير .. يجب أن نعود لعيننا .. ولتعاليمه .. والأخلاقه .. فىن عبد الناصر .. من سيدنا عمر .. سيعنا عمر .. كان عنده جلابية واحدة .. كان بينام تحت الشجرة ونعله تحت رأسه .. عدلت فأمنت فسلمت فنمت يا عمر ..

- يا أخى هو ده وقت مواعظ .. المهم آيه الحل ..؟
- الحل تناموا وتتركونا ننام .. يا ناس ياهوه الواحد لا يستطيع أن ينام ساعتين ..

وبعد هذا البيان بإيام قليلة أذيع البيان الثانى .. وكان حديثا مسجلا بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين .. بالتليفون اللاسلكى ..
- الانجليز والامريكان هم اللى ساعدوهم والا الامريكان بس ..
- الانجليز والامريكان ..
- على كل حال .. شد حيل جلاتك .. احنا مبسوطين من الموتف المشرف لجلالتك .. وهى الحرب كده .. خسارة ومكسب ..
ثم .. (كلام ثير مفهوم) ..
- جلاتك تصدرو بيانا واحنا تصدرو بيانا وحنقول للسوريين كمان يصدرون بيانا علشان نحصى الموضوع ..

ثم يتلوه الذيع معلقا على هذه المحادثة .. بأن الانجليز والامريكان لم يحاربوا معهم وان الحرب كانت بواسطة جيش الدفاع الاسرائيلى .. ونتيجتها .. نتيجته لقوة تدريبيه وعظمة قيادته .. وان موضوع التدخس الخارجى ما هو الا محاولة للتخلص من الازمة ..

ودارت المناقشات وأحتدمت فلقد كنا كمن يعيش في سرداب مظلم من العالم ... عجيب أمر انسان هذا العصر .. ان تعوده على أن يستيقظ كل يوم فيقرأ أخباراً جديدة عن العالم .. أو يفتح الراديو فيعرف ما يدور بأقصى الارض أمر جديد عليه حضاريا ... ومع ذلك فلانقطاع الجريدة أو نشرة الاخبار تشعرنا بأننا نعيش في سرداب مظلم مقطوع عن العالم .. كيف كان يعيش البشر قبل وسائل الاعلام ياترى ..

لذلك جددت هذه البيانات أوجاعنا .. وأجبرتنا على التفكير وكثرت المنازعات والمناقشات ...

- ليس هذا صوت عبد الناصر ...
- لا .. صوته وأنا سمعته من قبل في الراديو .. نفس الكلمة ...
- يريدوننا .. أن نفهم أنهم انتصروا منفردين ...
- هذا حقيقي .. هل رأيت طائرة انجليزية أو امريكية ...
- نحن بين أيدي اعداء تذكروا ذلك ...
- عايز عبد الناصر يكرر مسرحية ٥٦ ويخرج منتصرا ويحول الهزيمة والأنسحاب لنصر ..
- هل فقدنا الثقة تماما في بلدنا ..

هكذا كانت حياتنا .. في الاسابيع الاولى .. وكلما هدأنا قليلا حركتنا المخابرات الاسرائيلية ٥٠

في يوم .. صَحَوْنَا لَتَجِدَ فِي لَوْحَةِ الاعلانات في مدخل المسكر صورة زُنكُونُورَانِيَةِ لجريدة الاهرام .. وفيها مقال لمحمد حسنين هيكل من سلسلة مقالاته « بصراحه » يقول فيه أن الجيش الاسرائيلي كان يخارب بطرق علمية اكسبته النصر وهي طرق عالمية معروفة في الحرب من حشد ومناورة وتكتيبت وتطويق .. وأن القيادات المصرية أصابها الذعر والارتباك فلم تستطع الصمود ...

وبعد ذلك بأيام قليله وضعوا مقال لاحمد بهاء الدين في المصور .. عن ضرورة قيام دولة عصرية في مصر .. وأن السبب في الهزيمة أننا لم نكن نأخذ أمورنا بمتابييس الدولة العصرية .. وأنه مستحيل أن يؤمن عامل قِبالاشتراكية التي يحدّثه عنها رئيس مجلس ادارته ذو العربه وجهاز التكييف

والملابس المستوردة .. وأنه لكي يؤمن الشعب بضرورة شدد الحزام لابد وأن يرى شدد الحزام هذا عمليا على قيادات العمل السياسى والمهنى ..

وكانت هذه المقالات أيضا .. تولد مناقشات حادة جدا .. فلم تكن نتصور أنه وفي نهاية حرب كهذه يستطيع كاتب مهما كان أن يقول ما يقولانه .. البعض قال أنها نسخ مزوره ويحلل على أنه بعد الانفصال طبعت سوريا صورة مزورة من جريدة الاخبار تحمل خبر حدوث انقلاب فى مصر .. ووفاة عبد الناصر والمشير .. مما حدا بجلال هريدى أن يضعف ويسب الحكم وفساده فى التلفزيون السورى .

ويرد آخرون .. بل هو أسلوب هيكل فعلا وأسلوب بهاء الدين وهذه ليست بكذبة ..

- ممكن تقليد الأسلوب ...
- الكلام معقول ...
- وهل معقول أن يكتب فى مصر ...
- من أدراك ما يحدث الآن فى مصر ...
- لقد تأثرت بدعاية العدو .. وفقدتم روحكم المعنوية ...
- واثت معلق الفكر ولا تريد أن تفهم ...
- سنعود فى يوم ما .. ونعرف الحقيقة ...
- سننتقابل .. 11

وكان النقاش لا ينتهى .. حلقات مناقشة متتالية .. لكل منا وجهة نظر .. وقدرة على التحليل والفهم والعناد ...

وفى الايام الاخيرة من الاسباح الاولى .. احضروا لنا كتابا كتبه مندوب وكالات الانباء يحكى قصة النصر العسكرى الاسرائيلى .. حوالى عشر نسخ .. وتركوها فى غرفة القيادة .. ذهبت لاستعير نسخة .. فرفض الرائد صفوت اقدم الضباط .. واحالنى للرائد ثروت الذى حاول أن يفهمنى بأنها كتب مسممة لافكارنا .. ثرت ثورة شديدة .. قائلا .. لماذا تنصب من نفسك وصيا على فكرى .. لماذا تتخيل أن قدرتك على الفهم تفوق قدرتى .. أرجوك اعطنى كتابا ..

- هل تتحمل مسؤوليته في مصر ...

- أحملها .. هات الكتاب ...

وقرأته - كان يقص قصة الحرب .. والمعارك المختلفة .. مبالغاً فيها .. ومحاولاً - في نفس الوقت أن يدعى بأن الجيش الاسرائيلي خاض معركة حقيقية وأنه لولا كفاءته التي لا تدانى .. لما حقق النصر ..

وكنت دائماً ما أقول .. حقا أنه حقق نصراً يفوق أقصى تصورات اللواء مرد خاى قائد الطيران جنونا .. ولكن السبب لاننا أيضاً نقتنا أقصى التصورات جنونا في الفوضى وعدم التخطيط والارتجال والغرور ... ان الانتصار الاسرائيلي في حقيقته هزيمة عربية ... فقط ...

تشبعنا في الايام الاولى .. حتى كنا ننفجر ياساً وحزناً .. لا حديث سوى حديث المعركة ولا تصور الا تصورها .. ولا شئ سوى ماذا حدث لنا .. حتى يوم ٦٧/٦/٢٣ .. حدث تغيير خطير .. فأجهزتنا العصبية لم تعد، تختمل التوتر التي ما لا نهاية .. ولذلك فأقد حدث الضد .. سهرنا طول الليل نحكى نكتنا ونضحك ... ونضحك .. ونضحك بأصوات عالية كأننا في حفل سمر .. محاولين لا نشعوريا أن ننسى مأساتنا .. وكانت هذه الليلة .. وبصورة متفاوتة في الحجرات المختلفة انتشرت موجات الضحك واللامبالاة .. وابتدأنا نلاحظ الصوت الانثوى الذى ينادى في الميكروفون .. وأصبح مثيراً جداً .. ومثيراً لخيالات لا نهائية .. وابتدأنا نلاحظ مرور المجندات الاسرائيليات في الشارع الامامى في طريقتهن للمطعم والعكس .. البنيت السمينة .. والبنيت الطويلة .. والبنيت أم شعر اصفر .. والتي تحرك مؤخرتها .. والتي .. الخ ...

• وأصبحنا نطالب بأذاعة رتيديهية ولو لساعات .. نريد موسيقى .. اغانى .. وهنا كانت المخابرات الاسرائيلية قد أتمت فترة الانضاج .. ووصلت فعلاً الى اللحظة التي تستطيع فيها أن تقابلنا وجها لوجه .. بل لقد آمدونا بصابون وأمواس حلالة .. حقا لكل ثمانية عشر ضابطاً موسى وقطعة صابون صغيرة .. ولكنه تطور يربطنا بأسانيتنا بشكل أو آخر ...

حلقت ذقنى .. لاول مرة .. حلقتها لى زميل اذ لم نجد مرايا
للحلاقة ... واخذت حماما باردا وغسلت اوفرولى ثم اجسته .. وشعرت
ان حالتى النفسية اصبحت رائعة .. فاليوم لاول مرة اشعر بانسابيتى ..
وسمعت نداء .. ٥٧٦٣ .. هذا رقمى ..

- افسدم ..

- مطلوب للاستجواب ..

.. وذهبت لاجلس امام اول مستجوب .. ماذا سيحدث ياترى ... ؟

الموقف يخالف تماما لما تخيلته .. ادوات التعذيب .. والمعذبون
الغلاظ ذور العضلات المفتولة .. لا وجود لهم .. وحل محلهم رجل بسيط
رفيق ملامحه عادية تشبه ملامح اى فلسطينى طيب ومهذب ..

كان ضابطا فى الجيش الاسرائيلى ويرتدى ملابس تقريب ذى الثلاث
عصايات الصغيرة على الكتافة ... هذه هى اللحظة التى حاولت تخيلها
كثيرا منذ ان قبضوا على لاول مرة ... جاء ميعاد اختبارى .. اجمع
شجاعتك يافتى .. للمم نفسك ... فلتفرض احترامك عليه .. لست اقل
مفه فى شىء ..

نظر الى ياندهاش .. وقال :

- انت مصرى ... ؟

- نعم ...

- لا .. ملامحك تدل على انك لست مصرىا ...

- لماذا ... ؟

- لا اعرف .. ولكن عندى احساس بانك لست مصرىا ...

كان من الممكن ان تغضبى هذه الاسئلة .. لولا اننى تعودت عليها ..

فكثيرون يقولون لى مثل هذا الكلام ..

- مصرى .. ابا .. واما .. وجودا ..

قلتها وانا ابقتسم لماذا ياترى بدأ حقيقته بهذه البداية الغريبة .. قد
يكون لاننى اول مصرى يقابله وتقنه معاومة وملابسه نظيفة .. وحالته
النفسية مرتفعة .. مجرد مصافحة .. وقد يكون لان ملامحى اقرب
للشاميين .. وقد يكون ..

- اسمك .. وحدتك .. تاريخ ميلادك ...
- أسئلة عادية تماما ومسموح لنا بالرد عليها مفضلا ...
- ما رأيك في الحرب ... ؟؟
- شيء سيء جداً .. أن يقتل انسان .. انسانا آخر .. أو أن يهدم انسان أعمال وعرق اناس آخرين ...
- ولماذا تحارب ... ؟؟
- لانكم اجبرتمونا على الحرب ...
- لقد ابتدأتم الحرب باغلاق مضيق تيران ...
- الحرب ابتدأت بقصف الطيران للمطارات ...
- يا حبيبي مضيق تيران يشكل حياة أو موتاً بالنسبة لنا .. ومستحيل أن تغلقوه وتجمعوا في سيناء الآف المقاتلين ولا تقوم باجراء وقائي .. بذلك تصبجون انتم البادئين بالحرب .. ويؤكد ذلك سحبكم للبوليس الدولي ...
- كان ذلك بسبب حشدكم لقواتكم امام سوريا ...
- والله ... والله ... لم نحشد قوات .. لقد اخذنا سفراء جميع الدول على الحدود وأطلعناهم على الوضع وطلبنا من سفير روسيا ان يذهب ولكنه رفض .
- حشدتم قواتكم امام سوريا ...
- ماذا أقول أكثر مما قلت .. ستعود لبلدكم وتعرف اننا لم نحشد .. بالنسبة هل والذاك احياء ...
- نعم ...
- أو حشوك ...
- متعودان على ذلك .. وأنا متعود على ان اعيش بعيدا لحد طويلة ..
- ربنا يرجعك لهم بالسلامة ...
- أرجو ذلك ...
- كلامي العربي كويس ؟ ... ؟
- ليس رديئا ...
- تعلمته من اصدقاء فلسطينيين هنا ...
- لك اصدقاء عرب ؟ ... ؟
- كثيرون ...

وكيف يعيشون ؟

- كويس .. بنعمل لهم مدارس ومستشفيات .. ونعطيهم عملا ..
ولكن أحمد سعيد وهيكل .. والكلام الكثير .. يجعلهم باستمرار غير
راضين ..

- أحمد سعيد وهيكل فقط .. وأرضهم ومنازلهم .. وحياتهم ..
- من بقي منهم تركنا له أرضه .. وتركنا له وظيفته وعائلته ..
ولكن الذى ترك أرضه أخذناها لتعميرها ..
- ولماذا ترك أرضه .. لانه خاف على حياته منكم ..

- والله فكرتك مش مضبوطة بالنسبة لهذا الموضوع .. فى سنة ٤٧
أحنا خرجنا بعربات معلق تليها ميكروفونات .. وكانت تنادى لا تغادروا
أماكنكم .. لن نؤذيكم .. لكن زعماءهم قالوا لهم أسبوع أو أكثر وتحل
الجيوش العربية وينتهى الموقف ولذلك تركوا الأرض على أمل الرجوع فوق
مدرعات الجيوش العربية .. ما ذنبنا فى هذا (لم. أكن أعرف تفاصيل
هذا الموضوع جيدا ولذلك فلم أستطع الرد وحاولت أن اتخلص من المأزق
فسألته)

- انت متزوج ؟

- نعم .. وزوجتى فنانة ..

- أى نوع من الفن ؟

- رسامة ..

- بترسم كلاسيك .. أم مودرن ؟

- مودرن .. انت بتحب الرسم .. تعرف ترسم ؟

- أفهم .. وأتذوق ..

- بتحب السيرياليزم ؟

- وماذا السيرياليزم بالذات .. أفضل التكعيبية والتأثيرية ..

والتعبيرية ..

- انت بتفهم كويس فى الرسم .. احنا عندنا مدارس ورسامين

كبار ..

- ونحن أيضا ..

- انتم بلدكم فنونها قديمة .. من خمسة آلاف سنة .. اما الان

فهى مختلفة ..

- معلوماتك غير صحيحة تماما .. فلدينا كليات فنون ومعاهد
موسيقى وباليه ومسرح وسينما وأسنانة لهم معارض .. وبنالون جوائز
كثيرة في المعارض العالمية تصوير .. ونحت .. وعمارة ..
- قد يكون هذا صحيحا .. ولكن الموسيقى ضعيفة ...
- لماذا .. لدينا موسيقى كلاسيك .. وموسيقى حديثة ..
واركسترا سيمفونى

بدهشه - هل تعرف الموسيقى الكلاسيك ... ؟

- بالتأكيد ..

باختبار - من من المؤلفين تحب ... ؟

- تشيكوفسكى .. ريمسكى كورسكوف .. بتهوفن .. موتسارت ..
خاتشاتوريان .. باخ ..

- هل تسمع لباخ .. ؟

- نعم .. سبستيان باخ ...

- شىء غريب .. الم اتمل لك انك لست مصريا .. المصرى يجب
ام كلثوم .. وعبد المطلب ..

- وما الغريب .. نحن شعب له حضارة عمرها أكثر من خمسة آلاف
سنة .. من عنقنا نشأت الحضارة .. نحن الذين علمنا العالم .. ومرتان ..
في البداية وفي العصر الاسلامى ..

وابتدأت نظراته تتغير .. لم تعد نظرات الدهشة .. ولم تعد نظرة
تواضع من انسان متقدم لآخر متخلف من شعب متخلف .. وسعدت لهذا
التغيير فلقد فرضت عليه احترامى نجحت في تحويله من مستجوب الى
متعجب .. وخطرت لى فكرة لماذا لا ابعد عن المهحف الذى أحضرنى من
أجله .. وفي نفس الوقت أقنعه باننا لسنا شعبا متخلفا لاننا هزمتنا
أعجبتنى هذه الفكرة .. وحاولت إدارة الحديث كلما حاول أن يفرعه الى
الناحية العسكرية الى حديث آخر .. عن الفلسفة .. والعلوم ..
والفنون .. والاجتماع .. والسياسة والتاريخ .. والحضارة .. انفرع
عديدة متنوعة كانت تزيد نظرات الاحترام الممزوجة بالدهشة كلما تكلمت
عن سارتر .. وهيجل .. وبرتراند رسل .. وفرويد .. ودارون .. حتى
حضر من ينبئه بانتهاء الوقت .. وتركنى ولم يأخذ المعلومات .. التى
يريدها .. وخرجت لاحاسب نفسى .. ما الذى فعلته .. هل هذا وتت

استعراض معلومات .. هل ما فعلته كان صوابا .. ؟
أم خطأ .. ؟ لماذا تصرفت بهذه الطريقة .. اعزاز وطني ..
محاولة للتغلب على الشعور بالنقص عن طريق الاستعراض ... فخ نصبه
بمهارة رجل الخبايا ليتعرف من أنا .. قد يكون .. ولكنني تعلمت
درسا .. وهو الا أخاف المستجوب .. هو رجل .. وأنا رجل ..
ولا فارق ...

وفي هذه الفترة تغيرت الحياة في المعسكر تماما .. فلقد ردم
الاسرائيليون دورة المياه المفتوحة والتي استعملناها في بداية حضورنا
للمعسكر .. وفتحوا دورة المياه الاساسية .. وهي دورات تشبه
اي دورة في معسكر مصرى .. ولكنها قذرة جدا .. وسمحوا لنا بإذاعة
ترفيقيه صباحا لمدة ساعتين .. ومساء قبل إغلاق العنابر .. وكانت أول
أغنية نستمع اليها في اسرنا .. أغنية لمحمد عبد المطلب .. وأنا مالي ..
وأنا مالي .. عمر الايام م حتلالى طول م أنت بعيد عنى يا غالى ..
وصحنا جميعا كأننا متفقون .. اولاد الكلب ...

ثم أغانى لام كلثوم .. فات الميعاد .. وبقينا بعاد ..
منصبرنيش ... م خلاص ... أنا فاض بيه ومليت ..
وأغانى لشاقيه .. سلامات ... سلامات يا غايب عنى ...

كلها أغانى تزيد الحنين الى الوطن .. وتزيد التساؤلات .. متى
سنعود ... لتكون شرخا في اعصابنا .. وتزيد توترنا ...

وفي بعض الاحيان كانوا يذيمون بعض الموسيقى الراقصة قبل ذئرة
الغذاء ... والمجنذات الاسرائيليات ذاهبات الى المطعم .. يرقصن وهن
ما شيات .. (تاكينلا .. ورقصات أخرى ..)

وزادت الدعوات للاستجواب .. واهدوا مكتبة المعسكر يكتب أخرى
تتحدث عن النصر العسكري الاسرائيلي ثم مجلة نيوزويك الامريكية .. وهي
تحتكى قصة الانتصار .. مصورة موسى ديان .. في المقال البرئيسي
وعنوانه « الرجل الذى حول القطط الى سباع » .. والمتصود بالقطط

هم جنود الجيش الاسرائيلي الاحتياط في الاغلب .. وعى إشارة الى أنهم مسالمون .. ولكن في وقت المعركة يتحولون الى سباع تحت قيادة المسبح الاكبر ..

كذلك وفي هذه الايام أحضروا لنا كروت صغيرة لنكتب عليها ما لا يزيد عن عشرين كلمة لاهلينا .. وكان خطابي الاول .. « ما زلت أعيش على ظهر الارض » .. وفي هذه الفترة أيضا .. أحضروا لنا مجلات جنسية امريكية كلها صور جنسية غارية ..

وهكذا خففوا الضغوط قليلا .. فأصبح في استطاعتنا اغلاق النور في المساء دون تهديدات .. ولم نعد نستمع الى الطلقات الليلية للجراس ... وصاحب ذلك تطور في الطريقة التي نعيش بها .. انتهى حديث الحرب .. أو قل الى حد كبير .. وابتدأنا في الحديث عن وسيلة لترويه وقضاء الوقت .. وتحولت الاحاديث تدريجيا الى الحديث عن السنينما .. والجنس ... والنكت الجنسية .. والمغامرات العاطفية .. والاغانى الخليعة كل يحاول أن يعموض النقص الذي أصابه بالمبالغة في مغامراته .. بالإضافة لما دار في الاستجوابات .. ثم ابتدأنا في عمل كتابتين من علب السجائر .. وشطرنج من لبابة العيش ..

في الاستجواب الثاني .. طبقت ما تعلمته من الاستجواب الاول .. الملابس النظيفة .. وحلاقة الذقن .. والابتسامه الواثقة .. واستقبلني في هذه المرة لجنة .. ضابط ومترجم ومترجم .. وأوراق كثيرة .. استجواب عسكري هذه المرة ..

- ماذا كنت تعمل ؟ .. ؟

- ضابطا ..

- أي كتيبه ؟ .. ؟

- كتيبة مهندسين ..

- معلوماتك الهندسية ..

سؤال مباشر بماذا أرد .. لا استطيع التميز في الدوران حوله ..

- أنا .. أنا دخلت الجيش منذ مدة تربيته ..

- ماذا تعرف ؟ .. ؟

- أعرف كل شيء .. ولكنني لا أتقن شيئا .. معرفة سريعة ..

- أنت رائد .. معنى ذلك أنك مسئول ... ؟
- المهندسون يصبحون روادا سريعا ...
- مدة عملك ... ؟
- سنه ...
- وفي خلال هذه السنة تصبح رائدا ... ؟
- أضافوا الى مدة خدمتى السابقة فى وظيفة مدنية ...
- ما نوع تخصصك ... ؟
- مميزاتى ...
- ببنى عمارات فى الجيش ... ؟
- مباني صغيرة .. بوابة .. مخزن .. سلاحليك .. سجن ..
- واين كنت تعمل وأنت مدنى ... ؟
- فى سيناء .. ففتت كل المباني الموجودة هناك .. فى العريش
ورفع والشيخ زويد وبير العبد .. المدرسة الابتدائى هناك ..
ومدرسة الصنایع فى العريش .. قطع حديثى بصراحة ...
- ما معلوماتك عن رص حقول الالغام ... ؟
- مش فاهم ... انا محاولا ان اعطى نفسى فرصة للتفكير ...
- كيف ترص حقل الغام بواسطة الافراد .. بواسطة معدات ... ؟
- بواسطة الافراد ...
- وما الطريقة ... ؟
- عادى ...
- ازاى بتسجلها ... ؟
- فى السجل ...
- ايه اللي بتكتبه ... ؟
- املا الخانات الموجودة ...
- مش عيب عليك تبقى رائد طويل وعريض وتكذب ...
- كيف ... ؟

وفتح درج مكتبه وأخرج مخدرات الفرقة الاساسية وكتاب الالغام ..

وقال :

- هذا هو المستوى الذى تدرسه .. وهذا هو كتابكم .. لماذا تكذب .. ؟

أخذتني المفاجأة بصورة لم أتوقعها .. ولكننى استجمعت نفسى سريعا وضحكت قائلا ..

- فى الحقيقة .. الذى يبرص الالغام كتائب متخصصة .. أما أنا فلم أُرصها أبدا ..

- كيف تعمل طريق ... ؟

- بالجريد .. والبلدوزر ..

- وعندما تكون مفككة ... ؟

- نضع طوب وزلاط ...

- ألا توجد طرق أخرى ... ؟

- توجد طرق كثيرة .. تعرفها كتائب الطرق ..

- وماذا تعرف أنت ... ؟

- أعرف كل شىء ...

- ماذا كنت تعمل .. فى الجيش ... ؟

- لم أعمل أكثر من سنة ...

- فى هذه السنة ماذا عملت ... ؟

- كنت فى الكلية الحربية ثلاثة شهور .. والباقى فى المدرسة ...

- التى فى الحلمية ... ؟

- نعم .. أخذت فيها الموجود فى هذه الكراسية .. ووصلت كتيبى

منذ شهرين فقط

- ماذا عملت هناك ... ؟

- بنيت بوابة .. وميز للضباط ...

- العمل المسكرى ...

- مفيش ...

وهكذا حرنا فى دائرة مفرغة .. فننتهى من حيث بدأنا .. وكان يتخلل

الحديث أسئلة عن حالتى النفسية وأهلى .. وهل تريد أن تراهم (بلهجة

تهديجية) كأنما يقول لى أننى لى أراهم الا اذا تكلمت .. ومع اننى فهمت

ماذا تعنى هذه اللهجة .. ومع علمى أيضا بأن تفاصيل عملى مكتوبة

فى الدفاتر والكتاب اللذين أمامه .. الا اننى لم أستطع أن أنطقها لعحو

بلسانى .. بنفسى .. تطوعا .. حتى بدون ضغط .. حقا هو يعرّفها

جيدا ٠٠ ولكن من يعلم لماذا يسألني هذه الاسئلة ٠٠ وطغى هذا السؤال على قشرة عقلي ٠٠ فسالته ٠٠

- امامك الكتاب والمذكرات ٠٠ وتستطيع ان تعرف منها الاجابات الصحيحة ٠٠٠ على كل سؤال تفصيليا ٠٠ فلماذا تسألني ٠٠ ؟

فوجيء بالسؤال وتردد قليلا ثم قال :

- مجرد اجراء روتيني لاتأكد من انك مهندس ٠٠
شيء غريب لا يمكن ان يكون اجراء روتينياً ٠٠ المقصود شيء آخر ٠٠
لا اعلمه ٠٠ اكتشفته بعد ذلك عندما داومت على التفكير ٠٠ وبعد عدة ظواهر
اخرى ربطتها بعضها ببعض اهمها انهم يبحثون عن المهندسين الذين رسوا
حقول الالغام ٠٠ ليساعدوهم في ازلتها ٠٠ وهنا فهمت لماذا يصرون
على حقول الالغام ٠٠ ويعود لها بعد عدة اسئلة ٠٠ لقد نجوت ان الاصرار
على مصلحة الوطن الفطرية ما هو الا اصرار على المصلحة الشخصية ضمناً
٠٠٠ لو انني اعتبرت الكتاب والمذكرة ببساطة سبباً لان اتكلم لأصبحت مثل
الفنائة التي يعتدى عليها غصبا بواسطة مجنون او سكران فتتحول الى بائعة
هوى ٠٠ ألم تغتصب ٠٠ ؟ ٠٠ ما الداعي للشرف الان ٠٠ ألم تقع في أيديهم
الكتب والمذكرات ما الداعي للسكوت الان ٠٠ ولكنني لو فعلت ذلك لكان
جزائي يتناسب مع مقدار قصر نظري ٠٠ لكان جزائي ان أقف الايام الطوال ٠٠
اساعد المعتو على التخلص من الالغام التي نصبتها له ٠٠ لكان
جزائي الاستنكار من نفسي ومن مجتمعي وقومي ٠٠ وازدراثهم لى ٠٠
ا م لبائعة البروى التي اعتدى عليها يوماً غصبا بواسطة مجنون ٠٠

ومنذ هذا الاستجواب ومع انتهائه ٠٠ انتهى تماماً سؤالى عن المعلومات
العسكرية ولا اعرف السبب ٠٠ بل الاعجب ان كل المستجوبين بعد ذلك كانوا
يعاملونى على اننى ضابط احتياط ٠٠

جاننا زميل بعد الاستجواب مصفر الوجه مفعلاً أنفعلاً شديداً ٠٠

٠٠٠ - ماذا حدث ٠٠٠ ؟

- اولاد الكلب ٠٠٠٠

- ماذا حدث ٠٠٠٠ ؟

- سألوني عن جهاز لاسلكي معين فاستعبطت .. احضروا كلبا
ضخما ووضعوه امامي .. ايدى الكلب فوق كتفى .. ودخلت
سيده مجنذة اسرائيلية وبصفت في وجبي .. وقالت لى ..
هل انت رجل ...

- ياه .. بعد ..

- ركبتا في عربة جييب حتى البحر .. نزل منها جنديان وحفروا
حفرة عميقة على الشاطئ، قالوا لى دي مقبرتك .. سندغتك
منا ..

- مش معقول ..

- بعد ذلك أرجعونى وقالوا .. فكر وستكلم ثانية الساعة الرابعة ..
.....

وهاج الزملاء .. قد يتعرض اى منا لهذا الاستفزاز .. وذهب الرائد
صفوت الى قائد المعسكر .. وقائد المستجوبين .. مقدهما احتجاجا .. الم
تقولوا انكم لن تضغطوا على احد في استجواب .. الم تقولوا انكم لستم
برابرة لتستجوبوا بهذه الطريقة .. سنقدم احتجاجا للصليب الاحمر
.. وكانت النتيجة اعتذار عما حدث .. وانتهت القصة .. وأن ظلت
تداول مدة طويلة ..

زميل اخر جاءنا يقرب كفا بكف .. هل تخيلون .. قلت لهم اننى
رئيس عمليات كتيبه فقالوا لى لا اسمك كذا .. ووظيفتك كذا .. ثم اخرج
ورقة من مكتبه وقال وهذه امضاؤك .. ثم فرد خريطة رسمتها للدفاع
المضاد للطيران في منطقة ابو عجيله وقال لى .. وهذه خريطةك ..
احضروا الخريطة التى رسمتها ..

وكذلك احضروا لبعض الزملاء .. خرائط مصورة بالطائرات لمناطق
ابواء القوات في القاهرة وعلى القنال واخذوا يضعون على الاماكن اسماءها
.. وخاصة مصانع وقواعد الصواريخ المضادة للطائرات ..

اصبحت لحياتنا ما يشبه الشكل المستقر حتى بداية شهر يوليو ..
اغانى وبعض الموسيقى .. ثم استجد في نهاية السنة ثشرة الاختيار في تمام
الثانية عشر من صوت اسرائيل او الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العزبية

أو ما يشبه ذلك ٠٠ وسمحوا لنا بـخطاب كل شهر وكارت كل خمسة عشر يوما ٠٠ وأغرقتوا المعسكر بجليدتين بيوميتين ٠٠ لحداهما باللغة الانجليزية وتسمى الجورزلمبوست وهى جريدة ناطقة بأسم الحكومة الاسرائيلية ٠٠ وأخرى باللغة العربية وأسمها جريدة « اليوم » وهى تصدر للمناطق المحتلة

والجورزليم بوست جريدة غير مبتذلة بالمقارنة بجريدة اليوم ٠٠ وان كانت موجهة ومعبرة عن وجهة النظر الاسرائيلية فى جميع القضايا ٠٠ وتصادف مرور خمسين عاما على مؤتمر بازل ونبوءة هرتزل بقيام دولة اليهود فى فلسطين بعد خمسين عاما ٠٠ ولذلك أصدرت الجريدة ملحقا خاصا عن نشأة اسرائيل ٠٠ ومنها عرفنا بقرارات مجلس الامن والسفير يارنج والافواط القى منحت للجنود والضباط الاسرائيليين ومعظمها نتيجة للعمل الياسل الذى قاموا به لانقاذ جريح أو احضار جثة زميل اثناء القتال ٠٠٠

١٠٨

أما جريدة اليوم فهى جريدة ، مبتذلة وحقيرة جدا ٠٠ لا تتورع عن 'حكم فى مصر خصوصا وتشويش الحياة فى الدول العربية عامة ٠٠ ونقد (لاشتراكية اللبن المخلوط بالماء فى مصر) والتشكيك فى احتمال تدره الجيش المصرى على استعادة كفاءته القتالية فى المدى القريب وحددت بقاء على رأى قائد عسكري أمريكي بأن أقل مدة لذلك هى أربع سنوات ٠٠ وكان من النادر أن تمسك عددا ولا تجد فيه سبا مباشرا لعبد الناصر ٠٠٠

وهذه الجريدة رفضتها العناصر الواعية بالمعسكر وقبلتها بعض العناصر المهزوزة التى كان يحلو لها قراءتها واستعذاب آلام الاهانة ٠٠٠

واستقر نظام الحكم المحلى للمعسكر وأصبح لهيئة القيادة حجرة كبيرة يسكنها حوالى خمسة ضباط يخصص كل منهم مكان أكبر ٠٠ وأصبحوا يتمتعون ببعض الامتيازات الصغيرة فى هذه الظروف جعلتهم متميزين عنا ٠٠ فهم لا ينظفون حجرتهم أو يغسلون أدوات اكلهم ٠٠ أو ملابسهم ٠٠ بل يقوم بها بعض الجنود المصريين المخصصين لخدمتهم وكميات اكلهم أكبر كثيرا ٠٠ ولكنها حياتنا ومجتمعنا ٠٠ نقلناها معنا الى الاسر ٠٠٠

وتحولت احاديث الضباط كما قلت بعيدا عن الحرب ٠٠ وزادت التهرشات ٠٠٠ والشاجرات السياب لانتفه الاسباب بين الضباط ٠٠

وانتشرت النكات التي تروج لها المخابرات الاسرائيلية .. مثلا قولوا لعين الشمس ما تحماش .. لحسن دا جيشنا المصرى راجع ماشى ...

كذلك حدث تغيير هام .. وهو عودة الاسرى الاردنيين .. والسوريين .. ولم يبق بالمعسكر سوانا .. أسرى ...

والان فلنحاول أن نتصور سويا .. يوما من ايامنا في المعسكر .. في الحجره رقم ١٠ .. حيث ينام ستة عشر ضابطا ما بين رائد وملازم حديث التخرج ...

الساعة السابعة صباحا :

أحدهم يستيقظ ويضحك بصوت عال .. ثم يصمت فجأة .. ويزغد الضابط المجاور له .. قائلا ..

- انظر اليسوا أمواتا .. احنا خلاص متنا ياسادة ..
- آخر - اصطبح وقول يا صبح .. من الصبح وأنت تنعق كده ..
- آخر - هو الواحد ميقدرش ينام ساعة ..
- آخر - قوم ياسى زفت اغسل الاواني النهارده دورك في الغسيل والفتار زمانه جاي ..
- آخر - علشان خاطرى اغسلهم بدلا منى .. انا تعبان وقرفان ...
- آخر - هو انت الوحيد الذى لك اهل .. م كلنا متجوزين ولنا اولاد ونسوان واباء وامهات ..
- انا متصور ان الصليب الاحمر الذى اخذ خطاباتنا مزور .. ولم يرسلوا الخطابات
- السوريون والاردنيون مشيوا .. ليه احنا فاضلين ...
- البنى آدم في مصر لا ثمن له .. ولا قيمة ..
- لو أن بيتنا ابن وزير والا اخر واخذ كبير كان زماننا في مصر ...
- حتى دى عايزه وسايط .. ؟
- سلفنى صابونتك اغسل وشى ...
- جنديان يحملان قزانا كبيرا ومهما ضابط يقفون على باب الخجرة ..
- الفتار يا حضرات كل واحد ياخذ اكله ..
- اين كوزى .. عايز اخذ شاي .. انتم متغاضلين من كوزى لانكم لا تملكون مثله ..

- بطل بقى .. كوزك مرمى وراء جزمك ...
- ارمى الدبش بتاعك ... يا فتاح يا عليم ..
- لا .. العيشة معاكم متنفعش أنا حاششوف ناس غبركم ..
- قوم يا عاطف ... عشان تاكل ...
- سيبه ده سهران طول الليل بيولح سيجارة من سيجارة ...
- هي دى سجاير دى .. قش ملفوف فى ورق ..
- فينك ياكيلوجاترا ...
- احنا ياجماعة لازم نشغل وقتنا بحاجة مش معقول كده حتمت من
المسل والفراخ .
- والله الواحد منكم لويؤدى تعليمات دينه عمره ما حيلاتى فراغ ..
- صل واقرأ القرآن وستجد السكينة ...
- من أين نحضر القرآن ؟ ...
- سأطلبه من المستجوب عندما أذهب له ...
- قل لى يا سيدى انت بتروح كثير هناك ليه ... ؟
- ناس بتحبني .. أنت مالك .. على الأهل بشرب سيجارة نظيفة
وكازوزه مثلجة وشاى فى كباية ...
- تعال أعلمك البوكر ...
- انت مقصور ان الكوتشينه بتاعتك دى كوتشينه ...
- مش أحسن من مفيش ...
- تعال نتمشى فى الخارج ...
- تعال نزور الدكاتره .. فى حجرتهم ...
- أنت يا واد انت قد اولادى .. انت نسيت انى قائد كنتينك ... ؟
- يا عم لما نروح لمصر ابقى حاكمنى .. هنا كلنا أسرى ...
- عيب يا محمد ده القائد بتاعك برضه ...
- والنبي تسكت يا فتدم .. أصلك متعرفهوش .. انا عازفه كريس
- ... يخرّب بيتك كل ده عشان طمطمايه ياولد ...
- آه كل مرة ياخذ الطمطمايه الكبيرة .. ويسيب الصغيرة لى ..
- طمطماية ايه ياولد .. الطمطماية دى ملهاش قيمة .. شوف الواد
الذى ..
- فى مصر عندك الفدادين. والعمارات والفلوس فى البنك .. لكن هنا
الطمطماية هي العمارات والفلوس .. خلى فدادينك تنفك ...

- برضه الأصل غالب ٠٠ من يوم ما دخل الحربية أولاد الشحاتين
وهى كده ٠ على أيا منا كنت تحب تتفرج على أيام الجمعة والزيارات
٠٠ أحسن العربيات ٠ وبوفيهات التورتات والجاتومات ٠٠
واميرات مصر وجهيلاتها ٠٠ وفرقة مزينة باللبس الرسمى ٠٠
ناس اعينهم مليانة ٠٠ مش أولاد الشحاتين اللي بيتكلموا عن
طمطماية ٠٠ روح النهارده شوف الكلية الحربية ٠٠ تلاقى
الدوابين والسمركية هم الزوار ٠٠ لدرجة أن اى افندى محترم
يتكسف يزور قريبه ٠٠٠

- يا عم بطولوا سرح بقه عايز تفهمنا انك ابن باشا ٠٠ انت دخذت
الحربيه سنه ٥٣ ٠

- آه لكن أخويا دخل ٤٩ ٠٠ ومادام أخويا قبل ٤٩ كنت تحبب انا
كمان لو كان الوضع زى ما هوه ٠٠٠
- ياريت والله كان أحسن ٠٠

- هس ٠٠ هس ٠٠ كان زمانك النهارده خالى شغل ٠٠
- مش أحسن من الرمية المهببه دى ٠٠

- ان شاء الله حي عوضوك كويس بعد ما ترجع ٠٠٠
- الاسرى فى ٥٦ أخذوا مرتباتهم بالكامل وشهرين مكافاه ٠٠ وهديا
وحفلات وتعويضات ٠٠٠٠

- لكننا فى ٥٦ كنا منتصرين مش زى الخيبة السوداء دى ٠٠٠

- يا عم انتصار آيه ونيلة آيه ٠٠ انت بتصدق يعنى لو كان الانجليز
والفرنسيين عايزين يموتونا واحد ٠٠ واحد ٠٠ كنا حنقدر عليهم ؟
- انتم لمسه عمالين تتكلموا ٠٠ انا استحميت وانتم عمالين تتخانفوا
- استحميت فين ٠٠٠ ؟

- على الحنفية ٠٠٠

- قدام الناس كده ٠٠٠٠ ؟

- اذا كنت بقضى حاجتى قدام الناس ٠٠ حيلب علينا أن نستحمى
أمامهم ٠٠ ولا فى النظافة لا ٠٠٠ فاضل الواحد يظن ٠٠ وأحط
الكولونيا التمام ٠٠٠ والدويرة ٠٠ واسرح شعرى ٠٠ وتلبس
الجلابية الديلان بتاعة أخوك شلى ٠٠ يا سيد متخلص ٠٠
أحنا هنا كوم زباله ٠٠٠ دى مزبله ٠٠ عايش فيها خنازير ٠٠
- يا جماعة ٠٠ يا جماعة ٠٠ الواحد يعنى ميعرفش ينام ٠٠٠

- قوم يا معلم الساعة بقيت الحادية عشرة ٠٠٠
- قوم بينا نسمع الاخير ٠:٥
- خليك أنت علشان تاخذ لنا الاكل ٠٠ غسلت مكان الفطور ٠٠٠ ؟
- الميه انقطعت قبل بم الحق ٠:٥
- يا أخى حفضل كسلان كده لامنى ٠٠ مش قادر حتى تخدم نفسك
- أصله ابن بهوات ٠٠ كان عنده ثلاث مراسلات في المكتب يا سيدى
- نصف السرية كانت مراسلاته ٠٠٠
- هو حد وصلنا لعليت الا اللي زيه ٠٠٠

الساعة الثانية ظهرا :

- الضباط يخرجون من حجراتهم ٠٠ ويتدفقون الى واجهة المعسكر
- أمام السور حيث يوجد الميكروفون ليستمعوا الى نشرة الاخبار ٠٠
- تعليقات مختلفة على الاخبار ٠٠ كل كلمة تفسر لاكثر من معنى ٠٠
- مناقشات متوترة .
- الغذاء ٠٠ غلب الخضار المحفوظ التي أخذوها من الحرب وأرزنا أيضا
- او مكرونة ٠ لا فاكهة ٠٠ اللحم في حدود ضيقة على هيئة كفتة او بلوبيف
- ٠٠ طابور الغسيل ٠٠ كل يحمل أوانيهِ ويقف أمام حنفيات المياه في انتظار
- دوره ٠٠٠

الساعة الان الخامسة :

- بعد ساعة ستقبل علينا الأبواب ٠٠ هذه الساعة هي الفرصة الوحيدة
- للتجول خارج الحجرات حيث يصبح الجو صالحا للمشى ٠٠ كل ثلاثة أنزاد
- أو أربعة ٠٠ يسيرون معا ٠٠ اذا اقتربت منهم تستمع الى كلام متباين ٠٠
- فلتقترب عن هؤلاء ٠٠٠
- الجو جميل جدا ٠٠٠
- شايف الألوان في السما ٠٠٠
- الحياة حلوة لكن احنا اللي جايبين القرف لانفسنا ٠٠٠
- لماذا لانعيش في سلام ٠٠ هل يجب أن نكون دولة عظمى ٠٠٠
- والله أنا مليش في الطور أو الطحين كنت مدنى وحتجوز جرونى
- أنا اتجوزت الشهر الماضى ٠٠ كنا في شهر العسل ٠٠
- مراتى حامل ٠٠ يا عالم ٠٠

- والدى كان مريضاً .. ترى ماذا حدث له ... ؟
- تلاتيهم ولا حاسين .. احنا بس اللي طالع عنينا ...
ولننقرب من هؤلاء ...
- اذت فاكر اللحن ده .. ويصفر بفمه ...
- آه بالطبع « سترانجراين زى نايت » ...
- اعيدها الغنوه دى ...
- شوف كلماتها .. و اتنين تايهين فى الظلام .. يتمنيان الحب
والمسعادة .. شىء ما فى عينيك جذبنى اليك .. شىء ما فى
ابتسامتك اثارنى للغاية .. شىء ما فى قلبى يقول آت لى ...
- أسكت من فضلك لا تقطعنى .. احنا أصلنا خراعه .. شوف
الاطفال فى الجنائين تلاتيهم بيتطفوا الورد .. حتى الوردة
لا تستطيع ان تعيش فى سلام .. الوردة الزرقية الحلوة ..
احنا شعب فرعون ..
- والله كلامك مضبوط ..
- يا جماعة وحياء ابوكم تبطلوا السيرة دى .. احنا حنفضل شتم
فى نفسنا كده لحد أمتى ...
- أصلنا نستحق الشتيمة .. لازم النكسة دى تغسلنا من الداخل
.. لازم ننقد أنفسنا ونصلح بعض .. ليه الطفل الصغير يقطف
الوردة .. ويضرب الطوبية فى لوح الزجاج .. ليه .. تعرف تقولى ؟
- سمعت اللحن ده « لاقام دى مون أميه » .. زوجه صديقى ..
احبك .. أعبدك .. انت النور الذى آراه .. انت الحياة ..
أكسبتنى السعادة والمحبة ولكن هناك عيب صغير أنك زوجة
صديقى -
- الناس دى بتجيب الكلام ده منين .. ولا اللحن .. علشان كده
بيغلّبوا ... مش تعاليلى يا بطة ...
- ولننقرب من مجموعه أخرى ...
- وقتله ادينى بق ميه ...
- قاللى لا .. ليه يابنى .. ده أنا حموت .. ابن الكلب يقول لى ..
م هو يا انت " تموت يا أنا اموت .. احنا كده .. شعب مش
متعاون .. لو كان قلبنا على بعض وايدنا فى ايد بعض .. مكنش
حصل اللى حصل ...

- وحترج بعيد ليه مشفتش الخناقة اللي حصلت على الاكل اول يوم .
- شايق الواد ده ...
- فين ...
- التخين ده أبو زنويه ...
- آه ...
- بس اوعى تقول لحد ...
- لا ...

- آه ... ده ... احنا لتاسرنا سوا ... يوم ٨ يونيو ... جابوه اليهود وقعد يخطب فينا يا حضرات ... انا ضابط مصرى زيكم ... متخفوش ... احنا خلاص حنرج بلدنا بعد يوم أو اثنين ... لان لليهود مفيش بينهم وبيننا حاجة ... اللي كان بينهم وبين عبد الناصر ... ويسرني أن أرفق لكم الخبر الجميل ده اللي كلنا بنتمناه ... ان عبد الناصر ... تنحى ... استقال ... مشى وبالشكل ده يصبح مفيش سبب للحرب ... وحنرج تاني لاهلنا واولادنا قريبا جدا ...

- مش معقول ... هو عبد الناصر استقال ... ؟
- آه انت متعرفش ... بس رجح تاني ...
- يا أخى اشاعة اسرائيلية ... احنا سمعناه بيخطب في ٢٣ يوليو ... وانتم ... عملتم ايه ...
- كنا عايزين نقتله ... لكن ما باليد حيله ... اليهود بيحموه بالسلاح ...
- وانت ايه رأيك ... ؟
- زى ما قلت احنا شعب ميخافش الا بعنيه ... اللي يتجوز امي اقوله يا عمي ...

- ولنقترب من مجموعة رابعة ...
- أنا مش قلت من زمان ... من لا دين له لا شرف له ...
- حقيقي يا أخى البلد اللي تنسى دينها لازم يحصل لها كده ...
- قول لى يا استاذ ... أين الدين ... أين الصلاة ... أين الفضيلة ... هل نعيش في بلد اسلامي ونستولى على أرض الناس وفلوسهم ومصانعهم اللي عرفوا وتعبوا فيها ... ربنا قال كده ...

- يا اخ والله الواحد كان بينكسف يركب الاتوبيس من الانحازل

.. دى فوضى .. اخر زمن ...

- ربنا مش راضى عنا .. ده انذار من الخالق عز وجل ..

- لكن م اليهود كفره .. لماذا ينصرهم علينا واحنا مسلمين وخير امه .

- مين ممالك .. مش يمكن يكونوا اقرب لله منا .. مش لليهوديه

دين سماوى .. مش يمكن يكونوا بيطبقوا تعاليم دينهم احسن :نا .

- على رأيك .. على الاقل ما بيسجنوش مسلم علشان بينادى بتعالىم

دينه واحياتها .

- انت عارف لو الاخوان فى الحرب دى .. كانوا شيبوهم .. الواحد

من دول فى ٤٨ كان يطلع على اليهودى زى الوحش ينادى الله اكبر

.. الله اكبر .. اليهودى يتربع يسيب سلاحه ويهرب ..

سبحانه مغير الاحوال ...

وهكذا تدور الاحاديث بين جماعتنا الصغيره كل اثنين كل ثلاثه

كل اربعة ... نصبوا انفسهم قضاة .. وظلوا يرجمون المجتمع ثم يلصقونها

بالنكسة .. بالحرب .. لقد هزمتنا لاننا فراعنه ونمارده .. ومتخلفين

نقطع الورد .. ولاننا لم نترك الاخوان يقتلوننا فى السينما والمسارح

.. ولم نتركهم ينسفون لنا الكبارى ومحطات الكهرباء !!!

وتحل ساعة الحبس .. ويتجه كل منا الى غرفته .. الى سجنه

.. فيؤدى حاجته اولا .. ويملا اوانيه بالماء .. ويغسل وجهه ورجليه

من التراب .. واخيرا .. يتف الحراس اليهود يصفقون بايديهم .. انتهت

الحرية فلندخل الى الاتفاص ...!

الاضاءة طول الليل .. لاضواء .. الشيبايك مغلقة .. اذا مرض

احكم فليناد على الحارس اقدم ضابط بالحجرة

- مساء الخير .. مين اقدم الضباط ...

.....

- المجد كيام ... ؟

.....

- أحاد .. اثنين .. ثالث .. رابع .. خمشة .. سابع ..
شموني ..
- تصيحوا على خير ...

وتغلق الابواب بالترابيس .. ويوضح عليها الاتفال من الخارج ..

الان نحن في مواجهة انفسنا .. وعلينا ان نقضى هذا اليوم .. بيومي
يقلد اليمنيين .. الشيخ محمد صلى يوم المصلين .. محمود والجنسدى
وفايض ومحمد يلعبون بوكر .. عاطف وعادل يتكلمون .. حتى نسقط بالتتالى
نائمين .. واحدا .. تلو الاخر .. ونضع الجرمل الذى نبول فيه ليلا خلف
الباب .. ويطفى آخر الساهرين النور .. وننام ليبدأ يوم جديد ..

وتمر الايام الباقية من شهر يوليو حتى قرب نهايته وفي السبت الاخير
من الشهر استدعى للاستجواب حوالى ٢٥ ضابطا مجتمعين .. كانت
الاجراءات مخالفة للاجراءات المتبعة .. اكوام من البنتلونات الجديدين
البيج بكل الماسات .. قمصان بيضاء .. اذنية بلاستيك ..

فسألنا .. ما الموضوع ؟ .. وجاءنا الرد ..

رجل طويل يلبس الملابس المدنية .. ينادى علينا .. وكل ٥ ضباط
او اربعة او ثلاثة يسلمهم لآخر .. وهكذا حتى تبقى ٦ ضباط ..
انا مهندس - وطبيب - ونائب احكام - ومهندس مركبات - ضابط اشارة
ضابط مدفعية .. يوجد رابط معين يجمعنا اكيد ولكننا لا نشعر ..
ارتدينا ملابسنا الجديدة .. واستلمنا الرجل المدني ومعه اخر يحمل
حقيبة عرفنا بعد ذلك ان بها طبنجة .. ركبنا ميكروباس .. واتجهنا خارج
المعسكر نحن فى طريقنا لزيارة اسرائيل .. اول زيارة للاسرى المصريين ..
الدنيا غريبة بعد السجن الطويل .. ما نحن نرى عربات مدنية .. رجالا
ونساء واطفالا يسرعون بعرباتهم فى اتجاه البحر .. الميكروباس يقف بعد
مدة قليلة .. يلتفت لنا المرافق ويفرد خريطة لاسرائيل ..

صباح الخير .. اول موضوع نتكلم فيه هو انفى اريد ان تفنوا انكم
اسرى .. انتم الان ضيوف لاسرائيل .. سياح .. بالمفهوم ده نقدر نفهم
بعض ونمضى يوما جميلا ..

وقد يكون للضغط الشديد وفرصة التخلص منه ولو ليوم سببا لاننا جميعا ابتسمنا وقررنا فعلا أن نعتبر انفسنا سياحا ..

استمر في كلامه .. هذه خريطة اسرائيل بعد ٥ يونيو .. (سياح ايه الله يخرب بيتك هل هذا كلام) وكأنه اكتشف ما يدور بخبرنا .. وأضاف الا اذا حل السلام فنحن مستعدون للرجوع الى الحدود السابقة .. وهذا المكان اسمه عتليت .. (كانت المرة الاولى التي نسمع فيها اسم المكان) نحن بجوار حيفا .. هذا جبل الكرمل .. زيارتنا سنصعد الى جبل الكرمل .. وسنرى حيفا من اعلى ثم سنذهب الى كيبوتز بجوار حيفا وسنزور اخوانا عربا في الناصرة .. ثم نتناول الغذاء على شاطئ طبرية .. وانطلق الميكروباص .. العربات حولنا تحمل العائلات للبحر .. الرجال والنساء بالمايوهات فالיום عطلة .. بلاج حيفا .. الشماسى الملونة .. المايوهات البكنى .. الجيلاتى .. النظارات .. حياة عادية .. كأنه لا وجود للحرب هنا .. العربية ترتفع في طريقها الى اعلى الجبل .. السينمات .. افيشات أفلام رايهاها في القاهرة .. السيدات البيضاوات بالشورت .. بالميكروجيب .. بالمايوه .. العربات الصغيرة تملأ الجبل .. من هنا الطريق الى الجامعة .. هذا فندق مبنى على أحدث طراز .. مباني جديدة منشأة على مدرج الجبل .. هنا نفق للمترو يصل الى حيفا أسفل الجبل .. وفوق ربوة عالية تطل على حيفا .. توقف الميكروباص .. نطل على حيفا من اعلى .. جميله حيفا .. البحر الابيض .. نستنشق الهواء بملء رئتيها .. فناطيس بترول .. قبة ذهبية .. يشير اليها المراق هذه مشبرة زعيم البهائيين .. البهائية دين يجمع بين المسيحية والاسلام مكانه الاصلى ايران .. ثم انتقل لحيفا .. يوجد بهائيسون في الدول العربية .. وفي الهند ..

رجل يحتضن فتاة بجوارنا .. منظر يخدر الاعصاب .. هذه مباني المهجرين الجدد .. كل أسرة لها منزل تمتلكه وتسعد ثمنه على انقساط .. حيفا تشبه اى قمر لكن جميلة .. الاسكندرية اجمل .. هذه لها طابع .. والأخرى لها طابع آخر .. لا .. الاسكندرية اكثر جمالا .. وأكثر حضارة .. وهل الاسكندرية على هذه النظافة ونسبة الخضرة .. هذه

تمتاز بالجبل المطل على البحر .. حديث دار سرا في غفلة عن المرافق
ركبنا الميكروباس .

المرافق - هل عنكم ما يشبه ذلك ؟ ..

زميل - لا ..

آخر - بل يوجد .. المقطم ..

آخر - الاسكندرية مثل هذه واجمل ..

آخر - المعادي ومصر الجديدة على نفس المستوى من النظافة ..

المرافق - الجبل كان مزروعا اشجارا .. لكن الانجليز في الحرب
العالية حرقوه لانه قريب من البحر ويسهل التخفي داخله .. بالمناسبة هذا
البنى كان سجنا اقامة الانجليز ايام الاحتلال .. لليهود ..

- الانجليز تركوا لكم البلد .. وكان لكم حكومة ظل تحكم بجوار
الحاكم الانجليزى ..

- ابدا كان الانجليز مستعمرين .. ولقد حاربناهم .. والعرب
حاربهم وكانوا دائما لا يفرقون بيننا .. في يافا .. كان هناك حى
 لليهود في تل ابيب وحى للعرب في يافا .. فكان الانجليز يخطفون اطفال
العرب ليتركوهم في الحى اليهودى .. ويخطفون اليهود ويقتلونهم في الحى
العربى .. كى يزيحوا الاحقاد والتنازع .. عبد الناصر بنفسه ذكر في مذكراته
انه تكلم مع اليهود في الفالوجا وسألهم كيف حاربتهم الانجليز .. نحن اولاد
اسحاق .. وانتم اولاد اسماعيل .. والاثنين اولاد ابراهيم .. وطول
عمرنا بنعيش في سلام .. لماذا لا نعيش الان في سلام سوف تزون اننا
نبنى ونريد ان نبنى لكن بجوار كل مبنى وبجوار كل مصنع خندق ..
لساذا ؟

وصلنا الى الكمبيوترىم .. مبانى حديثة الطراز .. يستقبلنا رجال
بسطام جدا بترحاب .. السيدات والفتيات بالشورت والبلاوزة
والصندل .. مستوى الجمال على .. رجل كبير السن يستقبلنا بترحاب
رائد .. انه السكرتير العام للكمبيوترى حاليا .. هكذا نتعرف عليه ..

- اتفضلوا في حجرة الاجتماعات ..

اطباق برقوق احمر واصفر .. تفاح .. كمثرى .. نلتف حبل
المائدة .. تفضلوا انتاج مزارعنا .. يتكلم عن لنظام فى الكمبيوترى ..

استمعنا اليه واعيننا على البرقوق والتفاح والكهثرى .. فلقد طال.
حرماننا منها .. ولكن الكرامة البرجوازية كانت تمنعنا من ابداء هذه
الرغبة صراحة .. لذلك فقد كنا نستمع اليه فارغى الصبر .. نريد أن ينتهي
لنبداً بالتهام ..

- الحياة عندنا ديموقراطية .. كل الناس تشتغل .. كل الناس تعيس
نفس العيشة الادارة والقيادة بالانتخاب .. وكل زوجين لهما منزل ..
الاطفال في منزل خاص بالاطفال تحت رعاية موحدة .. واكل موحد ..
الاطفال لا ترى ابياءها الا في العطلات وبعد الظهر ساعتين .. الشابات في
منزل .. والشباب في منزل .. ويمكن يتزوجون .. ويكون لهم منزل
منفصل .. لكنهم عادة يتزوجون من خارج الكيبوتز .. الخدمة في المطعم
بالدور كل فرد له مصروف شخصى شهري من ٢ : ٣ جنيهات ملابسه على
الكيبوتز بالطبع .. الارباح تزيد بها المنشآت وترفع مستوى المعيشة ..
جزء اخر نعمل به رحلات للخارج .. الناس تتفصح .. وتعلم اشياء
نافعة للكيبوتز ..

التعليم حتى المرحلة الثانوية .. وفى حسب احتياجات الكيبوتز ..
وهناك تعليم اكثر من ثانوى ايضا حسب احتياجات ومطالب الكيبوتز ..
قم شعر بالملل الذى انتابنا .. فانهى محاضراته .. هل تريدون ان
تسألوا .. شيئا ؟

- متى انشئ هذا الكيبوتز ؟

- سنة ١٩٣٩ .. واسمه .. ضاليا .. ولقد انشئ بواسطة الوكالة
الصهيونية بعد ان اشترتها من اصحابها اليهود وجعلتها ملكا للسكان ..
وكان اسمها القديم « جديرة » وانشأتها سنة ١٨٨٤ ولكنها لم تكن كيبوتز
انما أصبحت ملكيات بمفهوم الكيبوتز ١٩٣٩ ..

- لماذا لا يعيش الاطفال مع اهلهم ؟

* - هنا كلنا نعمل .. الرجال والنساء .. والنساء حصلن على
حقوقهن المساوية للرجل .. ومن لذلك لا يستطعن ان يتفرغن لأبنائهن
لذلك تقوم مدرسات مدربات برعاية جميع الاطفال ..

هامش (ان العائلة في الكمبيوتر تعتبر مجازي الى حد ما ٠٠ اذ انه لا توجد حياة عائلية بالمعنى الذي نفهمه ٠٠ ويتضح من مراجعة تاريخ الكمبيوتر أن قادة حركة الكمبيوتر وروادها كانوا يعتبرون الزواج مؤسسة برجوازية مهترئة أو فاسدة لا تتناسب مع حياة الكمبيوتر ومثلها وللقيم الاقتصادية والاجتماعية فيها « توقعت أن تقضى حركة الكمبيوتر على الزواج والعائلة بالمعنى التقليدي » (سيبرو صفحة ١١٠) ٠٠ والواقع هو أن تغيير مؤسسة الزواج وضع « الرواد » امام مشكلة مستعصية زادت تعقيدا زيادة عدد الرجال على النساء بنسبة ٢ : ١ ٠٠٠ وقاموا بتجارب عديدة منها تعدد الأزواج ٠٠٠ وتعدد الزوجات (سيبرو صفحة ١١) ٠٠ وكسروا طوق الحياء الجنسي فأسسوا الحمامات المشتركة ولكنهم لم يلبثوا ان تخلوا عنها ٠٠ وعلى أى حال فقد اعتبروا الجنس مسألة شخصية والزواج مسألة بزاجية ٠٠ لا تحتاج الى اذن أو مراسم من قبل المجتمع سواء في مطلعها أو نهايتها ٠٠ وحتى يومنا هذا كل ما يحتاجه الزوجان لاعلان زواجهما هو التقدم بطلب غرمة مشتركة ٠٠ والغاء ذلك الترتيب عند الافتراق - وبذلك فالرجل والمرأة لا يتزوجان بل يصبحان « زوجين » ٠٠ أى اثنين « ٠٠ والمرأة لا تحصل على زوج بل على شاب أو رفيق والشباب لا يحصل على زوجة بل رفيقة ٠٠ صديقة ٠٠ ولذلك فالاطفال بهذا المعنى يصبحون ابناء للكمبيوتر ٠٠ يعلمهم ويربيهم على الولاء المطلق للعولة والكمبيوتر وكراعية الاعداء ٠٠ فاصلا لياهم عن آبويهم ٠٠ وأمثلة ذلك واضحة في أكثر من قصة من قصص الجيل الجديد الاسرائيلي ٠٠ وخاصة ابنة موسى ديان) ٠٠

- ماذا تفعلون للرجل الذي لا يريد أن يعمل ٠٠ أولا يرضى عن العمل الموكل له ٠٠٠ ؟

- أولا النصيحة ٠٠ ثم توجيه النظر ٠٠ ثم الطرد بعد « الاجتماع العام هامش : ان فلسفة الكمبيوتر تقوم أساسا على فلسفة « ا » و « جوردن (١٨٥٦ - ١٩٢٢) صاحب فلسفة « دين العمل » ٠٠ الذى نادى بالعمل كظاهرة خلقة وقيمة عليا ٠٠ وكان دائما ما يحض على العمل كخلاص للشعب اليهودي « ان شعبا تعود جميع أنماط الحياة عدا النمط الطبيعي - أى تحقيق الاكتفاء الذاتى عن طريق العمل - لن يصبح شعبا حيا عاملا إلا اذا بذل أقصى طاقة لتحقيق هذا الهدف ٠٠

ان العمل ليس مجرد العامل الذى يحدد علاقة الانسان بالارض وحقه فيها وحسب .. بل هو القوة الرئيسية فى بناء حضارة قومية ايضا ان العمل هو مثل انسانى اعلى للمستقبل والمثل الاعلى يشبه الشمس الشافية .. اننا بحاجة الى متحصين للعمل منزمتين له باعلى معانى الكلمة « جوردن » .. وكان بن جوريون هو الذى وضع هذه الفلسفة موضع التنفيذ واعتبرها خلاصا للشعب اليهودى حتى انه كان يقضى شهرا من كل سنة فى الكيبوتز يعمل فى الفلاحة .. وهو يقول سنة ١٩١٥ « ان عرق الجبين يصنع الوطن القومى .. سوف نحصل على وطننا القومى بواسطة عملنا وكحنا .. ان ارض اسرائيل تصبح ملكنا عندما يكون عمالها وحراسها من صفوفنا » .. (المصدر بن جوريون بعث اسرائيل ومصيرها) .. وفى موضع اخر قال « الحياة فى الكيبوتز صعبة .. وفيها الكثير من ملامح المتقشف فى حياة الجندي وليس من السهل تحمل نظامها وصرامتها اذا لم يكن العضو فيها صهيونيا متحمسا مندفعاً » .. « ان تهديد الارض وخلق الشروط هو من عمل الطلائع .. طلائع العمل والعلم والبناء مسلحة بارادة قومية ووعى تبشيريى .. قادرة على ان تدمج مصائرنا الفردية فى هدف سام وعارفة كيف تطوع حياتها لتحقيق احلامها .. » .. - بن جوريون -

من هذا نستطيع ان نفهم مدى سذاجة السؤال .. ومدى الاندعاش الذى اجاب به سكرتير الكيبوتز .. فالفروض ان انضم للكيبوتز طليعة متحمسة مندفعة لبناء الوطن الاسرائيلى القومى ..

- هل هذه اشتراكية ماركسية أم اشتراكية اصلاحية اقرب

لأوين ؟ ..

وتغابى الرجل .. غلم يرد على السؤال .. ثم قمنا لزيارة الكيبوتز .. بعد ما انهينا على الاطباء المثلثة امامنا ..

زونا منزل عائلة :

حجرتان احدهما للنوم واخرى بها انترية خفيف جدا .. مكتبة .. راديو .. ثلاجة صغيرة جدا .. حمام .. لا مطبخ .. لا حجرة طعام .. لا حجرة اطفال لا حجرة استقبال .. نخلنا اكثر من منزل .. كلها متشابهة .. نظيفة تتخلها الشمس والهواء ..

١٩٤٤

في طريقنا الى عنبر الاطفال .. اشار سكرتير الكمبيوتر لبعض الاكواخ الخشبية .. تائلا : هذة كانت مساكننا القديمة في بداية انشاء الكمبيوتر .. بالطبع ازلناها واقمنا مكانها هذة المساكن .. ولكننا تركنا بعضها لنتذكر دائما ما استطعنا انجازاه خلال هذه السنوات بالعمل ... ولنتطلع الى مستوى احسن ...

عنبر الاطفال :

حجرات متجاورة .. بكل حجرة من ٢ الى ٤ اسرة اطفال .. تحت كل سرير شبشب صغير .. فوقه بيجاما .. حجرة للالعاب .. حجرة للاكل وللدراسة .. الاطفال كلهم في الخارج يلعبون مع اباانهم يوم عطلة .. دورة مياه بها مياول ومرحاض صغيرة خاصة بالاطفال .. وفرش اسنان وقوط ..

في الطريق الى المركز الثقافي : المرافق يعلق على ما شاهدنا ..

الطفل يقربى في بيوت الحضانة منذ أن يرى النور حتى سن الثامنة عشرة وتبدأ الخطوة الاولى بعد الولادة بأيام .. فيوضح الطفل في بيت الحضانة .. ويبقى هناك مدة سنة واحدة وتقولى الام ارضاعه بينما تتولى المربيات تربيته .. وبعد بلوغ الطفل سنته الاولى ينتقل الى الروضة حتى سن الرابعة .. وفي تلك المرحلة يسمح للابوين باصطحاب طفلهما الى البيت لقضاء بضعة ساعات معهما .. وفي سن الرابعة ينتقل الطفل الى مدرسة الاطفال وهي التي زرفاها الان .. وتنتهى هذه المرحلة لدى بلوغه السابعة حيث ينتقل الى المدرسة الابتدائية التي تكون بمثابة بيت لهم ايضا حتى سن الثانية عشرة فيعيش في منازل الشباب حيث يتعلم في المدرسة الثانوية « او مؤسسة التعليم » حتى الثامنة عشرة ... حيث يلتحق بالجيش ...

وكنا قد وصلنا الى المركز الثقافي .. مارين من خلال ماشى مبلطة ببلاطات كبيرة ومزروعا فيما بينها يحفها من جميع الاتجاهات الاشجار ذات الازهار الملونة .. بين طوابير النساء والرجال والاطفال القادمة على الطريق يلعبسون المايوهات ويحملون على اكتافهم اطفالهم .. الاطفال صحتهم جيدة جدا .. الدماء تجرى في وجوههم بشدة .. بعض الجاميع تغنى .. دواذ ير .. وكلاما اخر بالعبرية ..

شاب وفتاة في ركن تحت شجرة يتناجيان .. ولا ينظر لهما سوانا
نحن السنة المصريين .. المرافق يبتسم ويقول هذا هو سن الحب ...

المركز الثقافي مبنى من طابقين .. ولذلك فهو اكبر المباني الموجودة ..
به مكتبة هائلة ممتلئة بالكتب العبرية .. بعض اغلفتها توحى أنها
مترجمة .. مسرح أنيق .. أماكن للقراءة أو لسماع الموسيقى .. السيمفونية
التاسعة لبيتهوفن تشغى .. أوقف لاستمع الى الكورال في الحركة
الرابعة .. سكرتير الكمبيوتر يملق .. لم تكن نملك كل هذا منذ ثلاثين
سنة .. ولكنه جهد عمل هذه السنين .. لم يساعدنا احد .. بجوار المركز
الثقافي حمام سباحه رائع .. حوله الارض مزروعة من كل جانب .. السبان
والشبابات يجرون .. يلعبون بالكرات الخفيفة .. العجائز مسترخيات على
كراسي بلاج يتشمسن .. يعتسن في هوء .. كان الحرب في مكان آخر
في المايخ مثلا .. الاطفال تجرى حولي .. اطفال خوو وشعور صفراء
ممثلين يكاد يخرج من وجوههم الدم .. اربت على رأس أحدهم ...
فينظر الى باستغراب ..

هذه هي السعادة .. حقا .. قطعة من الجنة .. بالتأكيد هم سعداء
جدا .. يعملون .. يأكلون .. يلهون .. صحتهم جيدة ..

هامش (في مجال الحديث عن الحياة الاجتماعية علينا الانفسى ان
العمل يستهلك ساعات النهار من الفجر الى الغسق .. وبعد انتهاء
ساعات العمل يتجه سكان الكمبيوتر الى الحمامات ليغتسلوا ومن ثم يصرفون
بعض الوقت في رؤية اولادهم بمدارسهم ومؤسسات التعليم الجماعي ،
حتى وقت العشاء .. والواقع هو ان صالة الطعام العامة هي مركز الحياة
الاجتماعية في الكمبيوتر .. وذلك لاسباب « عقائدية جماعية » ولاسباب
(ظرفية تاريخية) تتعلق بظروف السكن وعدم صلاحية الغرف الضيقة
لاستقبال الضيوف ..

في صالة الطعام العامة تجرى المناقشات وتتم اللقاءات بين جميع أفراد
الكمبيوتر يستمعون الى الراديو - قبل أن تعم الراديوهات - وفي بعض
الاحيان يشاهدون الافلام السينمائية والحفلات الموسيقية. ولكن مع ذلك
لا يزيد هذا على أكثر من مرة في الاسبوع. أما بقية سهرات الاسبوع

فيقضيها الاعضاء باجتماعات اللجان .. والاجتماعات العامة ومع ان
اجهزة الراديو الخاصة قد كثرت في الالونة الاخيرة واتجه أعضاء الكيبوتز
نحو قضاء بعض السهرات في مساكنهم الخاصة .. الا ان الحياة الاجتماعية
بقيت باهته لسبب فقدان الحياة الخاصة وضعف وسائل الترفيه والتسلية
وضعف ضيق الدائرة البشرية .. ولما كان نظام الكيبوتز نظاما مغلقا فقد
كثرت الثثرة والاصطدامات الشخصية .. ولعل العطلة السنوية تتحل
متنفسا لضغط الحياة الاجتماعية مع ان مشكلة عدم توفر النقد المخصص
للرحلات تحد من امكانية قضاء بعض الوقت خارج الكيبوتز .. وخلاصة
القول فان الحياة الاجتماعية في الكيبوتز تشكل انعكاسا للحياة شبه
العسكرية التي يعيها سحر المستعمرات الجماعية وهي متأثرة بالمقاييس
انقستفية والجماعية التي وضعها مؤسسو حركة الكيبوتز في مطلع القرن ..
« الكيبوتز أو المزارع الجماعية في اسرائيل ، عيد الوهاب الكيالي »

عدنا في طريقنا الى خارج الكيبوتز .. مررنا بالطعم .. صالة
واسعة أنيقة جدا .. الاضاءة مخفية وهادئة .. المناضد مرتبة جيدا وعليها
اشوك والمعالق والسكاكين والملاحات والسطردة .. السرفيس ..
انسان يدفن امامهن عربات عليها الاكل الساخن .. المطبخ نظيف جدا يعمل
بالبخار لا رائحة .. لا قاذورات .. كأننا في مستشفى نظيف ..

زميل - بالطبع كانوا يعلمون بزيارتنا مقدما ...

آخر - حتى لو كانوا يعلمون فالمستوى رائع ...

خرجنا من مكان الايواء ... ودارت الاحاديث الثنائية بيننا ...

- المستوى رائع : هل تتخيل ان هؤلاء فلاحين ؟ ...

- فلاحين بالمشورت والمايوه والشوكة والسكينة ...

الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين فلاحينا وهؤلاء ...

والان الى اماكن العمل .. الارض .. التي قال عنها احد قادة
التكتلات العمالية الثالثة في الارض المحتلة في مجلة يهودية تصدر في
نيويورك « لقد تم شراء الارض التي اقيمت عليها الكيبوتزات بواسطة
المهندسين من الامطاعيين غير المقيمين وجرى ابعاد الفلاحين العرب الذين
كانوا يعملون عليها لقاء تعويضات ضئيلة او بدون تعويضات على الاطلاق ..
وكثيرا ما تعرض الفلاح العربي وعائلته الى الاجلاء القهري لرفضه النزوح
عنها .. وكان شبان الكيبوتز المعتيد يسارعون الى طرد الفلاح العربي بالقوة

ويستعينون بالشرطة أحيانا ٠٠٠ كثيرا ما كانت عودة النظام تعنى اهراق دم الفلاح العربي (نيويورك سنة ١٩٦٢ صفحة ١٣) مورد كاي شتاين (الى اتحاد عمال امريكا حول الهستدروت)

الارض ٠٠ مزروعة قطننا - قطن هنا ١٠٠٠

- اجرينا تجارب حتى وصلنا الى زراعته ٠٠

- الزراعة اتوماتيكية ٠٠٠

- كيف عرفت ٠٠٠

- خطوط شجيرات القطن في خط مستقيم كأنها رصت بتيديوليت ٠٠٠

- نعم ٠٠ عندنا الحرث ميكانيكي كذلك بذر الحبوب والجنى ٠٠

- وكيف تحافظون على الخطوط المستقيمة نظيفة بدون حشائش ٠٠

- نرش مواد بين الخطوط تمنع نمو أى مزروعات أخرى حتى

ولو كانت قطننا ٠٠٠ لنعطى الفرصة لشجرة القطن بامتصاص

كل المواد ٠٠٠

- ولكن هل كل هذا قطن ٠٠٠ مساحات كبيرة ٠٠٠

- لنستطيع رشها بالطائرات ٠٠٠

- وكيف ترونها ٠٠٠ ؟

- بواسطة المواسير والرش ٠٠ لان المياه عندنا قليلة لابد ان نستفيد

من كل نقطة منها للزراعة ٠٠. توصلنا الى قطن مستواه جيد وان كان قطنكم

لا ينمافس ٠٠

وقفت انظر الى حقول الممتدة الى مدى البصر ٠٠ وفجأة تخيلت ان

القطن قد تحول الى قطن احمر ٠٠ لانه مصبوغ بدماء القتلى المدفونين

في هذه الارض ٠٠٠

اتجهنا الى مكان تربية الحيوانات ٠٠ ابقار فريزيان ٠٠٠ الحليب

اتوماتيكي ثم يعبأ في عربات ثلاجيات ٠٠ الفراخ ٠٠ البيض ٠٠ مصنع علب

خضار ٠٠ الخيل ٠٠ جراج الجرارات والعربات ٠ وانتهت الزيارة ٠٠ ركبنا

الميكروباص مغادرين الكيبوتز في اتجاه اكمال رحلتنا ٠٠٠

- مستوى حضنارى على ٠٠٠

- هل رايت مخيرية التحرير .. لا تقل عن ذلك ...
- كل العالم أصبح في هذا المستوى .. عدا ريفنا المتخلف ...
- هل رايت البنت المرتدية شورت أحمر .. ذات الشعر الاصفر .. كالقمر ...
- اولاد الكلب .. في منتهى الجمال ...

الطريق الى الناصرة .. جميل .. هكذا تخيلت الطريق وأنا مغمض العينين في رحلة الوصول لتعليت .. الطريق العريض في منتصفه جزيرة مزروعة على جانبيه بيارات البرتقال ...

- هل كل هذه كيبوتزات ... ؟؟

- كيبوتز .. في اللغة العبرية تعنى جماعة .. مؤنثها (كخوتزا) .. ونستعملها للتقليل أى جماعة صغيرة .. والان تعنى هذه الكلمة جماعة من الناس يعيشون ويعملون سويا في مزرعة جماعية والكيبوتزات عندنا متفاوتة بعضها يضم ٣٠ نسمة والآخرى ١٥٠٠ أما الكخوتزا فهي مستعمرة يقل عدد ساكنها عن ٣٠ نسمة .. والكيبوتز ليس الشكل الوحيد للزراعة عندنا .. فنجوار الكيبوتز والكخوتزا يوجد الاوشاحيم وهي قرية تعاونية يمتلك الارض فيها اصحابها ولكنهم يعيشون بتسويق جماعى وعمل جماعى وعندنا قرى ذات ملكية خاصة ومدارس زراعية بالاضافة للقرى العربية .. عندنا حوالى ٨٢٨ قرية زراعية منها ٥٩٢ قرية جماعية من هذه الـ ٥٩٢ حوالى ٢٢٨ كيبوتز يسكنها حوالى ٨٨ الف من حوالى نصف مليون .. ولهذا فليست كل الاراضى التى نمر عليها كيبوتزات ...
- وهل العرب يعيشون ايضا في كيبوتزات ... ؟
- لا فطبيعتهم ترفض الحياة الجماعية كل منهم يريد قطعة ارض خاصة به ...

هامش

(يسكن الكيبوتز خليط من اليهود الذين جاءوا من اوربا الشرقية والذين تلقوا التوجيه والتدريب على حياة الكيبوتز قبل مجيئهم الى فلسطين .. ومن يهود أوروبا الوسطى والغربية (اثر الاضطهاد النازى) ومن الصابرا أى ابناء المهاجرين المولودين في فلسطين من أعضاء حركة الكيبوتز في المدن .. والجدير بالذكر في هذا الصدد هو ان تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية وقائدها الرئيسى كان قد شدد في مذكراته على أهمية طرد الفلاحين العرب من اراضيهم واستنبط لهذه الغاية وسائل متعددة ولعل

الكمبيوتر كانت في هذا الصدد وسيلة مثالية لاستخدام أعداد كبيرة من المهاجرين واستيعابهم وربطهم بالأرض الفلسطينية والتنظيمات العسكرية والعمالية الصهيونية ربطا محكما وإجلاء العرب عن أرض فلسطين لذلك لم يسمح إطلاقا لأى عربى بالحياة في كيبوتز ... وبالتالي لم يسمح لأرب بأقامة كيبوتزات خاصة بهم لأنها بذلك تفقد سببها وأهميتها العسكرية ... وتربط العرب بأرضهم في شكل متماسك لا يريخونه (...)

زميل يضربنى ضربات سريعة من أسفل المقعد لارى طائرات تندفع من بين الحقول وترتفع لأعلى ... هنا مطار سرى ... المرافق يحاول أن يلفت نظرنا لشيء آخر فيقدم لنا سجاثر من علبته ...

وصلنا الناصرة ... مدينة عربية فعلا ... المباني القديمة من دور أو دورين على الأكثر ... الشوارع الضيقة المثلثة بالأطفال ذوى الجلابيب ... القهاري الكثيرة ذات الكراسى القش والنراجيل ... عربات الفول والطعمية والكروبية ورائحة الزيت المحروق ... الحلويات الشامية ... الراديو العالى ... اكوام بوتقال وليمون وخضروات ...

— مثل أى مدينة عربية ... الناصرة ...

— هنا بشرت الملائكة السيدة مريم بميلاد المسيح ...

هذه كنيسة البشارة ... هنا مكان الحقل الذى حول فيه المسيح الماء الى نبيذ ... وأردف ... والله العرب مش عايزين يغيروا الطابع بتاع بلدهم رغم أنهم أغنياء لكن الواحد يفضل يحوش عن أن يبني لنفسه بيتا ويفرشه ...

الميكروباس يسرع في اتجاه الناصرة الجديدة ... بلد نظيف ... فيلات على الطراز الحديث ... الشوارع واسعة ونظيفة ... المنازل من أعلى الجبل تطل على منظر رائع للسهل ... المرافق يتفق مع أحد السكان الاسرائيليين على أننا سنعود له حوالى الساعة الرابعة ... الميكروباس يتجه الى بحيرة طبرية ... نقتف داخل محطة بنزين ... صاحبها عربى ...

— مين دول ... ؟

— اصدقاء من القاهرة ...

— اهلا ... اهلا ... كيف الحال في القاهرة ... ؟

- الحمد لله .. كيف حالكم انتم ؟

- والله كويس .. احنا عايشين في بلدنا .. الخير كثير وانحية عظيمة ولا يوجد ضغط أو اى مشاكل .. والله احنا ما كنا نريد أن يتور الموضوع لهذه الدرجة .

ثم حاول أن يكمل بسرعة خطبته التي اعددها مسبقا .. ولكن المرافق من مقدرتنا الذهنية على الفهم فإشار للسائق بالتحرك قائلا متشكرين يا أخى ...

- والله احنا عايزينهم معانا شوية ...
اكتشف أننا ننظر له باستهزاء وفي نفس الوقت باستنكار لمحاولته التقليل -
متشكرين لدينا أعمال أخرى هامة ..

طيرية بحيرة مياه عذبة .. هادئة جدا .. الجو جميل وان زادت الرطوبة قليلا لان مستوى منسوب الأرض تحت منسوب البحر فهي أكثر نقطة منخفضة على الأرض .. والرطوبة والحرارة تسمح بزراعة الوز .. وصيد الاسماك وتربية الحيوانات والطيور الداجنة .. كذلك السياحة بفتح كازيخوهات أو فيلات للتصيف وهذه الاعمال التي يعيش عليها الاعداد المتلاصقة من الكمبيوترات ...

سنزور كيبوتز منها .. كيبوتز حجانيا وهو اول كيبوتز انشئ في فلسطين سنة ١٩١٠ .. كان اول مكان زرناه هو المطعم .. صالة واسعة تشبه السابقة .. ولكنها أقل رفاهية في الواجهة الامامية شبك واسع له كونتر .. يطل على المطبخ .. وفي نفس الصالة صفت مناخذ خشبية كبيرة حولها كراسي خفيفة .. والمناخذ مغطاة بمفارش بسيطة .. والطراز المعماري لهذه الصالة يرجح بانها منشأة منذ مدة طويلة .. شباب وفتاه يدخلان لروعتنا بدافع حب الاستطلاع .. الشاب يربى شعره على هيئة اليبيلز والفتاة تطلق شعرها الاصفر الطويل في افعال وترتدى بلوزة حمراء وشورت ابيض قصير جدا تبدو مثل ممثلات السينما .. ننظر لهما نحن أيضا باستطلاع ...

المرافق يشرح لنا - هؤلاء الشباب من الدول الاسكندنافية .. يحضرون لقضاء العطلة ويعملون مثل باقى افراد الكيبوتز .. بالطبع لا يأخذون

مرتبات .. فإذا اعجبتهم الحياة عاشوا معهم .. وان لم تعجبهم يعودون .. ولكن عادة ما يبقون فشكل الحياة هنا يجذبهم كثيرا ..

هامش

ان الاسلوب المتبع في اختيار الاعضاء الجدد يعتمد على مبدأ التجربة .. اى أن الراغبين في الانتساب يقضون فترة تجريبية في الكمبيوتر قبل قبولهم اعضاء فيها .. وتقسم هذه الفترة التجريبية الى قسمين : المدة الاولى والحد الأدنى المقرر لها هو ستة أشهر يعتبر المتقدم بطلب الانتساب بمثابة ضيف .. فإذا وافق الاجتماع العام بأغلبية بسيطة على انتسابه يصبح عضوا مرشحا لمدة لا تقل عن نصف عام أيضا .. ولا يصبح عضوا عاملا الا بعد موافقة ثلثي اعضاء الكمبيوتر او ثلثي حضور الاجتماع العام على الانتساب الكامل للكمبيوتر .. وهناك حقيقة هامة عن تصنيف الانتساب وهي أن عضوية الكمبيوتر تزداد لا بفضل الانتسابات الذرية بل بفضل انتساب اعضاء حركات الشباب جماعيا « بن يوسف ص ٨٨ »

تناولنا الغذاء .. سوسيز .. وبطاطس بالصلصة البنية .. ومكرونه وشراب عصير البرتوق .. ثم بعد ذلك كمنرى وبرقوق طازج .. وابتدأنا جولتنا في الكمبيوتر بالمرور على قسم الحواجز .. القسم منظم .. ونظيف ومعد بطريقة مبتكرة تناسب الجو الحار فهناك ادشاس من المياه الباردة المستمرة ترطب الانتفاص والمنطقة المحيطة .. ورغم ذلك فلم نهتم كثيرا بالقسم فلقد اصابنا الملل والتعب بعد اكثر من شهرين كسل في جراتنا ومشينا شبه نائمين خلف سكرتير الكمبيوتر .. حتى وقفنا امام شناب اسمر من عمال الحظيرة يتكلم اللغة العربية باللهجة المصرية بوضوح .. نشد انتباهنا التفننا حوله .. لقد وجدنا قطعة من مصر هنا في اعزاز اسرائيل ..

- أنا مصرى .. مصر أجمل بلاد الدنيا .. زرت بلاد كثيرة لم أجد هو حياتي ما هو أجمل من القاهرة والاسكندرية كان يتكلم صادقا .. بل كان سعيدا بنا .. فلقد وجدنا قطعة من مصر أيضا .. يا حبيبي يا مصر .. كم وحشتيني .. كم وحشتنى شوارعك .. حواريك .. ترايك .. ناسك .. حتى شحاتينك .. كل ما هو جميل فيك وكل ما هو سيء .. واستقرت جولتنا .. المركز الثقافي .. المنزل

•• المستثنى نفس الكلام •• نفس الفلسفة •• ولكن كان هناك شيء جديد
فالمستعمرة في مواجهتها هضبة الجولان عبر بحيرة طبرية •• ولذلك
فلا استعدادات عسكرية تغلب عليها •• بل الطابع العسكري واضح في كل
مكان •• الخنادق المكشوفة والملاجئ المغطاة •• أسوار السلك الشائك
•• أبراج الحراسة •• الكشافات الضخمة •• صفارات الإنذار •• لاحظ
الموافق نظراتنا •• فقال :

هضبة الجولان فعلا تسيطر سيطرة كاملة على المستعمرة •• ولكن
لن تصدقوا أن خسائر المدفعية السورية هنا لم تتعد بعض بقرات •• وبعض
المباني ولا خسائر اطلاقا في الارواح ••

هامش

استند الجيش الصهيوني شبه السرى في فلسطين الانتدابية
(الهجانا) الى الكيبوتزيم في التجنيد وفي التدريب السرى وفي اخفاء الاسلحة
السرية •• (موش كريم) •

ان شعب اسرائيل هو الجيش •• اذ ان جميع المواطنين من ذكور
واناث هم افراد في الجيش فهذا الوضع وحده يؤمن شروط بقاء جزيرة
اسرائيل في محيط عربى (بن جوريون) ••

في ظل هضبة الجولان وعلى ضفاف بحيرة طبرية
الهادئة وقبل غروب يوم من ايام يوليو ما بعد الذكسة
جلسنا •• سنة ضباط اسرى مصريين •• ومرافق صهيونى
(عرشنا من الشاب الاسمر الذى قابلناه انه سكرتير حزب الماباي الحاكم)
•• فى كيبوتز دجانيا اقدم المستعمرات العسكرية الزراعية الاسرائيلية وثلاث
مواطنين اسرائيليين كانوا فى يوم ما •• مواطنين مصريين •• جلسنا
حول منضدة طويلة فى كافتريا اعدت للسياح •• كل الموجودين يتكلمون
اللغة العربية واغلبهم بلهجة مصرية عدا سكرتير الكيبوتز فكان يتكلم
الانجليزية •• واستمرت دردشة عن القاهرة •• وحواريها وناسها ••
•• وملاهيها •• والتغييرات التى حدثت فيها •• العتبة وميدان رمسيس
•• نقلوا تمثال النهضة امام الجامعة •• واتمتم الكورنيش بالطبع والهيلتون
والسد العالى •• وتخذ كل الموجودين •• نحن من ذكرى بلدنا •• والحديث
عنها فى هذا المكان الرومانسى وهم من فكرى ايام صدر شنيابهم التى عاشوها
فى بلدنا •• سقطت العدوات •• وتقاربنا بشدة •• وتحمس احدهم
فاشترى عليتين سجاثر امريكاني •• اعطاهما لنا •• وتحمس آخر ••

مأشقرى لنا زجاجات مياه غازية منغيشة من البرودة .. والرطوبة .. وفجأة دار حديث بالعبرية بين سكرتير الحزب المرافق لنا وسكرتير الكمبيوتر .. ثم ترجم لنا المرافق الحديث فقال : لم اكن اعرف هذا حقا .. ولكن ابن سكرتير الكمبيوتر أصيب في الحرب الاخيرة وقطعت رجلاه .. ومع ذلك يرحب بكم

مناورة سخيفة مكشوفة ردتنا بقسوة للحقيقة .. أننا بين ايدي أعداد .. أننا اسرى وصحونا من اللحم لنستمع في ملل الى ما يقوله سكرتير الحزب .. نحن نريد أن نعيش في سلام .. كل المواطنين هنا لا يريدون الحرب نريد ان يعيش أطفالنا خارج الملاجئ والخنادق .. عشنا تحت الأرض أكثر مما عشنا فوقها .. نريد أن نستمتع بالشمس .. كنت استمع اليه وأنا أنظر حولي مثلهيا .. الفتيات والشبان حولنا كثيرون .. معظمهم غربيون .. الملابس كلها شورطات وبلوزات .. فتاة يتعلق بها بصرى واحاول أن أنامها أكثر ما يمكن .. متوسطة الخول تلبس شورت أبيض وبلورة ركامة بيضاء .. شعرها الاصفر منسدل باهمال حول رقبة طويلة بيضاء تحمل وجها له اجمل ابتسامة رأيتها في حياتي .. الشماسى على البلاج .. بيك أب مع بعض الاسطوانات موسيقي راقصة قادمة لنا من بعد .. ونسا في طريقنا الى الميكروباس مبانى جديدة منفذة جيدا .. الخرسانة غير محتاجة لبياض فهي منفذة بحيث لا تغطي بالبياض لتتحمل رطوبة المنطقة .. الثرنة على الكافتريا ترحب بنا بابتسامة لزجة .. انها زوجة وزير .. الوزير نفسه من سكان الكمبيوتر .. نركب الميكروباس .. أنظر لا اخر مرة الى لابسة الشورت الابيض .. هذا الشباب اماذا يتحول الى وحوش ..؟ هامش

(اسرائيل في حقيقتها .. مقدمه للاستعمار الامبريالى العالمى في اسرق الاوسط .. أنشأتها انجلترا لتحافظ على ممتلكات التاج البريطانى في المنطقة .. ان قيام دولة قوية على ضفاف قناة السويس قادر على حماية المصالح الانجليزية في الشرق الاوسط ، وايزمان - وبعد الحرب العالمية الثانية .. ومع أنتقال الزعامة الى أمريكا .. انتقلت حمايتها الى أمريكا .. وانتقل الولاء الصهيونى اليها أيضا .. وتحولت الى قسيلة متقدمه للجيش الايريكى في المنطقة لتنفيذ المخططات الامريكية العالمية) ..

نحن في طريقنا الان الى الناصرة .. فقنا اندهاشنا .. نحاول أن نحفظ في مخيلتنا بما نراه فيحتمل الا نرى هنيين الا بعد مدة طويلة ..

اليوم يقارب على الانتهاء وسنعود ثانيا الى سجننا .. الميكروباس يصعد المرتفعات المطلة على الناصرة الجيدة . فيلات صغيرة جميلة منتشرة على المنحدر .. نزور عائلة يهودية تسكن احدى الفيلات .. المنزل بسيط جدا .. ولكنه جميل .. الاحاديث ودية .. ترحيب .. حديث مع فتاة اسرائيلية ابنة صاحب البيت .. عمرها حوالى السادسة عشرة ..

تقول - لماذا لا نعيش في سلام .. منطقتنا مسدصيح ان تذنون أغنى مناطق العالم ..

لديكم البترول والمواد الخام والعمالة .. ولدينا الفنيون والعلماء .. ونستطع ان نأخذ رهوس الاموال الامريكية للتعوير ..

ابتسم .. هذا ما يعلمونها .. !! وجه النظار الاسرائيلية بدون أى زواق أو أصباغ تخفى حقيقتها ..

تتصور أغنى موافق على ما تقوله .. توجه لى كلامها ..

- ما رايك .. لماذا نحارب .. ؟ اكلمها برفق شديد ..

وهل تتصورين اننا لا يوجد بيننا علماء وفنيون مثلكم .. انا مهندس والزميل مهندس والآخر طبيب .. ولنا زخيرة عريضة من العلماء .. ثم هل تتصورين ان رهوس الاموال الامريكية ستعمر لنا بلادنا لننافسها .. انها تعطيكم لانكم اسرائيل يا انسه .. ولانها تتصوركم .. ١١ .. وقطع كلامي المرافق قائلا ..

- انها تقصد ابناء عمرمتنا من الاغنياء في أمريكا .. فرصة سعيدة ونحن شاكرون ومضطرون للرحيل فلدينا ما نشاهده ..

الميكروباس ينتقل بنا الى الناصرة القديمة .. نقف امام منزل عربي كبير .. ذى مشربيات ومقرنصات وحليات عربية .. تقابلنا على الباب سيدة قادمة لتوها من عند مصفف الشعر .. عرفنا بها المرافق .. زوجة رب العائلة .. تذكرنا بسيدات البرجوازية الصغيرة المصريات .. متحشمة في ملابسها العصرية .. المنزل به مضيئة واسعة على عادة المنازل المشرقية .. يحتشد في الصالة عدد كبير من عرب الناصرة .. ترحيب شديد ..

وأحضان مصرية وقبيلات على الطريقة الشرقية وقف المراقب في وسط الحجرة
وبطريقة مسرحية أشجار لنا ولهم وقال ضيوف من القاهرة ٠٠ مواطنونا
العرب في اسرائيل ٠٠ انتم اقارب ولنترككم لتتعارفوا ٠ انتشرنا في أرجاء
القاعة الواسعة ٠٠ وأخذت مكاني بجواره ٠٠ عرفني بنفسه مدرس فلسفة
في المدارس العربية ٠٠ كان يتكلم بانفعال فيهتز وجهه السمين ٠٠ وتبرق
عيناه الزرقاوان من تأثير دموع حبيسة ٠٠ ويشير بيديه وأصابعه ٠٠ ويتحرك
كثيرا على المقعد العربي الطراز ٠٠. وكنت أنظر اليه باهتمام وتركيز لعلى
استوعب كل حرف ينطقه وفي نفس الوقت أنظر بطرف عيني الى نهاية الحجرة
الواسعة لارى هل هناك من يراقبنا ٠٠ فلم أكن أتصور أن سكرتير الحزب
الحاكم سيغى بوعده ويتركنا لتتعارف بدون رقابة ٠٠٠.

قدموا لنا السجائر الامريكية ٠٠ والحلويات الشامية ٠٠ والشيكولاته
٠٠ والقهوة ٠٠ والشربات كل شوقهم للعرب خارج اسرائيل تركز في هذه
الزيارة شعور الانسان الذي وجد اهله بعد غربة طويلة ٠٠ الاستقبال
الحماسى يذيب الثلوج سريعا ٠٠ ذو العينين الزرقاوين يسألنى ٠٠

— ما الحل ٠٠٠؟

— اعتقد انه لا يوجد الا حرب العصابات والمقاومة السرية ٠٠٠.

— المقاومة بهذه الصورة لا يمكن ٠٠ ماذا يعنى نصف فنتاس ٠٠
او وضع لغم تحت جرار زراعى يعمل ٠٠ اؤيدك بأن المقاومة قد تكون
فعالة وحاسمة ٠٠٠٠ ولكنه لا بد من تصعيدها وحتى يتم ذلك ٠٠ ما العمل ؟
كان امامى احد الطريقتين ٠٠ أن أسمعه ٠٠ او بسمعنى ٠٠ وفضلت
أن أسمعه فهو الصوت المحبوس أبدا داخل السجن الاسرائيلى ٠٠٠

لذلك قلت — أنا في حالة بلبله بحيث لا أستطيع أن أقدم لك حلا ٠٠
ولكنى ساكون — مستمعا جيدا لك ٠٠٠.

— المعركة يا عزيزى في مصر ٠٠ لا شك أن مصر اكبر الدول وهى املنا
بقيامتها الثورية المتقدمة ٠٠ ولكن تجربتنا مع هؤلاء ثلاث مرات
اثبتت اننا لا بد وأن نصل الى مستواهم الحضارى والتكنيكي
٠٠ وبعد ٠٠ بمعنى أنه لا بد وأن تقفلوا على انفسكم الباب بمدة
حتى تتقدموا حضاريا وتكنيكيا ٠٠ حتى تصلوا الى مستواهم
٠٠ وبعد ذلك الحرب ٠٠

- وأنتم ٠٠٠ ؟

- نحن الاحتياطي الطبيعى لكم ٠٠ وفى كل مره كنا مستعدين للقتال
بجواركم مع ظهور أول خيط للامل ٠٠ ولكن ٠٠ أنا معك ٠٠ حرب
المقاومة لا بد وأن تأخذ صورة مخالفة للعب الاطفال هذه ٠٠٠

- ليست المقاومة املا يمكنكم أن تسعوا اليه ٠٠٠ ؟

- شعبنا شعب مفكك ٠٠ وزعماء الدول العربية ساعدوا على تفكيكه
اكثر ٠٠ صدقتى ٠٠ ان عيينا نحن العرب اننا لم نتخذ الشكل
المصرى للدولة بعد ٠٠ انهزمتنا يا أخ لانهم هنا يخططون ويعملون
بشكل علمى ٠٠ أما نحن فنعمل بشكل ميتافيزيقي ٠٠ على مصر
وارجر ان نقول كلمتنا وتبلغها يا أخى ٠٠ ان نتقدم وتصبح الدولة
العصرية القادرة على مواجهة اسرائيل ٠٠ لا بديل للحرب ٠٠
لا بديل للحرب ٠٠ ولا بديل للتقدم لكسب الحرب ٠٠٠

كدت ابكى فلقد كانت كلماته أول رد لاعتبارنا اسمه منذ ٥ يونيو
انلعيين ٠٠٠ وازددت حبا لهذه العيون الزرقاء الذكية ٠٠

- ما أخبار العالم فى الخارج ؟ ٠٠٠٠٠

- مقال هيكل سمعناه فى صوت العرب ٠٠ يتكلم عن أسباب النكسة
وهنا قدموا لنا حلوى أخرى غير التى استقبلونا بها ٠٠ قبض
صديقى على كمية كبيرة ووضعها فى جيبى قائلا :

- اعط لزملائك ٠٠ والله كنا بنريد أن نرسل لكم الطعام يوميا ولكن
٠٠ حكم القوى ٠٠

- هل ساعدت امريكا اسرائيل فعلا بالطيران ؟ ٠٠٠

- لا ٠٠ ولكن البحرية الامريكية كانت مستعدة لدخول المعركة فى حالة
دخول أول جندي مصرى ارض اسرائيل ٠٠ ولا يمنع أيضا أنهم ساعدوهم
بواسطة الباخرة الايكترونيه ليبرتى فى التوجيه والتصحيح للطائرات ذلك
مطاراتكم ٠٠ يا أخى شىء غريب ٠٠ هنا عرفنا مقدما ان مجلس الوزراء سيبدأ
الحرب يوم ٥ يونيو ٠٠ وأبلغنا سفارة دولة شرقية ٠٠ وبالتالى أبلغت
روسيا وروسيا أبلغتكم ٠٠ بمعنى أنه لم تكن هناك مفاجأة ٠٠ ومع ذلك حدث
ما حدث ٠٠ كيف ٠٠٠

- لا أعرف ٠٠٠

- سمعنا أنه قد حدث خيانه بين قيادة سلاح الطيران ٠٠ وأن
المخابرات المركزية الامريكية دفعت مبالغ هائلة رشوة ٠٠ وسمعنا ان الطيارين

كادوا ان ينجوا في مطار غرب القاهرة .. يريون ان يصعدوا .. والأوامر
لا تصلهم .

- قد يكون هذا حدث .. وقد لا يكون ...

- نعم .. أنا متحدر بعك عن المعلومات .. المهم الحمد لله على السلامة .
والله تبليغ سلامي للاخوه في مصر .. وتقول لهم ان أملنا مازال معلقا بكم
... ورغم كل العون الامريكى .. هنا حنيفة ذهب موصلة بنيويورك ..
ومع ذلك أملنا كبير في النصر ...

- وانتم هنا ما هو موقفكم .. كيف تعيشون ... ؟

- العرب هنا يمكن تقسيمهم لثلاثة أقسام .. قسم (وكاد يشير
الى بعض الجالسين) استسلم ورضى بالواقع ويقول هذه بلدنا .. والعرب
لو دخلوها سيذبحونها كما لو كنا يهودا وهؤلاء في الاغلب اغنياء العرب ..
والقسم الآخر نسميهم ناصريين .. وطنيين يؤمنون بالبعد القومي وأملهم
مصر وعبد الناصر بالذات .. وأغلبهم من الطبقات الوسطى والموظفين
ومستعدين لتقديم أى عمل في الوقت المناسب .. وبيدهم تيارات ثقافية
وقومية مرتبطة بالتيارات الموجودة بالقاهرة والعالم العربى .. والنوع الثالث
هم الشيوعيون .. وهم متطرفون جدا .. أغلبهم من المثقفين الفقراء وهم
لم يتركوا الفضال أبدا .. بالكلام .. بالحرب .. بالشعر .. بالمشورات
ومرتبطون الى حد ما بالأحزاب الشيوعية الاسرائيلية .. وموقفهم واحد
مسلمين مسيحيين ويهود .. لهم جريدهم « الاتحاد » بالطبع سرية ..
ودواوين شعر سميح القاسم وتوفيق زياد .. ومحمود درويش .. وان
كان لا يسمى نفسه شيوعيا .. وغيرهم كثيرون .. بعد النكسة ازداد
نشاطهم لدرجة انه صدر قرار يحظر تجولهم وتحديد اقامتهم في منازلهم ..

- بالنسبة هل توجد قيود على العرب ... ؟

- يوجد قيود طبعا .. على التجول .. والحركة والنشر .. والتجمعات
... ولا يسمح باى تحرك من بلد الى آخر الا بتصريح من القائد العسكري
 للمنطقة .. ولكنهم عادة لا يمنعون ذلك الا في زمن الحرب .. وعموما هم أذكى
من أن يشعرونا بالقيود .. الكارثة الحقيقية هي العمل .. فهنا اليهودى
له كل الفرص .. وما يتبقى فللعرب .. وعادة ما تكون الاعمال الشاقة ..

- وهل تتولون مناصب قيادية في الحكم ...

- توجد بعض المناصب للعرب .. منصب القاضي .. وبعض المدرسين
.. وفي بعض الاوقات ممثلون في الكنيسة .. صمقنا قليلا ثم سأل ..

– هل زرتهم أماكن كثيرة. ٠٠٠ ؟

– زرنا بعض الاماكن ٠٠٠

– ما رأيك ٠٠٠٠ ؟

– مش بطال ٠٠٠ ١١

– نسوانهم حلوين ٠٠٠٠

ضحكت ٠٠٠٠

– نعم ٠٠٠

نسوانهم من اللاتي أخذن لهم فلسطين منا ٠٠ كن يضحكن على الشبا

٠٠ وبأخذن نفوسهم ٠٠ وأرضهم ٠٠ عن طريق الخمارات والكنيا، سمات ٠٠

كان يدور هذا الحديث ٠٠ وحولى أحاديث أخرى كثيرة ٠٠ كنا نلتقط

هذه بعض الكلمات عن السد العالى ٠٠ ومديرية التحرير ٠٠ والرئ ٠٠

والتقدم المصرى بعد الثورة ٠٠٠ وارتفعت الاصوات ٠٠ وارتفعت

الضحكات ٠٠ حتى دخل المرافق الاسرائيلى ٠٠٠ قال لى زميلى – هل تعرف

انه سكرتير الحزب الحاكم ٠٠٠ ؟

– نعم ٠٠٠

أراد ان يسيطر على الموقف ويوجهه ٠٠ فلقد كانت أول زيارة يقوم

بها الاسرى المصريون ٠٠ للمواطنين العرب ٠٠ وكانوا يجربون ٠٠ حتى

يشعرونا بمدى الحرية والديمقراطية الاسرائيلية ٠٠ ولكن الموقف خرج من

بين يديه ٠٠٠

قال – ما رأيكم ندير مناقشة مفتوحة ٠٠ ونستفيد جميعا بدلا من

الجلسات الثنائية ٠٠ ردوا عليه : اتركنا فى حالنا ٠٠ نحن سعداء بذلك ٠٠

ولكن التقط الخيط منه بعض المتحالفين أو الخائفين ٠٠ وابتدأوا فى

مناقشة مفتوحة ٠٠٠ على حد تعبيره ٠٠٠

قال احدهم – كلمونا عن الزراعة عندكم واهم المحاصيل ٠٠٠

رد زميل وهو بيتسم لسخافة السؤال مع الموقف ٠٠٠

– نحن نزرع القطن ٠٠٠ والقصب ٠٠٠

نمزنى زميلى قائلا ٠٠٠

– اتركهم فى حالهم ٠٠ هل لديك اسئلة اخرى ٠٠٠

– ما تأثير « فتح » على السكان العرب هنا ٠٠٠

« فتح » هي أساس المشكلة .. بشكل رومانسي جدا حولت أن تقود المقاومة أو تحيئها ولكن ما المكاسب التي عانت علينا من نصف الجرار الزراعي ... أو فنتاس المياه ... لقد دمروا في مقابل ..

وهنا نهض المرافق ... فائلا ... كانت فرصة عظيمة وزيارة متممة نرجو أن تكونوا قد تعرفتم جيدا على أوجه الحياة المختلفة في بلدنا .. وكنا نريد أن نطيل الزيارة ولكن لنا برنامج يجب أن نستوفيه خصوصا وأن الزملاء يريدون زيارة كنسية البشارة ...

تركنا العائلات العربية .. ونحن مازلنا نشعر بحرارة اللقاء .. والمحبة الحقيقية الواضحة في أعينهم .. وكانت تدور في رأسى أسئلة كثيرة تلح على .. هل هذا اللقاء مرسوم .. هل ما قيل لى هو الحقيقة .. هل أعد من قبل أم تورط المرافق فيه .. جلست في الميكروباص بجوار الشباك أنظر شاردة الى مجاهيع الاولاد والاطفال الحفاة يلعبون حولنا وينظرون لنا بأندهاش واستطلاع واقترب منى أحدهم .. لم أشعر به في البداية حتى أصبح ملاصقا لى .. ونطق بكلمات قليلة كانت كافية لحسم الموقف أمامى ... لقد عبر عن رأى عرب الناصرة .. رغم كل الحواجز والقيود .. قال « كسفنتونا » واستدار عائدا ...

زونا كنيسة البشارة .. كنيسة قديمة أقيمت حول بئر يسمى بئر العذراء ... ويقال أن العذراء بشرت بالمسيح عنده .. الجو الرهيب الخافت للاماكن المقدسة القديمة الشموع المتندلة للنخز .. السيدات البسيطات الطيبات يدعون لنا .. شربنا من ماء البئر .. ومررنا بداخل الكنسية .. ثم ذهبنا الى جامع الناصرة .. ساهمت في بنائه الحكومة الاسرائيلية .. جامع فاخر .. مغنى بالمسجد ومعلق في سقفه النجف .. وبه مكتبة اسلامية كبيرة .. على حد قولهم ثم ركبنا الميكروباص ثانيا .. في رحلة العودة في اتجاه عثليت .. في الطريق الصاعد الى أعلى جبل الكرمل حيث كيبوتز « بيت عورين » كانت توجد العريبات الصغيرة الواقعة بجوار الرصيف .. ومجموعات من الشباب والشابات الصغيرات يجوبون بعضهم بعضا .. البعض غارق في الثقلات وفي مكان آخر كان أحدهم يردد فوق زميلته يزاولان الجنس .. ابتسم المرافق وقال هذه مسألة شخصية .. وان كان اليهود الشرقيون أكثر تحفظا في ذلك .. عموما هذه من مشاكلنا .. أقصد الفارق الحضارى بين اليهود الغربيين .. واليهود

الشرقيين ٠٠٠ ولكن عموما الشرقيون يحاولون الان ان يسايروا التقدم
الحضارى الغربى ٠٠٠

وصلنا الى كيبوتز « بيت عرين » انشئ عام ١٩٣٩ فى أعلى جبل
الكرمل ٠٠ الليل تقدم ٠٠ نسمات الهواء الباردة فى يوليو ٠٠ أضواء صغيرة
منتشرة فى الحدائق ٠٠ جلسات عائلية حول مناضد صغيرة ٠٠ موسيقى
خفيفة منبعثة من ميكروفونات معلقة بين الاشجار ٠٠

دخلنا الى مبنى فخم مكون من عدة طوابق يستعمل كموتيل للراحة
والسياحة ٠٠٠. المطعم صالة واسعة تشبه صالة الطعام بالهيلتون ٠٠
الاضواء الخفية ٠٠ المناضد النظيفة ٠٠ المضيفات يتحركن بهوء بين
المناضد لابسات الميكروجيب ٠٠ سيقانهن وارجلهن مثيرة للغاية لأول مرة
أشعر بأدميتى منذ ٥ يونيو بعد ما جلست على الكرسي الوثير أمام منضدة
العشاء ٠٠٠

- أريد أن اذهب لدورة المياه ٠٠٠ -

دورة نظيفه جدا ٠٠ حتى لو لم ترد فلتدخلها فهى بالمقارنة بدورات
عتليت ٠٠ بل بعنابر نوم عتليت هى الجنة ٠٠ أنظر لنفسى فى المرآة لأول
مرة منذ شهور طويلة ٠٠٠ البنطلون واسع والمقيص ضيق جدا يكاد تقطع
أزراره ٠٠ شعرى طويل ٠٠ ضعيف جدا ٠٠ خاسس ٠٠ ما هذه النظرات
البائسة ٠٠ هل هذا الوقت أنا ٠٠ مستحيل ٠٠ الراحة تكاد تقتلنى ٠٠
اليائسة ٠٠ هل هذا الوقت أنا ٠٠ مستحيل ٠٠ الراحة تكاد تقتلنى ٠٠

المضيئة تقدم لى طبق اللحم ٠٠ تميل بجوارى ٠٠ أشعر برائحة
البرفان المختلط بعرقها ٠٠ أكاد أجن ٠٠ صدرها يظهر من خلال توبها
وهى منحنية ٠٠ ساقها يلمس ساقى ٠٠ انتصب ٠٠ أخجل من نفسى ٠٠
أنحنى على طبقى أقطع اللحم أمضغه على مهل معدتى تؤلمنى ٠٠ فى راسى
صداع شديد ٠٠ قلبى يدق دقات متتالية أريد أن أفرغ ما بمعدتى ٠٠٠٠
لا أشعر بالحديث الذى يدور حولى ٠٠٠ أبحث بعينى عن المضيئة الفارعة ٠٠٠٠
الزملاء يحاول كل منهم ان يخفى مشاعر ٠٠ أحدهم يميل على أولاد الكلب
حلوين ٠٠ ما رأيك فيهن ؟؟ ٩ أصمت ٠٠ يرتبك ٠٠ تقع أدوات المائدة منه
على الارض ٠٠٠

نخرج الى الهواء الطلق الخارجى .. اتنفس بعحق .. الهواء البارد
يدير رأسى .. اشعر بتعب وخذر شديد فى جسدى .. نركب الميكروباس ..

المرافق يحاول أن يختتم الرحلة .. يفتح الراديو .. الموسيقى
الهادئة تساب هواء البحر يتخلل الشبائيك .. اغوص فى مقعدى ..
مسترخيا .. اغمض عيني .. ما السذى اتى بنا الى هنا .. طلعون
ابو الحرب .. الموسيقى تتوقف .. المذيع يتكلم هنا صوت أمريكا ..

- اليكم موجزا لاهم الاخبار العربية .. المرافق يحاول أن يخلق
الراديو .. يخجل .. عموما انه صوت أمريكا .. لا فارق كبير ..

وكتطعة نشاف امتحصنا الاخبار .. فى نهاية النشرة او قرب
نهايتها .. المذيع يذيع خبرا بأن الرئيس جمال عبد الناصر قال فى خطابه
بان الحرب فى ٦٧ ما هى الا جولة يعقبها جولات .. وأن الحرب لم تنته
يهزيمه يونيو .. أغلق المرافق سكرتير حزب المايابى الحاكم الراديو بتوتر
شديد .. والتفت لنا يرد على عبد الناصر ..

- نحن مستعدون لاكثر من جولة .. وأحب أن اخبركم باننا ومنذ
حرب يونيو نتدرب استعدادا للحرب المقبلة .. نحن نملك أسلحه سرية
مدمرة لم نستعملها فى الحرب السابقة .. لاننا انتصرنا .. بالاسلحة
الثقيلية .. ولم يستدع الموقف تجربتها ولكننا سنستعملها وعلى وعلى
اعدائنا .. كلمة قالها شمشون اليهودى وهو يهد المعبد نحن لدينا أيضا
ابحاث متقدمة فى ماملنا .. يحضر من اجلها علماء أمريكا ليستفيدوا منا ..

وهنا كان الميكروباس قد دخل الى المسكر .. وكانت النوايا قد
وضحت تماما واطارت الكلمات الاخيرة كل الخدر الذى كنا نشعر به ..
ولذلك فلقد كانت خطبة الوداع سخيفة جدا وهو يتلوها غير خاسب لما حدث
منذ دقائق حسابا .. كنا نستمتع لعدونا وهو يقول :

- والان انتهت الرحلة .. وكل شيء لابد وله نهاية .. حتى وجودكم
بيننا له نهاية وحتى عداؤكم لنا له نهاية .. ونأمل أن تزورنا ثانيا
وقريبا .. أخوانا سياحا حقيقيين .. كلمات مرسومة سخيفة رغم كل
الطلاءات العديدة التى كسفتها أضواء الحقيقة والتي اجبرته على كشف
اوراقه فى لحظة غير مناسبة ..

استقبلنا الزملاء باستطلاع شديد وتشوق لمعرفة ما حدث .. وقضينا ما تبقى من الليل نحكى قصة خطواتنا على الارض المحبوسة داخل اسرائيل .

تتابع بعد ذلك الزيارات لباقي الاسرى .. وتنوعت لعلنا ونل ابيب وبيانا ... صور منكرة لما حدث لنا ولكن بتحفظ اكثر فيما يختص بتقابل المصريين مع الفلسطينيين في اسرائيل .. وصاحب ذلك تغييرات كثيرة لحياتنا في المسكر لنبدأ مرحلة أخرى من اواخر يوليو وحتى أوائل أكتوبر ... فالاستجوابات اختلف طابعها ... وتحولت الى مقابلات سياسية .. وصاحبها في نفس الوقت محاضرات جماعية يلقيها بعض المتخصصين وعرض أفلام سينمائية .. وحدثت بعض التغييرات في نظام معيشتنا .. لقد احضروا لنا مراتب وكميات من القش لحشوها .

وتحسن الى حد ما الاكل .. فلقد سمحوا لنا بتناول بعض الفواكه مع الغذاء .. وكميات من المربى مع الجبن في العشاء .. وأنظم تمييزنا بصايون للوجه .. وامواس للحلاقة .. وصايون للحلاقة .. بل احضروا لنا بعض أدوات الترفيه طاولات وشطرنجات وكثاشين .. وخفت قيود الحراسة .. بل ولقد جاءنا من مصر خطابات من الاهل ووصلتنا طرود هدايا من الحكومة المصرية ... وطرود خاصة من امالينا .. واضيف للمقرر اليومي من الاذاعة اغنية « على بلد المحبوب ودينى .. » وتعددت مرات اذاعة الاغانى .. ودخل المسكر مجلات اخرى غير الجيروزليم بوست .. واليوم .. فلقد دخلت مجلة الكواكب .. وهى صورة من الكواكب المصرية والشبكة نفس المقالات ونفس الريبورتاجات ونفس الصور المسروقة .. كذلك هربت سرا جريدة « الاتحاد » جريدة الحزب الشيوعى .. وهى تندد بالاحتلال واغتصاب الارض وتحذر من العصاة العسكرية الحاكمة وتحكى قصصا للضغط على العرب في الاراضى المحتلة وتذكرهم بمجازر دير ياسين .. وتحكى قصة امام المسجد الاقصى الذى بكى فى صلاة العيد وقال « عيد باى حال جئت يا عيد » .. وتجاوب الجماهير معه بقولهم الصبر .. الصبر .. ثم رعب المذبح الاسرائيلى واستدعاؤه الجيش .. وتعلق الجريدة على الرعب الاسرائيلى من مجموعة من العزل فتقول هل ستحرمون الناس حتى من حق البكاء .. ومنها ايضا عرفنا ان النائبين الوحيديين اللذين عارضا ونددا بحرب يونيو فى الكنيست الاسرائيلى كانا من اعضاء الحزب الشيوعى ...

هذه بعض التغييرات التى حدثت بالاضافة الى مد فترة السماح بالماء .. واصلاح دورات المياه الجديدة .. وحدثت فى حياتنا تغييرات

أخرى هامة ٠٠ فلقد ابتدأت الملكات تتفتح لدى الضباط ٠٠ وظهرت أنواع
عديدة من الفنون بأقل امكانات ٠٠٠

هذا يرسم ٠٠ لوحا جيدة خريج كلية الفنون ٠٠ فملا جدران
الحجرات بالنسوة العاريات ٠٠ وهذا يصنع عرائس ويفتتح مسرحا
للعرائس ٠٠ وآخرون يؤلفون الشعر وزملاء لهم يلحنونه ويغنونه وظهرت
أكثر من موهبة غنائية ٠٠ وانتشرت طقات الغذاء في جميع الحجرات
تسنع الي الصبان ومجدى وعمر ٠٠ وآخرين ٠٠ وتكونت فرق موسيقية
بالآت بدائية ٠٠ واستمعنا الي أغاني محورة تحمل معانى جنسية
أو فكاهية ٠٠٠

وبجوار هذا انتشرت الحلقات الدينية ٠٠ احضروا القرآن والانجيل ٠٠
وتكونت حلقات القراءة ٠٠ وحلقات التفسير ٠٠ وحلقات الذكر ٠٠ وعم
المعسكر نوع من أنواع التصوف ٠

وبجوار حلقات التصوف هذه ٠٠ كانت حلقات اليوكر ٠٠ والقامرة
على السجائر ٠٠٠ وانتشرت الاسواق الخلفية لتبادل البضائع ٠٠ الزنوبة
بثلاث علب سجائر كبيرة وعلبة المربي بعلبتين والغيار الداخلى بخمس
علب ٠٠ وكانت الاسعار ترتفع وتنخفض حسب توفر السجائر من عمه ٠

طلبت للاستجواب ٠٠ كان المستجوب شابا صغيرا يتكلم
الانجليزية ٠٠ عربى بنفسه ٠٠٠ طالب بالدراسات العليا بالجامعة العبرية
ويعد دكتوراه في العلوم السياسية والاجتماعية ٠

- ما رأيك في نظام الحكم في مصر ٠٠٠ ؟

١- ماذا تقصد ٠٠٠ ؟

- الديمقراطية ٠٠٠

- عظيمة ٠٠

- هل ليكم ديمقراطية ٠٠٠ ؟

- نعم ٠٠٠

- وهل هذه ديمقراطية ٠٠ هل ليكم احزاب ٠٠٠ ؟

- وهل الديمقراطية معناها احزاب .. ؟ هذا شكل قديم نظري ..
في الحقيقة الديمقراطية ترتبط أساسا بمن يملك السلطة الاقتصادية .. في
أمريكا مثلا هناك حزبان .. ولكنهما يخدمان نفس الايديولوجية .. ونفس
الهدف .. وهو تسلط أصحاب رموس الاموال الأمريكية على الحكم ..
ما الفرق بين الحزبين اللذين في أمريكا .. كلاهما سيطر عليه بواسطة
الأقوى اقتصاديا .. بواسطة أصحاب الملايين ...
- فلنترك أمريكا جانبا .. انجلترا ...

- أيضا الحزبان الرئيسيان المحافظين والعمال .. لا فرق بنما .. كلاهما
يخدم نفس الغرض .. بل العمال أكثر رجعية من المحافظين .. جميع أعمال
القمع التي عانت منها المستعمرات .. جميع أنواع الاستغلال والمظاهرات
حدثت أثناء حكم العمال .. الأكثر دلالة على ذلك حكومات الظل التي
تكونها الاحزاب خارج الحكم .. أين الديمقراطية في هذا .. الحكم في انجلترا
رغم الهاید بارك .. ورغم البرلمان الانجليزي .. في الحقيقة يتحكم فيه
مجموعة من محترفي السياسة .. المسيطر عليهم بواسطة أصحاب رموس
الاموال الانجليزية ..

- ما قولك في أن المواطن الانجليزي قادر على سب ملكة إنجلترا .. ؟
- كل هذا كلام في الهواء .. ما تأثير سب الملكة سوى تخفيف
التوتر .. هل يغير ذلك الطبيعة الاستعمارية لانجلترا .. بالعكس
لم تستطع ديمقراطية الهاید بارك أن تؤثر الا في اباحة الشذوذ الجنسي ..

- لدينا هنا في اسرائيل ديمقراطية ... (قالها بتحد) ...

- واليهود الشرقيون .. والعرب الفلسطينيين .. وأهالي المدن
المختلة ... هل هذا رأيهم أيضا .. ؟ .. هل يزاولون حريتهم الديمقراطية
مثلك انت القادم من الغرب ...

- بالتأكيد لهم حرية ديمقراطية .. الا بعض القيود الخاصة بأمن
الدولة ...

- هل تريد مني أن أتكلم بصراحة .. أم حديث بين أسير وآسره .. ؟
- لا .. وبصراحة فهنا من الديمقراطية ما يسمح لك أن تتقول
ما تريد ...

- بعض القيود الخاصة بأمن الدولة هذه تزداد حتى تصل الى سجن
وتحديد أقامة الآخرين كما حدث يوم ٥ يونيو ...

- لا .. هذا غير صحيح .. العرب هنا لديهم الحرية الكاملة ..
عندنا هنا جميع أنواع الاحزاب .. وكل منها له مجلته وجريته وينطبع كل
الكلام الحر ...

- يا سيدي الفارق أن .. بامريكا حزبين ينفذان سياسة المليونيرات
الامريكان .. وهنا عشرون حزبا ينفذون سياسة التوسع لحساب
المليونيرات الامريكان ايضا ...

- من قال هذا ... ؟

- هذا هو ما كتبتم في الكنيست « من الفرات الى النيل » ..

- لا هذا غير موجود ..

- وحروبكم .. التوسعية ايضا غير موجودة ؟؟

- نحن لا نريد الارض المحتلة .. نحن نريد السلام ...

- وهل يفرض السلام بالقوة ... ؟

- نحن ندافع عن انفسنا ...

- بالنابلم والاسلحة الهجومية والتكتيك الهجومى .. والاستراتيجية
الهجومية .. هل تنكر أن استراتيجيتكم مبنية على الهجوم ونقل المبركة
الى أرض العدو ... ألم تبحأوا الحرب ثلاث مرات ثم تقولون نحن ندافع
عن انفسنا ... !

- خرجنا عن موضوعنا .. هل عنكم ديمقراطية ... ؟

- الديمقراطية الاشتراكية .. تخالف الديمقراطية الغربية .. في الدول
الاشتراكية هي تحالف .. في الدول الغربية هي تصارع .. والتصارع يبدد
القوى في تفاهات والتحالف يدعم القوى الحقيقية المنتجة في الدولة وهم العمال
والفلاحون ضد القوى الاستغلالية والطبقات غير المنتجة ...
في بلدنا الديمقراطية هي تحالف بين القوى المنتجة من عمال وفلاحين
ورأسمالية وطنية وجنود ومثقفين .. وعن طريق هذا التحالف تتحقق آمال
وأهداف الطبقات الكادحة في حياة أحسن ..

هذا عظيم جدا .. ولكن نظريا .. هل تتصور يا عزيزي أن الفلاحين
والعمال المتخلفين حضاريا .. الذين هم في الاغلب يجهلون القراءة والكتابة ..
وهم الذين يشكلون ٥٠٪ من اعضاء التنظيمات السياسية قادرون على تحقيق
هذه الحياة الاحسن .. هل يفهمون في الاقتصاد والتخطيط والادارة
والقانون ...

الفلاح الجاهل المتخلف بالطبع لا يفهم في القانون والادارة والاقتصاد ولكنه يفهم مشاكله جيدا ويفهم ماذا يريد .. وهو في التنظيم يحقق ما يريد .. حقا لم نصل بعد الى العامل والفلاح المؤثر ولكن هل تتصور ان هناك عصا سحرية تضربها فتحول العمان والفلاحين الى اساتذة في القانون والادارة بالطبع لا توجد لدينا هذه العصا .. ولكن لدينا ما هو أكثر جدوى وهو الزمن والممارسة .. فخلال ممارسة العامل والفلاح للعمل السياسي في وحدته الصغرى يتعلم ويثقف وينضج ويصبح أكثر صلابة عند انتقاله لوحده الأكبر .. فيشارك في سياسة اتليمية .. حتى يصل الى أعلى مستوى يصبح فيه قادرا على التخطيط لتسيير مستقبل وطنه .. أن الممارسة والزمن كافيان لان يجعلنا فلاحينا وعمالنا زعماء سياسيين قادرين على تسيير دفة بلدنا ..

أيضا هذا الكلام نظري فلاحو وعمال التنظيمات الشعبية منفصلون عن الشعب والمجتمع قاتعون بما وصلوا اليه من رفاهية ...

لن اجادل في هذا أيضا .. ولكن هذه الظاهرة ستزول عندما يكتشفهم ناخبوهم ومع الزمن سيحدث تطور وستصحح هذه الأخطاء وقد يكون ما حدث أمس كافيًا لا حدًا للتطور .. كما حدث بعد حربنا معكم سنة ٤٨ ، سنة ٥٦ ...

أنت عنيد .. وتزدد كلاما مملى عليك ...

لا

ماذا اذن لا تقتنع .. لقد غسلوا لك مخك جيدا ..

هذه خرافة .. والا فاننا بين يديك اغسل لي مخي ... ١١١
وضحكك .. فضحك وانتقل الى موضوع آخر بعد ان نظر في المورقات
التي اصامه ..

اشتراكيتمكم .. هل عندكم اشتراكية .. ؟؟ .. بالمناسبة نحن لدينا
الاشتراكية الحقيقية في الكمبيوتر .. هل زرت الكمبيوترات ...

نعم زرت بعضها .. في الحقيقة الكمبيوتر مستعمرة تعاونية عسكرية
فرضها الواقع العسكري الذي تعيشونه .. وهي مبنية على فلسفة دين العمل
لجوردن لا تتصل بالماركسية من قريب أو بعيد .. لا فيما تنتجه الحبة

الجماعية من فوائد ٠٠ ولقد قال بن جريرين احد المؤسسين لهذا النظام عندكم
٠٠ عندما يصبح عمال اسرائيل وحراسها من صفوفنا تصبح الارض
لنا ٠٠ ولهذا أسستكم مستعمراتكم العسكرية الزراعية ٠٠ من اجل ربط
اليهودى القاجر بالارض وتحويل المزارع او عامل وأنشأتكم نظاما دفاعيا
يسمح بالعمل والدفاع ٠٠٠

هذا صحيح في البداية ٠٠ ولكن لا تنس ان الذين ساعدونا في البداية
كانت الدول الاشتراكية نحن حاربنا سنة ٤٨ بينادق تشيكي ٠٠٠ ١١

الدول الاشتراكية ساعدتكم ان سور خاطيء جعلها تعتقد انكم ستخرجون
نقطة العلاقات للاشتراكية في الشرق نظرا لتجاورككم مع حكومات اقطاعيه
رجمية ٠٠ ولكن مع اרכת النهز أنتم اؤكم الحقيقي اولا لانجلترا وفرنسا ٠٠
ثم والان لامريكا ٠٠ ما رأيك ٠٠ ١١

- اكمل ٠٠٠

- وعلى هذا الاساس تقف اليوم هذا الموقف الشريف بجوار شعوب

المنطقه المجاورة لكم ٠٠٠ كى تحميها ٠٠ ١١١

- تحميها من ٩٩ ٠٠٠

- ونكم ٠٠٠

- لا افهم ٠٠٠

- من اهدانكم القوسية لحساب امريكا ٠٠٠

- يجب ان تجيب على سؤالي ٠٠ لماذا ساعدتنا الدول الاشتراكية

اساسا ٩٩

- عدا ما ذكرته فلا اعرف ٠٠٠ سائال لاعرف ٠٠

- ستسال من ٩٩ ٠٠٠

ضحكت وقلت له : السؤال لمعلوماتي الخاصة ولن تعرف الاجابة
بالطبع ٠٠٠ ساسال عندما اعود ٠٠ عموما ٠٠ اشتراكية الكمبيوتر اليوم
هى نوع من الاستغلال الرأسمالى الجماعى ٠ فباسم الامن القومى لاسرائيل
يعمل آلاف الشبان في اسرائيل لصالح اصحاب الملايين الامريكاني ولصالح
الجموعه العسكريه الاسرائيلية الحاكمة ٠٠٠ اما عندنا ٠٠ فاشتراكييتنا حقاقى دور

التجريب ولكنها أكثر صحتاً.. فالدولة كلها تتبع النظام الاشتراكي في التخطيط والتسيير.. ووسائل الانتاج ملكية شعبية.. وان كانت هناك بعض السلبيات فانتم لكم دور كبير فيها.. فانتفاننا من حرب الى اخرى واستعداداتنا الدائمة للقتال تحت وقع التهديد المستمر.. يستقطب جزءا كبيرا من ميزانيتنا ومن جهتنا لو اننا وجهناهما تجاه التنمية لتقدمنا كثيرا في طريق المجتمع الاشتراكي.

- لماذا لا نوفر ما ندفعه نحن وما تدفعونه للقتال ونعيش في سلام
نبني بلدينا ..

- هذا اقصى ما نتمناه.. ولكن هل ستتركونا نعيش حقا في سلام
اشك كثيرا.. لان دوركم الذي حددته لكم امريكا في المنطقة لا يسمح
بذلك وانتم منفذو.. السياسة الامريكيه هنا ومرتبون بها ارتباطا كاملا
- لماذا لا نترك امريكا.. وتتركون روسيا.. وفتصافي ونعيش
في سلام ..

- يمكننا ان نترك روسيا.. لانه لا تربطنا بها اي ارتباطات مثل
ارتباطكم بالسياسة الامريكية هل تستطيعون حقا ان تتخلصوا من
ارتباطكم.. لا اعتقد يا عزيزي ان تمقوا كنز الذهب الذي يتدفق عليكم
فيتحول لمصانع ومستشفيات ومفاعلات ذرية ومشاريح رى.. وسلاح
وتتوسعون به.. من اجل ماذا؟؟ من اجل السلام..؟؟ وفرضا
ان هذا ما تريجونه.. فلتتركوا لنا اراضينا التي استوليتم عليها بعد
٥ يونيو ثم نتفاهم ..

- يا حبيبي والله.. والله نحن لا نريد ارضكم نحن نريد ان نجلس
مما حول منضدة واحدة ..

ولنقف قليلا لمناقشة هذا الحوار.. لقد كنا من الجيل الذي تفتح
على الثورة.. وعاصر انتصاراتها ضد الملك والاستعمار والاحلاف العسكرية
.. وكان يفخر بتأثير ثورته على شعوب العالم في افريقيا واسبيا وامريكا
الجنوبية ..

وهو الجيل الذي لم يمارس السياسة فلقد كان عبد الناصر في نظر
جيلنا اول مصرى يحكم مصر ويقودها بحراية وحكمة وسط الزوابع ..

كان الميثاق والنظام المصري في نظرنا هو أرقى الصيغ التي تلائمنا وكان واجبنا هو أن نحفظ هذه الصيغ ونرددها دون أي تفكير كما نحفظ شعائر ديننا ولا نسمح لأي مخلوق كان بمناقشتها ٠٠ وعن اقتناع وعن إيمان ٠٠ ولذلك فعندما قيل لى أنه لا توجد في بلادنا ديمقراطية أو اشتراكية لم أكن أستطيع إلا الدفاع عنها حتى ولو كنت أسيرا في يد أعداء قد يؤدي امرارى هذا إلى إيذائى ٠٠ وحتى بعد هزيمة عسكرية قاسية كشفت مدى ضعف الحكم وهزتنا من الداخل هزات عنيفة وحتى بعد أن قررت أن أراجع كل معتقداتى وأفكارى التي كونتها خلال الخمس عشرة سنة السابقة على الهزيمة .

بعد أيام استعديت لمناقشة مع استاذ العلوم السياسية والشرق الأوسط بالجامعة العبرية ٠٠٠

نفس البداية ٠٠ نفس النهاية ٠٠ ولكنه حضر لى يسألنى سؤالا لم يستطع تلميذه أن يسألنى أياه ٠٠ وهو « هل فكرت ٠٠ لماذا تساعدكم روسيا ؟؟ » ٠٠٠ وأجبت عليه بسؤال آخر بعيدا تماما عن موضوعنا ٠٠ هل أنت مؤمن ؟ ٠٠ أعنى ٠٠ هل تؤمن بوجود الله ؟ ٠٠٠

— صمت قليلا ٠٠ ثم تردد ٠٠ ثم قال ٠٠ « لا » ٠٠ لماذا ؟ . .
ثم أردف هذه خرائات ٠٠٠

— هل يوجد مؤمنون كثيرون هنا ٠٠٠ ؟؟؟ ٠٠٠
— البعض مؤمن ٠٠ ولكنه ليس متحينا ٠٠ والبعض مؤمن ومتدين ٠٠
— لماذا هم غير متدينين ٠٠ ؟؟ ٠٠

— تعاليم ديننا صعبة ٠٠ بمعنى أن في يوم السبت ممنوع على المتدين أن ينقل كرسيه من هنا للشارع ٠٠ لأنه يعتبر عملا ٠٠
— معنى ذلك أن عددا كبيرا منكم غير مرتبط باليهودية ٠٠
— نعم ٠٠٠

— لماذا أنتم هنا ٠٠٠ ؟؟؟ ٠٠٠
— نحن تربطنا الروح اليهودية ٠٠ !!
— ميتافيزيقيا أيضا ٠٠٠ ١١١ ٠٠٠
— لماذا إذن نحن هنا ٠٠ ؟؟ (سألنى لينهى المناقشة ويصل إلى ما أريد)

— أنتم هنا من أجل واقع اقتصادى أنتم هنا رأس حربة للرأسمالية

العالمية قريبا من أسواق الشرق الاوسط وأماكن انتاج المواد الخام .. انتم هنا قاعدة عسكرية متقدمة تسد الفراغ بين حلفي الناتو وامناتو .. لسد فراغ أيزنهاور اتذكرونه .. لاحكام اثاره .. من الدول الاشتراكية .. حل فهمت لماذا تساعدنا روسيا ١٩٥٥

- لا ...

- هل اضطرت فيما قلته سابقا ...

- قريبا من الصواب ..

فلدينا القصة من اولها .. الاتحاد السوفيتي ايدولوجيته الاساسية تتنبأ بأن العالم سيصبح اشتراكي يوما ما كمرحلة لانتشار السوء على العالم .. وذلك نتيجة لصراع الطبقة العاملة ضد الرأسماليين .. هذا صحيح ...

- يمنح لتفكير الثورة الاشتراكية في العالم بعض الحقن المخدرة التي اعطتها الرأسمالية لطبقاتها العاملة على هيئة بعض الامتيازات .. من أين احضرت هذه الامتيازات .. من استقلال الشعوب المستعمرة .. معنى هذا انه لو انتهى الاستعمار فلن تستطيع الرأسمالية الوفاء بالتزاماتها تجاه عمالها معنى هذا انه سيزداد حدة التناقض الذي سينتهي بثورة للطبقة العاملة ضدها ..

- هذا غير صحيح لان العمال لا يتقاضون مرتباتهم من المستعمرات ..

- ولكن الرأسماليين يجمعون اموالهم من المستعمرات والتي وفي غيابها سيتحولون الى استنزاف ما تبقى من حياء عمالهم مما سيزيد التناقض كميثورا .. وبذلك سيفجر العالم بثورات اشتراكية متتالية تؤذن بقدوم العالم الشيوعي .. معنى ذلك ان نهاية الاستعمار هو نهاية الرأسمالية .. ومحاربة الاستعمار هو خطوة في سبيل الاشتراكية من وجهة نظرهم اننا قد التقينا .. نحن وهم لا نريد استعمارا لبلادنا .. ولا نريد استعمارا في منطقتنا .. ولذلك فهم يساعدوننا .. يعطوننا السلاح لندافع به عن انفسنا ضدكم ..

وهنا وقف وقد اصفر وجهه .. ومد الى يده مصافحا وقال .. اختلف معك في الرأي ولكنني لا استطيع الا ان احترمك .. شكرا ..

استدعاني أحدهم للاستجواب .. وبعد الاسئلة اللازمة لتلطيف جو
الحديث وبعد أن أعطاني سيجارة أمريكية فاخرة وزجاجة عصير برتقال
مثلجه .. قال لي ..

- بالطبع تريد أن تعرف ماذا دار في مصر بعد الحرب ..

.. .. .

- الرئيس عبد الناصر تنحى وخلفه زكريا محيي الدين ..

.. .. .

- حدثت بعد ذلك مسرحية .. بكى الرئيس في التلفزيون وبعد ذلك
بعض دقائق كانت الكاميرات تنقل المتظاهرين وهم ذامبون له ..
والراديو يبذع بيانات التأييد والتلفرافات مباشرة .. الست دعى
أن انتقال معدات التلفزيون لنقل الاحداث يحتاج الى مدة .. هل
كانوا يعلمون بأن الشعب سيخرج ..

.. .. .

- زكريا رفض المنصب وقال أنه لا يقبل غير عبد الناصر رئيسا هو
والشعب المصري

.. .. .

- في مصر خافوا من انقلاب فأطلقوا صفارات الانذار وصوروا أن
هناك غارة وأطلقت المفعية طلقاتها على أهداف مزورة ..

.. .. .

- يوم ٩ ، ١٠ يونيو

.. .. .

- البلد الآن في فرضى شديدة .. زادت الاسعار .. ولا يوجد
ما يكفي من الاحتياجات الاساسية للمعيشة .. الناس في ذعر وفوضى

كانت هذه المناقشات صورة لما حدث للأخريين أيضا .. ولت أن
تتخيل البدايات والنهايات المختلفة التي حدثت مع باقى الاسرى .. والتي
كان لها ردود افعال ومناقشات لأول لها ولا آخر .. فمثلا تعليقا عما
سمعناه عن أحداث ٩ ، ١٠ يونيو ..

- البلد في فوضى ..

- يا أخى انت عند عدو ..

- يجب أن تكون هناك فوضى فعلا .. اننا لا نستبعد هذا الكلام
- ولكن هل المظاهرات حقيقة ...
- لمأظلا لا تكون حقيقة ٠٠٠
- هل فعلا التليفزيون كان يعرفنا فنقل المظاهرات بهذه السرعة ..
- والتلفونات هل تصل بهذه السرعة ...
- فعلا هي مسرحية ...
- وهل بلدنا يمكنها الان ان تستمر بدون عبد الناصر ...
- وهل الذى خلقه لم يخلق غيره ...
- خلق غيره بالطبع لكن هل بلدنا تحتل التخريب فى هذا الوقت الحرج
- يتركنا فى حالنا .. مائة آخرون يستطيعون ...
- صدقنى .. هذه مصيبة حقيقية ...
- لا مصيبة .. كان من الممكن أن نعيش أحسن بدونه ...
- والله أنا غير مصدق لما حدث .. كلام يهود ودعاية ...
- ولماذا يكذبون ...
- لان من صالحهم أن تتصور بلدك فى فوضى فتستسلم لهم ...
- يجب أن تكون فوضى ...
- كانوا وصلوا القاهرة ...
- غير معقول لان الشعب ...
- شعب ايه يا عم ...
- الشعب الذى حارب فى بور سعيد ...
- بور سعيد يا ساذج .. اسكتوا .. اتركونا فى مشاكلنا ...
- وهكذا كانت دائما ما تثار مناقشات حول امكانيات الحل السلمى ..
- التناطح مع امريكا التفاوض مع اسرائيل .. حق شعب فلسطين فى العودة
- .. تحالف العرب والدول الشرقية هل الحرب هى أحسن الحلول ...
- تبع ذلك تصنيف للضباط يمكننى أن اتصوره كالآتى .. قسم يناقش
- بمنطق ويحاول أن يفهم وان يوضح .. وقسم لا يريد أن يناقش فيوافق
- على كل ما يقال له .. وقسم لا يريد أن يستمع حتى لما يقال .. وايتدات
- التيارات اليمينية واليسارية والمتدلة تظهر بوضوح خلال المناقشات ..

ثم تتصارع وتعلو الاصوات وتنخفض .. ويختلى كل اثنين في جانب للتدارس وتتسع الدوائر .. وتتكلمش ويزيد المناقشات تأججا ضابط تادم من الاستجواب .. فقد كانوا يدرسون الاتجاهات والمناقشات والنقاط التي يحث عليها الصراع ثم يحضرون لها .. ويدفعونها في الاتجاه الذي يريدونه عن طريق من طرفهم .. وقد تسالنى كيف كانوا يعرفون المناقشات التي تدور في معسكر مغلقة ..

كانت لهم اكثر من طريقة لذلك . الاولى سؤال مباحث ل احد الضباط الذين استطاعوا اجتذابهم .. ماذا تقولون ؟ .. والثانية .. طرح نقطة للبحث على جميع المستجوبين ثم يحضرون أفرادا من شرائح مختلفة في المعسكر ويفاقشونهم في هذه النقطة .. والثالثة كانت بالتقاط سؤال من أحد الضباط لهم أثناء استجوابه أو مناقشاته ..

كذلك أصبح للاستجواب في هذه الفترة دور جيد .. وهو ترويج الاشاعات فقد تتصور أن الامر بسيط .. ما هي الاشاعات التي يمكن ترويجها ؟ .. ولحن في الحقيقة كانت الاشاعة سلاحا حاسما في تعذيبنا .. استعملته المخابرات الاسرائيلية بمهارة شديدة .. وكانت أبرز اشاعة لها تأثير في هذه المرحلة هي اشاعة العودة ..

- متى سنعود ؟؟

- تريبا اقرب مما تتصورون ؟؟

-

- في حدود شهر ..

ويعود حامل الاشاعة لينشرها سرا .. ثم تتزايد همسا .. وتتناقلها الاذان .. ويؤكدوا اخرون حضروا من الاستجواب .. وبمر شهر .. ولا نعود ..
لماذا ؟؟

- الحكومة المصرية لا تريدكم ..

- معقول لا يريدوننا .. نحن اولادهم ..

- لا يريدونكم لانهم يخافون منكم أن تقولوا الحقيقة ..

- وهل الحقيقة أصبحت خافية ..

- النظام قلق ولا يحتمل البلبله ..

- وهل لدينا القوة لخلق بلبله ...

- هذا رأى حكومتكم ...

ويتقلب التفاؤل الى ضده .. ونصاب بحالة سوادوية وقلق وقرق ..
بعدها كنا قد أعدنا انفسنا للعودة .. وتمز الأيام ونعتاد على سجننا ..
ليطالنا أحد المستجوبين ...

- المباحثات تقدمت وستعودون لبلادكم ...

-

- خلال الأسابيع القادمة ..

وترتفع حالتنا المعنوية الى أقصى درجة .. ونصاب بموجة تفاؤل
تعم المسكر اقتنكس ثانيا ...

- اختلفنا ثانيا ...

- لمساذا ...

- من أجل ثلاثة جواسيس .. تصوروا لا يريدون مبادلة ٥٥٠٠ أسير
بثلاثة جواسيس ..
لهذه الدرجة ؟؟

وتدور الاحاديث .. ما هذا الاستهتار .. لا اصدق ...

- بل صدق الفرد عنقنا لا يساوى شيئا ...

- لو كان ابن أحدهم معنا لرجعنا من مدة طويلة ...

- اللواء ياتوت دفعة الرئيس لا يعقل أن يتركه هنا ..

هذا ما حدث

وهكذا ترتفع حالتنا المعنوية وتنخفض في فترات متتالية متقاربة
أو متباعدة حسب الخطط الاسرائيلي الموضوع لتخمير جهازنا العصبى لاتمام
خطتهم ..

الحراس الاسرائيليون يضحكون .. المستجوبون يبتسمون بسعادة
شديدة .. الاذاعة المحلية تفتح قبل ميعادها بمدة .. المنيح يذيع
تعليقات ساذجة .. قالت السيدة أم كلثوم أنها لن تغنى الا في ذل أبيب قبل
حرب يونيو .. والاذاعة الاسرائيلية يبرها أن نتيج للسيدة أم كلثوم

الفرصة للوفاء بوعدها للفناء في نل أييب خصوصا وان هناك اكثر من مليون من العرب في ائظارها واكثر من ٥٥٠٠ مصري اسير بعنليب يذمنون سماعيا تغنى لهم . . .

نشرة الأخبار : أذاعت اذاعة القاهرة بأن المشير عبد الحكيم عامر قد انخر خبر من بيروت بأن الرئيس المصري جمال عبد الناصر قد استقال . . وفي هذه اارة كان رد الفعل مخالفا تماما لكل التوقعات . . فلقد تصاعدت الهتافات من عنابر الجنود . . .

- تسقط الاذاعات الكاذبة . . .

- عاش الرئيس . . عاش المشير . . .

ثم تلقها هتافات من عنابر الضباط . . .

- تسقط الاذاعة الكاذبة . . .

- لا رئيس غير جمال . . .

الضباط يبكون . . الوجوه مصفرة . . كل منا يبكي . . بلدنا تسقط

فعلا

- واهه يعني اما يموت . عشرون الفا ماتوا في سيناء . .

- بلاش كلام فارغ . . .

تد كان رجلا طيبا . . .

- الى اين يا بلدى . . مات المشير . . واستقال الرئيس . . .

- وهل تركه الرئيس ينتحر . . انها عشرة عمره . .

- رجل شريف . . رفض تقبل الهزيمة . . .

- الصدمة كانت اكبر منه . . .

الجنود في حالة هياج شديد . . يقذفون الابراج بالحجارة . . عتاف

واحد ل ٥٥٠٠ اسير - ناصر . . ناصر . . ناصر . .

اليهود يلبسون الخوذ . . في حالة ارتباك شديد . . بعض كبار ضباطهم

ينزلون المعسكر فجأة ويهددون بحرماننا من سماع نشرات الاخبار . .

وفي اليوم التالي انتظرنا النشرة . . .

اخبار بيروت المشير لم ينتحر . . وانما انتحر . . .

الهتافات تملو قبل انتهاء الجملة . . عاش المشير . . عامر . . عامر . .

يحييا عامر . . هس . . هس . . .

اخبار بيروت تكذب خبر استقالة الرئيس عبد الناصر . . .

- ناصر .. ناصر .. ناصر ..
- بمعنى ايه التحر ...
- بمعنى ضغطوا عليه لينتحر ...
- بمعنى مات ...
- تستقط الاذاعات الكاذبة ... تستقط الاذاعات الكاذبة ...
- لا رئيس الا ناصر .. ناصر .. ناصر ..
- اليهود في غيط شديده ..
- عائدون لك يا فلسطين ..
- ذهول بين الضباط ... بعضهم يبكي ...
- لماذا تبكي ..
- ألم تستمع لهذه المصيبة ...
- المشير كان يجب ان يفعل هذا ..
- ولماذا تركوه ينتحر ...
- كى لا تظهر الفضائح ...
- يعنى مات حقيقى !!
- ولماذا لا ...
- اليهود يطمعون اللواء ياقوت على رسائل وكالات الانباء المختلفة ..
- وهى تقول انه فعلا مات .. الاذاعة الاسرائيلية تدافع عن المشير الان اصبح بطالا ..
- وما الذى قالوه عنه من قبل ...
- هذه اذاعة موجهة لنا فقط ...
- لا .. فهى اذاعة عالمية لا تكذب ...
- يقال ان هناك مؤامرة وتبضوا على ضباط كثيرين ..
- مثل من ... ؟
- صلاح نصر .. وجلال هريدى .. وعثمان نصار ..
- وشمس بدران ..
- لا يعقل هذا ...
- اللواء ياقوت راي اوراق وكالات الانباء ...
- الان .. هل هذا وقت مؤامرات .. ؟؟
- ممكن ...
- ياناس البلد في ازمة ...

- من أجل تفعلية ما فعلوه في سينما ٢٠٤٠

- هذا كذب

- الرجل قرا رسائل وكالات الانباء ...

ولتخفيف الضغط .. تصبغت اصناف الطعام .. وزادوا لنا اللحش في
المراتب .. واحضروا لنا دفعة من خطايات مصر وطوروها .. واحضروا
لنا ايضا طرودا من الحكومة المصرية وخفت الازمة تدريجيا .. حتى تمسينا
ما يحدث في القاهرة ..

وفي يوم قالوا انهم قد احضروا لنا سينما .. اخذ كل منا بطانيته
او جردل التبول الليلي .. وجلسنا صفوفا على الارض امام شاشة
السينما .. فننظر ..

عرضوا علينا اول فيلم .. عن الكيبوتزيم .. الممثل بداخله ..
المغذاء .. الراحة ثم مناقشات الاجتماعات .. وفي اخر هذه المناقشات
وقفت سيدة تقول .. اريد ان يكون لى منزلى - اطفالى - زوجى .. اريد
ان اعيش حياة خاصة اربى اولادى وارعاهم واراعى زوجى .. نعيش فى فقر
فى يوم ونفتنى فى يوم .. ناكل ما نريد نلبس ما نريد - حقا الحياة فى
الخارج اكثر صعوبة ولكننى اريد ان اعانيها ..

ثم فيلم آخر .. عن حياة البدو فى صحراء النقب وقسوتها وكيف يقدم
الاطباء الاسرائيليون كل رعاية لهم .. بل يخاطرون بحياتهم فى الصحراء من
اجلهم .. ثم انواع الرعاية الاجتماعية المختلفة قوافل الصحة وقوافل
التعليم .. وقوافل الاعانه المستمرة فى النقب .. وتصل قمة العناية عندما
يلحق مواطن بدوى بالجامعة العبرية ويصبح طبيبا يقوم برعاية اهله ..
وفى النهاية هكذا تصبح اسرائيل رسول الحضارة بين هؤلاء العرب
المتخلفين .. ولكن ما فنبهم .. هذا الفيلم ناطق باللغة العربية .. اى انه
موجه اساسا لعرب فلسطين ..

فيلم آخر عن المشروعات الاساسية لتعمير النقب .. مصانع البوتاس
على البحر الميت مشروعات رى النقب وتحويل نهر الاردن .. ثم فيلم عن
اعداد المظليين الاسرائيليين وتدريبهم .. وهو فيلم شبيه بالفيلم المصرى
عن اعداد المظليين المصريين .. ومجموعة من افلام الدعاية الواضحة التى
اضجرتنا .. فى نهاية السهرة قمنا نسب لهم ولهذه السينما السخيفة التى
صدعوا بها رهوسنا .. وبطبيعة الحال وصلتهم تعليقاتنا .. ولكنهم

بالتأكيد كانوا يعرفون أن هذا سيكون رد الفعل بدليل أنهم أفرغوا جميع
أفلام الدعاية المباشرة في سهرة واحدة ٠٠ ثم أصبحوا يعرضون علينا أفلاما
طويله بعد ذلك فيلم كل أسبوع ٠٠٠

في منتصف الأسبوع التالي طلبونا لحضور محاضرة أو ندوة ٠٠ وكان
موضوعها اللغة العبرية وعلاقتها باللغة العربية ٠٠ محاضرة طويلة عن تربية
اللغتين فهما من أصل واحد ٠٠ في اللغة العبرية تقول آحاد ٠٠ اشئيق ٠٠
ثالث ٠٠ رباع ٠٠ خمسه ٠ في اللغة العربية تقول رجس ٠٠ في العبرية
يقولون رجال ٠٠ وهكذا امثله كثيرة لا أتذكرها جيدا ولكنني كنت موافقا
عليها ٠٠ فبالفعل اللغتان نشأتا في منطقة واحدة ولا بد أنهما قد تأثرتا
ببعضهما ٠٠ كما حدث بين الفرنسية والإيطالية والإسبانية ٠٠ ولكن المحاضر
يتبع ذلك بأننا أبناء عمومة ٠٠ وأنه ولا بد أن يحل السلام والتفاهم بين
أبناء العمومة وعموما كنانا المحاضر مثونة تحليل ما يريد أن يصل اليه
فلقد أوجزها هو بنفسه في نهاية المحاضرة عندما قال ٠٠ وسواء رصينتم أم لا ٠٠
وسواء كان هذا اليوم (قريبا أو بعيدا) الذي سنتفاهم فيه ونتبادل المصالح
التجارية والصناعية ٠٠ فإنه من الضروري عمل جسر بين اللغتين بدابته
عمل قاموس للغة العربية العبرية ٠٠ ونحن ندرس اللغة العربية في مدارسنا
كلغة أولى إجبارية لكل طلاب المدارس في إسرائيل ٠٠ وسنعتقد دراسات
للعرب في اللغة العبرية ٠٠ في الضفة الغربية وفي الجولان ٠٠ وفي قطاع غزة
وسيناء ٠٠٠

وتطورت حياتنا ٠٠ فلنأخذ بيومنا من هذه الايام ٠٠ عتليت الساعة ٧
صباحا الحجرة رقم (١٠) ٠

- يا حضرات برثيقة البوكر جاهزة ٠٠
- يا أخى قول يا صباح ٠٠ بوكر ٠٠ بوكر ٠٠ بوكر ٠٠ انتم ايه ١٠٠
- احنا وانا ايه ٠٠ واحد ٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ٠٠ والرابع رفع رأسه
من تحت البطانية ٠٠ الا. أوته ٠٠ الا دوه ٠٠

- فسرق ٠٠

- صباح الخير يا حضرات ٠٠٠ الفطار ٠٠٠ الفطار ٠٠٠

- والنبي خذ لي ٠٠٠ معك ٠٠٠

- لا قوم انت ٠٠٠

- لما أخلص الدور ده ٠٠٠

- من يلعب بريدج ...
- انطاونة من حقنا اليوم .. أمس كانت في الحجره رقم (٩) ..
- أحضرها يا مجدى ...
- نسمل دورى ...
- أنا أخذت الدورى مرتين والرائد ترفيق مرة .. ومحمود مرة ..
- ندمل القرعه لتحديد اللاعبين ...
- اذت يا جدع انت بس ديتى تستدروى وتطفى النور ...
- أنا حر يا أخى أسهر زى ما أنا عايز ...
- نصسوروا في الحجره رقم (٨) كانوا حساطين جردلين واحد للميه والسابى للمتبول واحد منهم قام في الضلمة تزارى جردل ابيه وشرب من جردل البول ...
- يا شبيب محمد الشهاده حسمد نقرا شوية في الاوده ١٢ ...
- الحب معاكم ...
- لا عملوا برتيته تانية ...
- أنا عندى صولد محترم سجاير العال مش سياون ولا ناديف ...
- شارك الحكتور ...
- نعيما يا عم ... هل توجد مياه في الحمامات ..
- ميه جميله .. حلقت في الاوده ٦ واستحميت ...
- ثمن علبه المربى دلوقت ثلاث علب سجاير بلمونت صغيره ..
- وبكره ترخص كمان لما الناس تخلص سجاير ...
- أنا محتفظ بالسجاير لغاية مترخص خالص وحشترى بها غيارات ...
- يا أخى خلى عندك دم .. زملائك بيتشمسوا على سيجاره وانت لا تدخن ومخزنها عندك ..
- ايه حقى أنا لا اخذ اكل مربى .. اشرب عصير .. أشترى غيارات ..
- وزمليك بيتى بدون غيارات ..
- والله مزاجه هفه على كده .. يايديخن .. يايلبس .. حد ضربه على ايده ..
- تلاعننى عشره طاولة بطبة بلمونت كبيره ...
- لا صغيره ...
- تعالى حكى لك حكاية ...

- وكوتشينه ...
- الجوابات اتاخرت والطرود ١٥٤٠
- حاول تشمشم كده حنمشى امتى ...
- الجرايد بتاعتنا جيبتوها ...
- لا .. هاتها والنبي ...
- شوف يا سيدى الكلام ...
- ايه ده يقصدونا احنا ...
- الجريدة دى محسوسة وحقييره جدا ...
- انا بقول نقاطها ...
- وليه نقاطها .. مشن عايض تقراها بلاش انت لواحدك .. لكن
نحفظل حاطين خواجز على فكرنا لخد امتى ...
- الكلام ده كلام اعداء .. افهم .. ومطبوعة مخصوص علشان اهالى
الناطق المحتلة .. عايض تقرا .. اقرا الجيروزليم بوسه .. يمكن
محترمة شويه ...
- اتنلسفوا علينا اكمنا بالانجليزى .. لا حقرا جريدة « اليوم » واللى
عايذ تعمله اعمله ...
- قالك ايه المستجوب ...
- قال انهم مش عايضينا فى مصر .. وان المشكلة ٣ جواسيس مصر
مش عايظه تسلمهم مقابل الاسرى ...
- والله م انا مصدق .. بقى ده كلام عاقل فصدقه ...
- بكره لما نروح مصر حترعنا ان ثلاثة جواسيس اهم منك ومن
السقا مثلك ..
- وقال ايه كمان .. فيه طرود .. فيه جوابات ...
- بيتقول مندوب الصليب الاحمر .. رجح ومعه ٤ جوابات فقط وطردين ..
- واين هم ...
- اتسلمت اللووات ... كلها لهم ...
- شوف البلد .. حتى هنا كمان .. لووات ايه احنا يعنى زباله ..
- ده طبع .. مفيش فايده سعد زغلول قال كده .. والله والله بيسرقوا
فى مصر طرودنا ميتورعوشن عن سرقة سجائر اسير ...
- بالمناسبة الطرود فى المرة اللى فاتت جابوا اللووات ياقوت فتح
الصندوق بنفسه ...

- فض الشمع الاحمر .. وسابها في الأوده بقاعة الاذاعة ومع ذلك وصلت ناقصة ..
- أنا شفت بعيني العساكر المصريين اللي بيخضفوا دخلوا الأوده وبصوا يمين وشمال وحطوا علبتين سجائر من الطرود في جيبيهم ..
- النهارده فيه سينما .. قاللى .. وسألنى ايه الانلام اللي بتحبوها ..
- شفت البنت أم صدر كبير ...
- لا ، لكن شفت شويه رجلين ونخاد .. يايوى .. مش معقولين .. ولا سلامسل الذهب .. الشعور .. الشعور .. متفكر نديش ..
- كل الناس تقف انتباه .. تحية للكانت رويال ...
- اتلعب صح .. قال بارول عليه .. البيه قال غلبه سجائر والبيه اللانى رفعهم لخدس عاب .. راج ضارب عشر نادب .. اغتروا بييلف .. دخلوا معاه .. والله ..
- كان معاهم ايه ...
- غول رواه .. وثلاثة آرس ...
- الغدا يا حضرات النهارده بولوبيف ...
- دى لحمه خنزير .. والله اوغوا يا حضرات تكلوها ..
- هاتوا لى أنا لحمه الخنزير .. اوغوا يا حضرات تكلوها .. هاتوها لى أنا ..
- يا ناس والله دى لحمه بقرى ..
- الشيخ محمد اكل منها ...
- الشيخ محمد ياكل الدردي .. انت مش فاكركه اما شرب برله وقعد يصوت ويقول ويسكى .. ويسكى ...
- أنا رحت بنفسى المطبخ وسالت قالوا اللحمه بقرى مش خنزير .. واليهود على كل حال مديكلوش خنزير ...
- انت عارف ان فيه ترفيه جه من تونس ...
- مش معقول ايه .. ؟؟
- مربي .. وبسكويت .. وامواس حلقة ...
- بيشمتوا فينا ..
- والله بورقيب راجل .. هو اول واحد قال نلها شويه ..
- يا اخي بدل ما تتشتم اشكر .. انت ايه .. ؟؟
- انت امبارح .. وانت نايم كنت بتحلم بايه .. ؟؟

- لييه ٦٠: ٩٩

- كنت بتصوت وتقول ابني ٠٠ ابني ٠٠

- حملت انه بيسقط من البلكونة ٠٠٠

- انا حوديك لواحد في المعسكر هنا يريقك ٠٠ بتضحك والله حقيقى

٠٠٠ يقرأ لك شوية قرآن قبل النوم ٠٠٠

- لا ابدأ أنا رحت للدكتور وسالته ٠٠ ادانى « برت رائكيل » اخذتهم

قبل النوم ولا ورد ٠٠ ولا عفاريت ٠٠ يا راجل اتعدنوا بى ٠٠

- ايه رايك انا مش عاجبتى الطريقة اللى بنعشس بيها ٠٠ عايزين

نجدد ٠٠

- وايه تصورك للتجديد ٠٠٠

ايه رايك نمعمل محاضرات تثقيفية بدل البوكر والخبيبة اللى احنا

عايشين فيها ١٠٠٠

- موافق ٠٠ لكن ايه المواضيع الممكن الكلام فيها ٠٠٠

- الرسم - المسرح - السينما - علم النفس - التطور - القضية

العربية ٠٠

- شوفنا لنا كام واحد كده ونقدم انا شخصيا موافق ٠٠٠

- ايه رايك ٠٠٠

- انا شخصيا لى رأى في القضية العربية بلاش الكلام فيها لحسن

كل حاجة بتوصل ٠٠

- يا اخى في مواجهة الحرب النفسية دى لازم تعمل حرب مضادة ٠٠

- ربنا يفوت الايام دى على خير ٠٠ وعندما نصل بيتنا سينتهى

كل شيء ٠٠ عموما مليش دموع باى حاجة ٠٠ لكن الرسم والمسرح

٠٠ الجنس موافق ٠٠٠ بالناسبة شفت مجلة البلاى بوى ٠٠

- لا ٠٠ تلاقىها حلوه ٠

- تجنن ٠٠ يا اخى ببجيبوا النسوان دى منين مش الغفر اللى في مصر ٠٠

- احنا حتى مش لاقين لاقين الغفر دول ٠٠٠

- لا انا عندي ماتش تمسيل ٠٠ نحس البيجاما والكام غيار والاوفرول

- عندك شويه اومو ٠٠٠

- آه بعثوا لى من مصر رابسو ٠٠ وتايد ٠٠٠

- بيوفر كثير في الغسيل ٠٠٠
- أنا بنتع الهدوم في الميه والرابسو يوم ٠٠ ثم أضع الصفيحة تحت الدس ساعة اثنين ٠٠ وانشرين الهدوم على السلك لغاية م تنشف
- لا مينفعش لازم تدعكها ٠٠
- ياعم عنها مندعكت المهم تكون ريحتها كويسة وخلص احنا حنتجوز
- النهارده سينما ٠٠ وقفل الابواب متأخر بعد السينما ٠ احجز لنا بيطانيتك ٠٠
- آيه الفيلم ٠٠ بيقولوا كيلوباترا ٠٠٠
- ميت مره كيلوباترا ويجيبوا افلام اخرى ٠٠ اشاعات ٠٠
- ونحضر الفيلم ٠٠ فيلم فرنسى جنسى جدا ٠٠ عن سيرك انقى تغري رجلا لمزاولة الجنس ثم تهرب مع رجل اخر ويضطرون لقضاء ليلتهم في كشك بالجبل يشغلون الدفاية ٠٠ ويزاولون الحب مرات عديدة بتفاصيل كثيرة ٠٠
- وينتهى الفيلم ٠٠
- آيه رايك ٠٠ اما حته فيلم ٠٠
- يابوى على النسوان ٠٠ والقبلاط والحب ٠٠٠
- والموسيقى والرقص ٠٠٠
- الناس دى اكيد عايزه تجنبا ٠٠ الفيلم مستحيل يتعرض عندنا بالشكل ده واحنا مطلوقين ٠٠ يقوموا يعرضوه والواحد آخر دل
- حتى الواحد مش لاقى مكان يدارى فيه حاجة تكسف ٠
- ياواد ياشقى ٠٠ كل واحد يا ساده يحاسب على نفسه مقى ٠٠
- مساء الخير ٠٠ احاذ ٠٠ اشنين ٠٠ ثالث ٠٠ تصبنحوا على خيره
- عندنا اليوم الصبان سيقنى يا حضرات يدلا من محمود لان في الاوده ٨ برتيقة بوكر سيحضرها ٠٠٠
- معزمتش ليه ايمن بيطبل كويس ٠٠٠
- انت صاحبه معزمتوهش ليه ٠٠٠
- الصلاة يا حضرات ٠٠ حى على الصلاة ٠٠ حى على الفلاح ٠٠
- الله اكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠
- انت م بتصليش ليه ٠٠
- نفسى والله ٠٠ لكن حاسن انى بصحك على ربنا ٠٠٠
- العدد اللى بيصلى كبير ٠٠ لم يبق الا انا وانت والرائد توفيق ٠٠

- عُلشان مسيحي ٥٠٠
- عارف ٥٠ لكن بيصلي يوم الاحد ٥٠ القسيس بيجي لهم ويصلوا ٥٠
- مشتاق يا احباب مشتاق ٥٠. وتعبت من الاشواق ٥٠ صمت شميدى
- وشيرود
- دياما زقزق الامرى على ورق الليمون ٥٠ نصفيق على الواحدة ٥٠
- حبيب قلبى واعذنى ٥٠٠
- فى الحجيره ٢٠ عملوا مسرح عرايس عابزين نعزمهم يوم يعملوه لنا ٥٠
- مين اللى اخذ بولة الطاولة ٥٠٠
- فاضل نور بين محمود ومجدى ٥٠٠
- معاك سيجارة نضيفه ٥٠٠
- انت قريت الجواب ده ميت مرة ٥٠٠
- يا جماعة الساعة بقت ثلاثة عابزين تنام ٥٠٠
- م تنام حد مسكك ٥٠
- للنور ٥٠٠
- كل واحد حر ٥٠٠ يعنى لو كان اليهود اللى بيقولوا تنام والنور
- مفتوح تنام ٥٠
- لازم كل واحد يحترم الاخرين ٥٠
- قوللى من فضلك مين يستحق الاحترام فيكم ٥٠٠
- حكسر اللبنة ٥٠٠
- اكسرها وانا اكسر رشتك ٥٠
- انت اخلاقك حقيرة ٥٠٠
- انت فاكر نفسك بنى آدم ٥٠. الخلورنك منك بقرش ٥٠٠
- وانت اذا م سكتش حقوم اضربك ٥٠٠
- يا جماعة صلوا على النبى ٥٠٠
- لا ٥٠ دى عيشة تزهد انا جعزل من الاوده دى بكره ٥٠ مليش قعاد
- معاكم ٥٠ كل يوم سهر للساعة ثلاثة ٥٠ واربعه ٥٠ لا ياحضرات
- ٥٠ واذا الواحد اتكلم بيتشتم ٥٠ لا يا حضرات ٥٠ دى مش عيشة
- ٥٠ الواحد بيقاسى من المصريين اكثر من اليهود ٥٠ لا يا حضرات
- ٥٠ دى مش عيشة ٥٠ لهم حق يظلبونا ٥٠٠
- اتكلم واسكتت ٥٠
- حاضر حتكلم انتم ايه مش مصريين ٥٠ فراغنا ٥٠٠

ان الاسرائيليين لا يملون الدعاية .. و حربهم النفسية مستمرة ..
قبل الحرب .. و اثناء الحرب .. و اثناء الاسر .. و بعد الاسر ستستمر
ايضا دعايتهم و حربهم و تاثيرهم وهم لهذا يبذلون جهدا كبيرا .. و تخطيطا
علميا حقيقيا للوصول الى اهدافهم .. و هي ترسيخ بعض المفاهيم في عقولنا
عن ضعفنا و تفككتنا .. و قوتهم و سيطرتهم و عظمتهم .. و بالتالي عدم قدرتنا
على مناظحتهم و الصمود امامهم و ما تبقى ان نستسلم تماما لما يريدون .
فقبل الحرب لم تمل اذاعتهم ابدا عن الدعاية .. بل استغلوا ان حالتنا
تستوجب البعد عن اهلينا دائما .. فاغرقوا اذاعتهم باغانى التشويق
للحباء البعد .. و كان لهذا تاثير بالتاكيد بطيء ولكنه فى النهاية
مثمر .. و اثناء الحرب استغلوا التدهور و التفكك الذى حدث للجيش المصرى
احسن استغلال .. و قد كنت اعجب للنداءات التى كانوا يذيعونها و اعجب
لسعة خيالهم كما و اينا قبلا ولكنى فهمت ما معنى ذلك عندما رايتهم
يجمعوننا من الصحراء كسمان وقع فى اقرب شبكة منصوبة له على شاطئ
البحر بعد رحلة طويلة مرهقة .. و فى بداية الاسر كانت دعايتهم مركزة على
اسقاطنا من الداخل .. على كسر انسانيتنا جماعيا .. على تكثيف
الاحساس باننا نعيش فى غابة .. و كيف تزيد التنازع و الضغائن بيننا ..
يل و بالعكس كيف كنا نشعر بانسانيتنا اثناء الاستجواب .. ومع العدو
ذقت و كيف توصلنا الى نتيجة خطيرة جدا و هى اننى كمصرى بين المصريين
محتقر و ذليل و كائنسان فرد امام مستجوب شخص يستحق الاحترام
حتى من عدوه .. و كيف توصلنا ايضا الى نتيجة خطيرة ان سبب نلى
هو مصريتى و هو انضمامى لجيش مصر .. و اسرى مصر .. و كيف توصلنا
فى النهاية للتبرأ من مصريتنا .. و عضويتنا بجيشها و انضمامنا لجماعاته
.. ثم و بعد ذلك محاولتهم لبث فكرة انهم لا يحملون لنا اى ضغينة وهم
المظلومون المدافعون عن انفسهم ضد طغيان حكامنا العرب الذين تدفعهم
تطاعتهم الشخصية .. و رغبتهم فى مجد شخصى للتضحية بنا .. و كانت
وسائلهم لذلك متعددة .. حبس الاخبار عنا و تركنا عميانا فى بلد من البصريين
.. ثم السفاح لنا بالاخبار المسيطر عليها بطرق مختلفة .. و كيف كانوا
يقبلون اوجاعنا كلما هدلنا ببيان او فيلم او محاضرة او اشاعة او استجواب
او كتاب او اغنية او قطعة موسيقى ..

ثم كيف استغلوا الحرمان و ربط للسيجارة النظيفة و القهوة و الشاى
و المرطبات بالاستجواب .. و تحويله الى قضاء وقت سعيد بدلا من الحرب

منه .. كذلك استغلوا الجنس الاذرع المارية .. الأرجل المارية ..
الصدور المارية .. الجالسة في الطريق للاستجواب .. الذاهبة للمطعم
والتكلمة في الميكرفون .. ثم كيف زادوا انفعالنا الجنسي عن طريق
المجلة .. والفيلم .. والزيارة .. وهكذا استعمل اليهود كل شيء ..
الخطابات .. الاكل .. النوم .. المرحاض .. الترفيه للوصول بنا الى
هذا الشكل ..

كنا كفتران التجارب في معمل أبحاث .. يضمهم الباحثون في الظروف
والاماكن ويعالجونهم بالشكل المطلوب لباحثهم ليطوروا عليهم تجاربهم ثم
يعيدوهم بعد أخذ النتائج ..

ولقد أجرى علينا الاسرائيليون تجارب عديدة نفسية وجمانية وعلمية
 واجتماعية .. ودونوا نتائجهم وطبقوها ثانية علينا .. من هذا المفهوم
.. نستطيع ان نقول ان معظم تصرفاتنا وحياتنا في معسكر عتليت كانت
انعكاسا للتجارب التي يجريها باحثو اسرائيل ..

تجمعنا في يوم امام السور الامامي للمعسكر في انتظار نشرة الاخبار
 وكان الاسرائيليون في حالة ارتباك شديد .. وفي الموعد لم تذع النشرة ..

— ماذا ؟؟

— النور مقطوع عن المعسكر ..

— لا بد وأن شيئاً ما قد حدث ..

— لا أعرف ..

ثم انتشر الخبر بعد ذلك .. انتشر من معسكرات الجنود .. لقد غرقت
مدمرة اسرائيلية دمرتها لهم البحرية المصرية ..

— كيف غرقت الجنود ؟؟

— وهل يخفى عليهم شيء ..

— حتى هنا ؟؟

— مش معقول .. لقد انتهت الحرب ..

— وما الذي يمنع ..

— حقا .. كيف غرقت الجنود ؟؟

— لا أعرف الا انهم أرسلوا لنا ورقة بالخبر ..

وفي اليوم التالي تجمعنا ثانية للاستماع لنشرة الاخبار ..

حرائق في مستودعات البترول بالزيتية ..

الحرائق تشاهد على بعد ٢٠ كيلو متر ٠٠
الدخان الاسود يغطى مدينة السويس ٠٠
مستحيل السيطرة على الحرائق ٠٠
ضجة في العالم نتيجة لغرق المدمرة الاسرائيلية ايلات ٠٠
هيه ٠٠ هيه ٠٠ (صيحات فرح للمصريين) ٠٠٠
الجنود الاسرائيليون يصوبون رشاشاتهم لنا ٠٠
اسكت خليفنا نسمع الباقي ٠٠٠
ضرب مستودعات البترول في الزيتية رد عملي على اصابة
المدمرة ايلات ٠

الجنيون يهاجرون من مدن القناة ٠٠ الاقتصاد المصرى ينهار ٠٠
ودارت المناقشات حول هذا الموضوع ٠٠٠

- ضربة معلم **شنت**
- والله خبر جميل جدا ٠٠ لكن كيف عرف الجنود ٠٠٠
- هيه المدمرة يبقى فيها كام ٠٠٠
- حوالى الف **شنت**
- بلاش هباله ٠٠٠ الف ايه لا يزيد عن ميتين ٠٠٠
- طظ في الزيتية ٠٠٠
- لكن هم مجانين يسيبوا بترول في مستودعات على مرمى بنادق
الحدو مش مدقميته ٠٠
- كله بثمنه ٠٠ يعنى ميضربوش ايلات لغايه م يفضوا المستودعات ٠٠
- الواحد اترد له ثقته بنفسه ٠٠
- عقبال سينا **شنت**

كان هذا الخبر ايدانا بمرحلة جديدة في حياتنا ٠٠ فلاول مره نشعر
ان العالم خارجنا تحدث فيه احداث مخالفة لما نسمعه عن أن الكباريات
في القاهرة مفتوحة وأن المواطنين يتنزهون على الكورنيش وأن الاقتصاد
المصرى فى انهيار وأن هناك انقلابات وانتخارات وانهم لا يريدوننا
كى لا نشير البلبلة ٠٠٠ الخ ٠٠٠

وصاحب هذا انفجارات متتالية فى معسكرات الجنود ٠٠ واضراب
عن الطعام وانتقلت الاضرابات الى معسكرات الضباط ٠٠ وقامت أكثر من
مركبة بين الجنود المسلحين بالطوب وقطع القماش الجبل بالاسولار

والحترقة ٠٠ وبين الاسرائيليين المسلحين بالرشاشات وهاجم الجنود
برج حراسة واستولوا على رشاش ٠٠ واستدعى احتياطيات جديدة للسيطرة
على المسكر ثم اعدوا دراسة نظام الحراسة بالمسكر واحضروا اللواء
الجيولاني ليشاركنا في معسكرنا ٠٠ وسارت طوابيره ليلا ونهارا تستعرض
خطوتها وتغنى اغاني بالعبرية على الحان موسيقى غربية وزادت ورديات
الحراسة الراكبة عربات جيب المصطحية للكلاب وشاهدنا محاولتين
للهرب مسانجتين ٠٠ احدهما كان ضابطان صغيران وقعا عند اول
منعطف خارج المسكر عندما تخبت معهم احد الجنود الاسرائيليين فلم يستطيعا
الاجابة الا بكلمة « شالوم » وهي الكلمة الوحيدة العبرية التي يعرفانها ٠٠
واضطر اليهود لاصطحاب اللواء ياقوت والرائد صفوت للسيطرة على
الجنود فلقد منع الجنود المصريون الاسرائيليين من اخذ التمام ٠٠ ولقد عاد
لنا الرائد صفوت بصورة لما يحدث في معسكرات الجنود ٠٠ فهناك نظام
الحكم مختلفا لقد استقر بشكل قبلي ٠٠ فافراد المحافظات المختلفة تجمعوا
في وحدات صغيرة ٠٠ والمحافظة التي لها رجال أكثر تحكمت وفرضت
سلطتها على الاخرين ٠٠ وهكذا وفي ظل الحكم القبلي اوقف الجندي ذو
العصبية الكبيرة الصف ضباط في الصف بغض النظر عن رتبتهما وساعدا
على ذلك أن عدا كبيرا منهم كان من الجنود الاحتياط أو المستدعين قبل الحرب
مباشرة ٠٠ ثم برزت بعد ذلك اللقيادات الحقيقية التي استطاعت تنظيم
الحياة في المسكر وقيادة الاضرابات وقيادة المعارك المختلفة ٠٠ ووصفهم
بأنهم رجال في منتهى الصلابة والجدة ٠٠٠٠

كنا نجلس صامتين ٠٠ نستمع الى اعلان حلول شهر رمضان من
الميكروفون المعلق بالمسكر ٠٠ ثم صوت المذيع وهو يهتفنا بهذه المناسبة
الدينية ثم القرآن المذادع بعد ذلك وانفجر الرائد عادل في البكاء
والتشنج ٠٠ منذكرا زوجته وأولاده ٠٠ وحسرتهم وهم يحتفلون برمضان
دون عائلهم ٠٠ وتعمم آخر ٠٠ اول مرة أغيب عنهم في مثل هذا الشهر
واندفع آخران لجددة الرائد عادل الغشى عليه ٠٠ ثم انفجرا في البكاء مع
الكلمات الحزينة التي يقولها خلال بكائه ٠٠ وتنبهنا على صوت أحدهم يقول
« وحدوه ٠٠ يكره نرجع ونعوض اللي فات » ٠٠٠٠ جلست ساهما أفكر تترى
كيف ستحتفل بلدنا برمضان ٠٠ بعد هذه المهزيمة النكراء ٠٠ ترى ٠٠ هل
ستضام الانوار ٠٠ وهل ستباعد الكنافة والكسرات ٠٠ وهل ستستمر
السهرات للفجر في الحسين ٠٠٠٠ !! - وهل سيقول بعضهم لبعض كل سنة

وأنت طيب .. ؟؟ ترى كيف تعيشين يا بلدنا ، جفف البكاؤن دموعهم ..
وجلسنا نحكي نكرياتنا .. أيام طفولتنا .. وأيام صبانا .. وأيام
شبابنا .. المكبرات .. قصر الدين .. الفوانيس الملوثة .. الاغاني
القديمة .. جو ورائحة ليالى الف ليلة وليلة .. حضر الحراس وفتحوا
لنا الابواب مهئين برمضان .. فالنظام الجديد للمعسكر أن تفلق الابواب في
الساعة الثامنة .. وتفتح في الثانية عشر لقد تقلصت ساعات الحبس الى
أربع ساعات يوميا .. وسمح بإذاعة الاغاني والقرآن ليلا .. وساد
المعسكر شكل جديد من أجل رمضان ..

في الصباح انتشر خبر قدوم اللواء الكاهن الاسرائيلي .. ليقابل مندوبى
الاسرى ويرتب معهم الترتيبات المعيشية خلال شهر الصيام ..

وبعد الظهر عرفنا أنهم قرروا أن يصنوا ويزيدوا كمية طعامنا ويعدلوا
مواعيده بما يناسب الشهر الجديد وأنهم قرروا أن يصرفوا لنا (لبن
زبادى) .. ومكبرات وفراخ على الافطار .. ومايلنا في البداية موضوع
صرف الفراخ باستغراب ثم ابتدأت بعد مدة مناقشة الموضوع تارة
باستهزاء .. وأخرى بشهوة وامتدت المناقشة بين هل صحيح ان اليهود
سيطعموننا فراخا وزبادى ومكبرات أم لا ..

وإذا كان فما مقدار الفراخ ياترى التى سياكلها كل منا .. وكم مرة
في هذا الشهر ..

وكان من قبل قد حضر لزيارتنا اللواء اسحق رابين رئيس اركان
الجيش الاسرائيلي مر علينا في حجراتنا وشاهد أماكن نومنا .. وعندما وجد
عنهنا كتابا مؤلف هدى عن (عبد الناصر مصر) سألنا ترى لو كان اسرانا
عندكم هل كنتم ستعطونهم كتبنا عن ليفى اشكول أو بن جوريون ..
ويومها قلنا له سنجعلهم ينامون فوق أسرة بدلا من النوم على الارض ..
ووعد بان يأمر باحضار أسرة لنا .. وأعطونا كمية من البرفوق كهدية
لزيارته ..

وفعلا أحضروا لنا أسرة قرب بداية رمضان ..

أصبح الجو أكثر برودة .. المطر الغزير يهطل .. أحضروا لكل منا ٤
بطانيات بدلا من البطاطين السابقة .. وأكثر نظافة وجدة .. وأحضروا لنا
بعض الملابس الصوفية القديمة .. بدل كاكى صوفية من النوع الذى نسميه
« باتل درس » .. وسمحوا لنا بطرود جديدة من مصر .. تحمل ملابس

صوفية وبيجامات صوفية وكستور .. وادخل للخمامات نظام المياه الساخنة والباردة .. ثم احضروا لنا بعض الحلوى وقالوا هدية من نجمة داوود (مثل الهلال والصليب الاحمر) وبعض اللب والسودانى والحمص وقالوا هدية من الشعب الاسرائيلى ..

ثم تلت زيارة اسحق رابين .. زيارة للقادة الاسرائيليين .. الجنرال اهرن مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية .. والجنرال موزخاي هود قائد الطيران ومدير الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية .. واعضاء من الكنيست الاسرائيلى ومن الحزب الحاكم .. وزادت حفلات السينما .. وتحسنت نوعيتها .. بعضها عن السيرك .. واخرى عن حياة مغنى الاوبرا كروزو وكان فيلما جيدا وبعضها افلام هندية ولكن ما يستحق الاهتمام منها حقا فيلمان او ثلاثة اسرائيلية ناطقة باللغة العبرية .. وكان الجنود الاسرائيليون يترجمون لنا الحوار وان لم يكن في حاجة للترجمة الفيلم الاول تدور أحداثه في المانيا اثناء حكم النازى .. وخلال مطاردة الجستابو لليهود اختتمت عائلتان في خجرة سرية هربا من الاعتقالات وفي انتظار تهريبهما للخارج .. في العائلتين شاب وشابة .. في سن الحب .. في سن التفتح .. كان لابد ان تنشأ بينهما علاقة عاطفية .. ولكن في مثل هذه الظروف .. وتحت انظار الاباء والامهات والمعلمات والجدود تتحول هذه العلاقة الى عذاب .. الانظاسار تخيطهما .. وتفهم سرهما .. ولا يستطيعون مساعدتهما الشابان يحاولان ان يختليا ببعضهما في ركن ولكنهما يخجلان من اهلهم وهم لا يشعرون بانهم يفهمونها ويعطفان عليهما .. الاعصاب تتوتر مع كل طارق .. الاعصاب تتوتر من الحبس .. والرعب من الموت .. عمة عانس تنلعل .. يا للقسوة .. حق الحياة الطبيعية محرومان منه .. في نهاية الفيلم ومع اصوات ابواق عربات الجستابو القادمة للقبض عليهم تندفع الفتاة الى حضان فتاها ويغيبان في قبة طويلة .. ثم يصلحان ملابسهما ويسيران مع باقى عائلتيهما الى قدرهم .. وهو فيلم جيد كقصة وتصويرا واخراجا وتمثيلا .. يستطيع فعلا وفي الظروف الطبيعية ان يسرق منك الخب والمطف على اليهود .. والصهيونية .. ثم يصل بك للنقطة الحاسمة وهو حقهم في ان يكون لهم وطن يمرحون فيه ويحبون ويزاولون حياتهم من خلال حوار غير واضح وغير ظاهر في الفيلم ولكن تأثيره علينا كان تعليقا ظريفا من احد الزملاء اذ قال : الله يخرب بيته هتلر ..

لانه لم يقض على اليهود ويريحنا منهم .. فيلم آخر .. أم يهودية .. ضمن عائلة كلاسيكية تعيش في فرنسا .. الاب يقرأ والام تشتغل التريكو والطفلة تعزف على البيانو والطفل يستذكر دروسه .. الاضائة خافتة نظرا لتيود الاضائة اثناء الحرب العالمية الثانية .. ثم صوت صفارات الانذار .. وتحدث غارة .. ويسقط المنزل وتموت تحت الانقاض الابنة .. ثم يدخل النازي المدينة ويقبضون على الاب .. وتهرب الام .. ويشاهد الطفل اعدام النازي لمجموعة من رجال المدينة ومنهم أبوه .. الابن يهرب عن النازي وهم يطاردون جميع أهل المدينة يأكل من صندوق الزبالة مثل القطة والكلاب الضالة .. الام تنضم الى ملجأ لتربية أطفال اليهود في جانب من الارض غير المحتلة أطفال كثيرون .. الام تبحث عن ابنها .. والابن مشرد ثم تقوى أحداث الفيلم حتى دخول الامريكيين فرنسا .. ويتعلق أحد جنودهم بالطفل .. ويعلمه الانجليزية ويحاول تبنيه .. والام تجد سلوكها في حب الاطفال بدلا من ابنها .. والاطفال يبجلونها حبا بحب .. وزميلاتها في الملجأ يعطفن عليها ويحاولن البحث لها عن ابنها .. الجندي الامريكي يقرر أمرا بعد ما جاءته الاوامر بالتحرك سيرسل الطفل الى الملجأ .. وفي نفس الوقت تقرر الام أمرا ستبحث عن طفلها .. الام تتجه الى محطة السكة الحديدية بعد حفلة وداع صغيرة يقيمها لها الاطفال .. في المحطة تجد فوجا من الاطفال ذاهبا الى الملجأ .. تبكي من اجلهم تحن لهم تقرر الا تسافر وتهيب حياتها للاطفال من أجل ابنها .. ترجع معهم تداعبهم وهم يغنون تضع يدها على رأس احدهم ينظر لها تنظر له .. انه ابنها ضمن هذا الفوج .. وبين القبلات والدموع يكتسب اليهود عطف العالم وتكتسب اسرائيل ملايين من الدولارات التي تحولها الى أسلحة تشرذ بها أطفال العرب ..

هذه امثلة لافلام شامدناما في هذه الفترة محاولة لكسب عطف اسرى حرب لا حول لهم ولا قوة على القضية اليهودية .. ومحاولة لترسيخ مفهوم ان اليهود مظلومون وانه من العدالة ثيام وطن لهم ناسين ان لنا أطفالا نبحث عنهم .. بين اللاجئين والمشردين في فلسطين وسوريا والارون ومصر ..

وفي الليالي التي خلقت من الافلام كانت هناك المحاضرات .. محاضرم عن الديمقراطية في اسرائيل ابتداء المحاضر حديثه بأن اسرائيل هي البلد

الديمقراطى الاول فى العالم . فتعدد الاحزاب وتنوعها من أقصى اليمين اليميني
الرجعى المتوسطى . . الى أقصى اليسار الشيوعى الصينى أو السوفيتى . .
وما بين هذين الطرفين أحزاب تتفاوت درجة يمينيتها أو يساريتها . .
جعلها قمة الديمقراطية . . وهو الشيء غير المتوفر فى دول العالم اجمع
حتى إنجلترا أو أمريكا . . الفرد فى إسرائيل يستطيع أن يقول أى شيء
فى أى مكان وبأى صورة ومسموح بذلك عدا العنف فى فرض الراى

هامش (ان هذه الاحزاب فريدة فى نوعها اذ هى قد نشأت قبل قيام
إسرائيل وفى ظل مجتمعات غربية فى أوروبا الشرقية وبولونيا وروسيا
القيصرية على وجه التحديد .

أغلب هذه الاحزاب بدأت أحزابا طائفية متعصبة ولقد شجعتها حركة
الصهيونية العالمية أنها ليست احزابا على الطريقتة الأوروبية رغم انها
أوروبية المنشأة فى الغالب فهى تقوم بنشاطات متعددة فى حقول مختلفة
من الاقتصاد الى الخدمة الاجتماعية والضمان الصحى والثقافى والانباء
والمصارف والمسارح والجراند والنوادي وليس بمستغرب ان تشكل « دولة
داخل دولة » رغم تعدها وشدة صراعها العقائدى وحدّة التنافس والتناحر
الا أنها بمثابة تنوعات مختلفة على الموضوع الاساسى الواحد الصهيونية
ومخططها العوانى فى جميع شمل يهود العالم تحت ظل دولة إسرائيل . . .
هذه الاحزاب تعكس المذاهب السائدة فى القرن التاسع عشر . العلمانية
والاشتراكية والمليبرالية والقومية المتطرفة وتنافسها ليس عقائديا
أو ابيولوجيا بقدر ما هو من قبيل السعى وراء المصالح الخاصة والمنافع
الاقتصادية أو الحصول على أكبر جزء من الميزانية .

بعضها تحول الى تروستات اقتصادية هذه الاحزاب تقوم على مركزية
القيادة حيث تنحصر السلطات الحزبية بايدى فئة قليلة من الزعماء أما باقى
الاعضاء فينضمون للحزب لكي يستطيعوا أن يجدوا عملا أو خدمات
أو تسهيلات والتي بدون ذلك لن يجدوها

(نظرة فى احزاب إسرائيل « أسعد مرزوق »)

لم يعارض مغامرة ٥ يونيو سوى عضوين شيوعيين فى الكنيست وباقى
الاحزاب أيدت الاعتداء على العرب . . أساس الدعاية الاسرائيلية فى
إسرائيل مركزة على اعتبار العرب مجموعة من المتوحشين الذين يريدون
الفتك بالاسرائيليين ولذلك يجب مقابلة القوة بالقوة والارهاب
بالارهاب

المحاضر الأخرى عن نشأة إسرائيل .. ومن خلال المحاضر نفهم أن أكثر من ٨٠٪ من مواطني إسرائيل ليسوا متدينين وأن نسبة ٣٠٪ من هؤلاء غير مؤمنين أساساً بل هم ملحدون أما الهدف من التجمع الصهيوني فهو تحقيق تقابل للروح اليهودية .. وهو نهاية العجز الايديولوجي الذي تقوم على أساسه دولة إسرائيل .. الروح اليهودية في مفهومهم هي أن اليهود خلال تاريخهم الطويل لا قوا من الاضطهاد والتشريد والمقسوة ما لم يلاقه غيرهم .. فهم من البداية مطرودون من مصر مستعبدون في العراق مضطهدون في الجزيرة العربية في صدر الاسلام ومع بداية الدعوة من النبي محمد بالذات .. ثم وفي العصر الحديث واقعون تحت اضطهاد القياصرة الروس والفاشية واعداء السامية في أوروبا وحالياً مندوبون من ١٠٠ مليون عربي يحطونهم بالكراهية ولقد نجوا من اعداءهم العديدين ثلاث مرات خلال عشرين عاماً .. والسبب في هذا (هو الروح اليهودية والتضامن اليهودي النابع من التوراة .. التي ما هي الا تاريخ الاعداء وصاياهم) والروح اليهودية تصل الى أقصى حالتها في المساعدات التي يقدمها لنا اخواننا يهود العالم جزءاً من حقنا في أموالهم .. ويسكب المحاضر الأعمى يستجدون حتى أسراهم .. اننا في ايديهم يفعلون بنا ما يشاءون فلا يجدون طريقة لاقناعنا الا بواسطة محاضر أعمى يبكي لنا .

ولكن النقطة الهامة في هذه المحاضرة هي كيف استطاع اليهود المتفرقون القادمون من جميع أنحاء العالم أن يكونوا وحدة متجانسة تشكل شعب إسرائيل ..

ويعترف المحاضر .. أنه لولا اعداء الدول العربية لهم لما استطاعوا ان يحققوا هذه الوحدة فاليهود العرب الشرقيون (مراكشي .. جزائري .. عراقي .. مصري .. يمني) واليهود الغربيون واليهود الروس واليهود الامريكان .. بتباينهم واختلاف فكرهم ولغاتهم وأشكالهم وطرق حياتهم لم يوحد بينهم الا اعداء العرب لهم .. وبالتالي الدفاع عن النفس .. وكانت كلما ظهرت التناقضات قتلوها باسم العدو الرابض على الحدود .. معنى هذا أنه لولا خوف اليهود المشترك من العرب لانفجرت إسرائيل من داخلها .. ولكن هل مجرد الخوف هو الذي اذاب الفوارق وحافظ على الكيان الاسرائيلي يقول المحاضر أنهم قد كونوا معسكرات تستقبل اليهود الجدد المهاجرين .. تعلمهم اللغة العبرية وتدرس لهم الايديولوجية الاسرائيلية .. ثم تحكي

لهم كيف يعانون في سبيل التقدم والحضنة :١٠ وتطلب منهم المحافظة على المكاسب واكمال النضال من أجل الدماء المهدرة على مر التاريخ . ومن خلال هذه التربية تستطيع اسرائيل تجنيد ١٠٪ من سكانها (وهي نسبة عالية جدا اذا عرفنا أننا نجد ١٪ من سكاننا) ٠٠ ومن خلال هذه التربية تدفعهم للعمل في مستعمراتها الجماعية العسكرية على الحدود وفي الاماكن الصعبة ٠٠٠ ويستطرد المحاضر ٠٠٠

ان الانانيكم ودعايتكم كانت تحمسننا أكثر منكم ٠٠ فيكفي أن نستمتع لمن يقول سنرميكم في البحر ٠٠ اضرب ٠٠ اقتل ٠٠ اقتل ٠٠ اذبح ٠٠ . بالنسبة لك كلام اما بالنسبة لي خوف ورعب وحرب وانتصار وموت وتعذيب ثم حماس ٠٠ وهناك نقطة أخرى طرحها المحاضر وتستحق الاهتمام وهي كيف استطاع اليهود بناء اقتصادهم :١٠ ويركز المحاضر صراحة بأن أغلبية يهود العالم تجار ٠٠ وأن الانتاج يحتاج للزراع والصانع وهي مهام لا يتقنها اليهودي وحل هذه العقبة اشترت الوكالة الصهيونية اراضي في فلسطين وحولتها الى مستعمرات زراعية يعمل بها اليهود في زراعة جماعية ٠٠ ثم حولت جميع المعونات التي تتلقاها من دول العالم الى مصانع ومعامل ومشروعات اقتصادية وبذلك استطاعت تحويل ما تنتجته الى انتاج وفي هذا المعنى قال المحاضر ٠٠ وبعد عشرين سنة من العمل والانشاء وبعد ما ابتدأنا نأخذ ناتج هذا العمل ٠٠ تريدون أن تحرمونا منه ٠٠٠

حقا :١٠ بعد هذا المجهود هل نريد أن نحرمهم منه :١٠ وبالتالي هل سيستسلمون بسهولة ٠٠٠ اا سؤال لابد سيضغط على عقولنا بعد هذه المحاضرة :١٠

والنظرة الأولى ونتيجة لظروفنا يمكن أن تجعلنا نقول ٠٠ لا ١٠٠ حرام :١٠ لابد من الصلح والاتفاق ولكن النظرة التالية ستجعلنا نفكر في هذه الدول التي تقدم لنا قمحا وعربات واجهزة تكييف هواء ولبن وجبن وادوات زينة وكلها مواد استهلاكية ٠٠ تنتهي باستعمالها مقابل يترولنا وقطننا ٠٠ وتقدم لاسرائيل المصانع والمعامل والخبرة وادوات الانتاج وكلها أدوات تنتج وترفع مستوى المعيشة حضاريا مقابل ٠٠ لا شيء ٠٠ هذا هو الفارق ٠٠ ماذا تقدم لنا امريكا القمح والجبين وتقدم لاسرائيل المفاعل الذري لتحويل المياه المالحة الى مياه صالحة للشرب ٩٩ هذا السؤال لابد من تفهمه جيدا واستيعابه ونحن نجيب على سؤالنا الاول هل بعد هذا المجهود نريد أن نخرجهم من ارضهم ٠٠ هكذا نصل الى منطلق آخر للقضية ٠٠ المفروض أن تصبح بلدنا مصدرا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنعة ٠٠ وان تصبح

اسرائيل قاعدة صناعية متقدمة اى نظل نحن متخلفين لما لا نهاية .. ونزداد
سرعة تقدمهم وفرصتها الى ما لا نهاية وفي ضوء الحياة والموت تصيبح
الاجابة على السؤال .. يجب اخراجهم .. او تحويلهم الى شكل مخالف
لهذا الشكل القاتل لنا فثقت

فلنجد لحاضرنا ..

لنجده يلقى ببذوره لتنمو .. او يؤكد نمو بذور اخرى .. ومن
أهمها ان اليهود أصبحوا شعبا له مقومات الشعب من لغة وأرض وحضارة
ودين .. وأن الدولة اليهودية في اسرائيل ذات تاريخ حضارى عريق وحاضر
حضارى متقدم وأن اقتصادهم أصبح اقتصادا يعتمد على مجهوداتهم
الصناعية والزراعية وميزانهم التجارى تخدّمه الزراعة والصناعة المصدرة
وليست المعونات .. فالمعونات تحولت الى مراكز الانتاج .. وأنهم لكى
يحققوا ذلك بذلوا مجهودا كبيرا .. ودما وعرقا واعصابا .. لا اول لها
ولا آخر وأنه بحرمانهم من نتاج عرقهم ومجهودهم بريرية ولا أنسانية ..
وبذلك تتحول حربنا الى تعصب وتدمير لدولة حضارية متقدمة تسنحق
كل احترام وتقدير لمجهوداتها الجبارة فى سبيل الحياة .. تسلسل منطقى
معتول جدا ولكن هل يقنعك .. !!

المحاضرة التالية كانت عن الكمبيوتر .. وفي هذه المحاضرة يحاول
بلورة وانماء البذور التى طرحتها الزيارات والاستجوابات .. من جهة ومن
الجهة الاخرى التشكيك فى اشتراكيتنا العربية بمقارنتها باشتراكية
الكمبيوتر .. والكمبيوتر هو مستعمرة زراعية صناعية لها حجم معين فقد تكون
كبيرة او متوسطة او صغيرة بين ٣٠ و ١٥٠٠ نسمة ولقد أنشئت لحماية
اليهود من العرب المغيرين عليهم فى بداية الهجرة الثانية هكذا يقول ولقد
اشترت الوكالة الصهيونية بعض الاراضى .. واستولت على اراضى اخرى
بعد ان تركها اصحابها العرب ورحلوا فأخذناها نحن وحولناها الى زراعة
متقدمة .. والحياة فى المستعمرة اختيارية ولكن يشترط فى بعض الاحيان
ان يقضى بعض المستوطنين الجدد مددا متفاوتة وفى هذا يقول بن جوريون
« لا بد وان يعانى المستوطن الجديد ما عاناه المواطن القديم فى الانشاء » وهذا
بالطبع ان لم يكن هذا المستوطن من الاغنياء او حاملى الشهادات والخبرة
التكنيكية .. او منضمنا لحزب من الاحزاب الكبيرة او الهستدروت ..
فالحياة هناك شيوعية كل الناس تعمل .. كل الناس تستفيد استفادة
متساوية .. وان اختلفت الاستفادة من كمبيوتر لآخر حسب درجة غنى هذا
الكمبيوتر .. وعموما لا جديد فى هذه المحاضرة عما عرفناه من قبل ..

في صباح أحد أيام الشهر انتشرت اشاعة بأن الفراخ في طريقها الى المطبخ واندفع الضباط الى الاسوار لنجد أكياس الفراخ الذميركي وهي تنزل من العربة الى المطبخ . ثم اندفع اخرون الى الرائد فريد . . . المكلف بالاشراف على التعيين يستحثونه لمعرفة الاخبار من المطبخ . . . وقف الرائد فريد بكرشه الخارج من بنطلون البيجاما ووجهة التركي الاخضر وعينية المتعبتين لصحوه فجأة من النوم يطلب مقابلة الشاويش امزراحي حكمدار المطبخ وحوله الضباط يتغامزون . . .

- أيوه ياعم الفراخ جت . . .
- بيومك . . . ده . . .
- أوعوا يحرقوها . . .
- أنا عايز نصيبي مسلوقة . . .
- وحياتك خليهم يحمرها قوى . . .
- أنا عايز فرختي كامله زى م . . . هي . . .
- يا ترى جيعملوا على الشوربة أيه . . .
- لو كان عندهم ملوخية ؟؟

وأخيرا سمح للرائد فريد بمقابلة الشاويش امزراحي . . . وبعد حوالي ربع ساعة رجع منكس الرأس . . . وتوالت التعليقات . . . لازم مش لنا الفراخ . . .

- يا ترى زعلان ليه . . . !!
- لازم أتخافق . . . !! وعندما يدخل من بوابة المعسكر التفت حوله الضباط ثم انتشرت اشاعة في المعسكر بأن الفرخة ستقسم على عشرة أفراد . . . ومع انتشار الاشاعة توافد الضباط الى حجرة الرائد فريد . . . غير مصدقين وللتأكد منه شخصيا . . . واجتمع كبار الضباط فوراً لمناقشة هذه المشكلة الهامة : -

قال أحدهم - يا حضرات هذه امانة لا تغتفر هل نحن شحاتون . . . الفرخة على عشرة . . . أنا رأيي ان نرفض اكل الفراخ . . . وصدق له الحاضرون وهتفوا . . . فلتسقط الفراخ الاسرائيلية . . . قام اخر خلال الهاتف . . . حاول ان يرفع صوته قائلاً . . .

اسمعوا من فضلکم . . . لو رفضنا الفراخ بماذا ستفطر . . . واحنا ناس صايقين . . . أنا من رأيي ان نطلب زيادة الكمية . . .

رد الاخرون . . . - مستحيل سيوفصون . . .
- نعمل مظاهرة . . . ونضرب عن الطعام . . .

- لسه قاتلين اثنين من كام يوم .. واحنا قربنا نروح بلدنا ..
- بلاش مشاكل ..
- تأكل الذى مع الفراخ .. وتتركها لتعفن فى حللها ..

وأخيرا تقرر أن يشكل وفد يطلب مقابلة قائد المعسكر للتشاور معه ليحفظ لنا كرامتنا .. وخرج الوفد .. ومن حوله الضباط يؤيدونهم .. ويرجون لهم التوفيق .. ووقف الضباط قريبين من الاسوار والبوابة منتظرين ما سيحدث .. وبعد نصف ساعة عادوا يسيرون بسرعة ونشاط .. ووقف الضباط عندما رفع أحد اعضاء الوفد كفه بعلامه V أى انتصرا .. وعندما فتحت البوابة حمل الضباط اعضاء الوفد على اكتافهم وذهبوا الى حجرة للرئاسة ليقف اقدم الضباط خطيبا ..

أولا : يا حضرات الفرخة مش على عشرة الفرخة على ثمانية ..

ثانيا : واضح ميتدروش يزدوا المدد أو يخيروه باللحمة لانه اتصرف وهم عندهم روتين زى عندنا بالضبط ..

ثالثا : هذا هو التعيين الذى يصرف للجندى الاسرائيلي العادى حسب قوائم التعيين وبالناسبة الفراخ كبيرة شوية ..

رابعا : وهو الاتفاق .. اتفقنا .. وسكت قليلا .. وتعلقت الاعين به لتعرف الحل رغم كل هذه الاعتراضات ثم اكمل .. ان نصف الناس تأكل اليوم .. والنصف الاخر يأكل فى وجبة الصرف القادمة .. وبهذا الشكل تصيح الفرخة على اربعة ..

كان لشهر رمضان طعم آخر فى الاسر .. فلقد كنا قد قاربنا الوصول الى الشكل المطلوب أن نكونه أى تم ينجح الانتقال بنا من مرحلة كسر الانسانية لمرحلة التشكيك فى انفسنا ومجتمعنا ثم انتقلنا الى مرحلة استقبال افكار جديدة وآراء جديدة .. ولم يبق الا مرحلة الصداقة أو الذكري الحسنة .. لذلك فلقد تحول المعسكر فعلا فى النهاية الى معسكر جواله أو اصطياف .. أسرة فنام عليها والحبس لا يزيد عن ساعات معدودة .. كنا نحشر فيها فى غرف بعينها عشرون أو ثلاثون اسيرا .. حول احدهم يبنى أو مسرحا للعراس .. أو مسرحية أو بارثيئه بوكسر أو نحوه .. أو حلقة نكر .. وتشتغل لفانات الخان .. وتحمر الاعين من السهر .. وترتفع الضحكات .. وفى بعض الاحيان - التشنجات والنهات ثم يوزع السحور كميات كبيرة وجيدة من الجبن والزيادى والمربى والعسل .. ونسهر حتى الفجر نتجول فى المعسكر نتكلم .. أو نجرى تحت زراز المطر الخفيف نلعب كالاطفال .. وتقام صلاة الفجر باحتفال يتضم أغلب مسلمي

العسكر وفي هذه الايام احضروا لنا منضدة للبنج بونج .. وشبكة فولى بول
وكرات فنتقام مباريات البنج بونج لليوم التالى .. لنفانم ساعات قليلة
نقوم منها للتلعب الجريديج والبوكر والفولى بول ونغسل ملابسنا .. ونقرأ
بعض القصص التى جاءتنا من مصر .. سواء فى طرود خاصة او عامة ..
ويقوم بعضنا للاستجواب الذى لم يعد يشد اهتمامنا كثيرا .. ثم نستمع
لمحاضرة او فيلم سينما او نحضر ندوة من الندوات ويتكرر اليوم .. الان
اتخيل انك تسالنى وماذا كنتم تقولون فى نجاتكم ؟؟
سأقص عليك منها .. فى احد هذه الندوات كان موضوع الحديث التطور ..

- هناك نظريتان يحكمان تفسير الحياة على الارض .. النظرية
الاولى تقول ان الحياة خلقت كما هى الجبال كما هى والبحار كما هى ..
والخلوقات كما هى .. لم يحدث عليها تغيير .. والنظرية الثانية تقول
بل الحياة متحركة متناغلة متطورة ولا وجود للثبات الجبال لم تكن بهذا
الشكل منذ مليون سنة ولن تصبح بهذا الشكل بعد مليون سنة اخرى
والبحار واليابسة والموجودات الحية على الارض لم تكن بهذا الشكل
ولن تكون فهى فى حالة تطور وحركة مستمرة على مر الزمن ..

- بالطبع النظرية الاولى هى السليمة .. فهذا يتفق مع الكتب
السماوية ..

- ولكن النظرية الثانية تتفق مع العلم .. وما دمننا نتكلم كلاما علميا
فلنترك جانبا الى حد ما الحياتات ونكلم حسب النظريات العلمية ..
- لا .. احنا مسلمين او مسيحيين ولنا دين ..

- يا اخى انت صابط مدفعية عندما تدرس رياضة او نظريات
الميكانيكا اتسأل الاول هل هذا يتفق مع الدين أم لا ؟؟

- الكلام ده تخريبي .. انت مخرب هل معنى ذلك أنك تكفر
بالاديان ..

- لم اقل هذا وانما قلت عندما تكون الكلمة للعلم فلنتفق على أن يكون
مخبر حديثنا ومرجعنا هو النظريات العلمية .. وتعالى الاصوات
تسكته ..

- لكن من اين جاءت الارض .. وما عليها ..
- يعنى انت عايز توصل ان الانسان كان قردا ..
كان هناك سديم .. انفجر ..
- وقبل هذا السديم ماذا كان ..

- وتبل وجود الله ماذا كان ؟؟ سنصل الى مجهولين .. وبالتالي
فعلينا ان نؤمن بالموجود ...

- طيب .. طيب انقل .. الارض موجودة حتى ظهر الانسان ...
- انا اصف يا جماعة بهذه الطريقة لا استطيع ان اكمل .. فلنكلم
في موضوع آخر ...

- هل تريد ان تحجر علينا نقول ما تريد ونحن نستمتع لك فقط ..
تعلم الديمقراطية ..

- الديمقراطية هي ان تتركني اقول وجهة نظري حتى النهاية .. ثم
تقول أنت وجهة نظرك أيضا حتى النهاية ... وعلى كل منا الا يتعصب
لرأية ويحاول ان يقتنع ..

- اكمل .. اكمل ... نحن نريد ان نسمع متى ظهر الانسان على
الارض ...

- ظهر الانسان في نهاية تطور طويل وصل الى ملايين السنين ..
فمنذ كانت الحياة نبضة صغيرة حتى أصبحت نبضات في الماء تنمو لتصبح
أخلايا قاصية .. وتطور الاميبا لتصبح جد الملكة الحيوانية وتثبت
أخريات على الشاطئ مكونة الملكة النباتية .. ثم تتطور الاميبا الحيوانية
الى اسماك كثيرة فحيوانات برمائية .. فزواحف فطيور فثدييات وتفرغ
من الثدييات عائلات كثيرة .. كثيرة .. حتى نجد القرد الانساني الاورانج
أوتان .. والغوربالا .. والجيبون .. والشمبانزى ومنه عائلتان أحدهما
تخط فتصبح قرود .. وعائلة أخرى تستعمل أصبعها الخامس فتمسك
بالادوات وتتنصب لتسير على رجلين فتكبر رأسها .. ويكبر عقلها فتزداد
التجاويف في مخها ويزداد بذلك عدد الخلايا المفكرة .. ويصبح بذلك القرد
الانساني .. انسانا ... بالعمل وبالانتصاب واقفا وفلك خلال حلقات
طويلة قد تستغرق كل حلقة آلاف السنين ..

- اولا ... قصة انه كلما كبر المخ زاد الذكاء هذه غير حقيقية ..
فلا علاقة بين كثرة التجاويف والذكاء ...

- مستحيل بل هناك علاقة سببية حقيقية لو راينا مخ قرد ومخ
انسان سنجد أن مخ الانسان انحاءاته أكثر وتجاويفه أكثر ..
- انا اتحدثك .. لا علاقة بين الخلايا وبين مقدار الذكاء ...

- احنا بنكلم بالعلم الآن ملكش حجة ..
- هل تنكر سلسلة التطور هذه ...
- بالطبع .. الان أصبحت كلها مغلوبة وبها سلبيات وفرغات
كثيرة .. وهي نظرية لا علمية ..

- الم تدرسها في كليتكم ...
- لا .. لا ندرس هذه المغالطات ...
- ولولا أن الحراس انقذوه بفتح الابواب لتطورت الفدوة الى معركة ولكن سلم الامر ...
- ممس في اذنى ...
- اليوم عندنا ...
- لساذا ... ٩٩
- عندنا العقيد فلان سيغنى
- عقيد يغنى ...
- صوته رائع .. اغانى عبد الوهاب القديمة ...
- عقيد ... عقيد ...

- عقيد احتياط كان في معهد الموسيقى العربية .. وعند اللوات
ضاغطين عليه لدرجة انه نعلنا بيقول عايز اتعد معاكم ...

في المساء كنا حوالي الثلاثين .. نجلس في دوائر ضيقة جدا حول
منضدة أمامها عقيد كبير السن أبيض الشعر ابوى الملامح .. وبعد ما اخرجنا
ما عندنا من سجائر محترمة .. وتبادلنا بعض النكات .. وقفل علينا
الحراس الباب .. ابتداً في الغناء .. صوت هادىء ممتلىء بالشجن
والتطريب الشرقى ..

ياوابور قولى رايح على فين ... ياوابور قولى وساهرت منين ...
وأشعر أننى انتقلت لعالم آخر .. بهت الثلاثون رجلاً تماماً من
حولى .. وبهتت صورة العقيد ولم تبقى الا ذبذبات حلوة متتالية متلاحقة
تستقبلها اذنى منتفجر بداخل عقلى بواكين وانفعالات وأصواء مشعة
حلوة .. يعقبها .. أحزان دفينه عمرها آلاف السنين ورثتها عن اجدادى
عندما كانوا يلتفون حول ناي أو مزمار حزين في ليلة من الليالى القمرية يبثون
شوقهم وحزنهم وتهرمهم ...

الورد جميل .. جميل الورد .. الورد جميل وله اغصان عليها يميل
من .. وأسرح واضغط على شفتى السفلى .. وأخرج عليه السجاير
السيلتون وأشعل سيجارة يلتصق بظرف لسانى جزء من الدخان فأبصقه
محاووا الا يلتصق بقفا زميل جالس أمامى .. يا جارة الوادى طربت وعادنى
ما يشبه الاحزان من فكريك .. ما هذا الحزن .. عيناه تمقلتان بالدموع
صوته يهتز .. رائع .. صوت رائع .. ينثر حوله موجات من الشجن

في فجر طامات حزن على وجوه سمراء ٠٠ وصفراء ٠٠ أمضها الإرهاق والجوع
والحزن ٠٠ والذكرى ٠٠ وتنتهي ليلة من أحلى ليالي حياتي ٠٠ ممتعة ٠٠
ممتعة ٠٠ كما لو لم أكن أسيرا ٠٠٠

قال أحدهم - عندما يقفل علينا الباب أعود ثانيا للقاخرة بين مجموعته من

الاصدقاء ٠٠٠

- متى نعود ٠٠٠ متى نعود ٠٠٠

- طالبت المدة كثيرا ٠٠٠

- هل سندفن هنا ٠٠ يا دنيا ٠٠ يا حياة ٠٠ ياهوا ٠٠

- أريد أن أتخفس ٠٠٠ آه ٠٠٠

لقد تعودنا على هذا النمط من الحياة ٠٠ بل لقد حدث ما هو أعجب من ذلك -
لقد كسر الضباط أبواب وحوايط دورات المياه والمنشآت الأخرى وعملوا دوابب
وترايبزات ٠٠٠ وكراسي ٠٠٠ وقطعوا البساطين وعمسوا منها جاككات
وبلاطى ٠٠٠ وشنط (هاند باج) ويمر شهر رمضان سريعا ٠٠٠ تأقلمنا ٠٠٠
تيلدنا ٠٠ لم تعد تؤثر علينا اشاعات العودة التي كانت تتكرر كثيرا ٠٠
وصلنا لاتفاق الذى الاتفاق ٠٠٠ وصلنا لاتفاق ٠٠٠ أرسلنا ٥٠ أسيرا لمصر
هدية بمناسبة العيد ٠٠٠ لكى نظهر حسن نوايانا ٠٠ هل معقول هذا الكلام
٥٠ أسير هدية ٠٠٠ لماذا ٠٠٠ ؟ من الأبله الذى يستطيع أن يصدق هذا
الكلام ؟ ٠٠٠ انها محاولة لاثبات أن المفاوضات المباشرة خير وسيلة للوصول
الى حلول ٠٠٠ لقد أرسلنا المعيد فريد مع الاسرى عندما سيصل الى القاخرة
محلا براينا سيتفاهم مع المسئولين وسنصل لاتفاق برجوعكم ٠٠٠

ليلة العيد - ٥٠ أسيرا فعلا يحملون مهماتهم ويتحركون في طوابير
متجهين الى القاخرة ٠٠ نرقص نضحك نغنى ٠٠ لأول مرة تصدق الاشاعة
٠٠٠ يحتضن بعضنا بعضا ولكن ٠٠ قد يتفقون ٠٠ وقد لا يتفقون ٠٠٠ يصرفون
لنا علبه جبنه بيضاء وعلب فول وعلب مربى كانت قادمة من مصر والمفروض
أننا كنا سنستهلكها خلال شهر رمضان ٠٠٠ كميات هائلة من الاكل
اصبحت لدينا ٠٠٠ الصليب الاحمر يحمل لنا هدايا ٠٠٠ بطانية صوف وحلوى
٠٠٠ وسجائر سويسرية ٠٠ لم تبق الا ايام ٠٠٠ من يعرف ٠٠٠ ؟

الله اكبر ٠٠٠ الله اكبر ٠٠٠ لا اله الا الله ٠٠٠ الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
٠٠٠ وسبحان الله بكرة وأصيلا ٠٠٠ لا اله الا الله ٠٠٠ صدق وعده ٠٠٠ وفى
عهده وهزم الأحزاب وحده ٠٠٠ اصوات قوية ٠٠٠ قوية ٠٠٠ تتصاعد ويمتلئ
المسكن بترنيمات المعيد ٠٠ يتوافد الضباط ٠٠٠ يجلسون فى صلوف ٠٠٠ الاصوات
تعلو لا اله الا الله ٠٠٠ اللهم صل على محمد ٠٠٠ وعلى آل محمد ٠٠٠

اليهود يتجمعون حول الاسوار ينظرون لنا يصورون الصلاة بالكاميرات
وبالسينما اصوات قوية تملأ عقليتي .. اليوم عيد .. الاغاني طول اليوم
.. على بلد الحبوب ويني زاد وجدى والبعد كاوينى نخرج بطاطينا
ونجلس نقشمس .. اليوم سينتهي شهر الاعياد .. يوزعون علينا
دفعة من الخطابات والطرود القادمة من القاهرة .. وتبدأ فترة جديدة
.. مرحلة جديدة من حياتنا في الاسر .. بعض جرائدنا نستطيع تهربها
مع الطرود .. قصة ايلات .. ضرب مدينة المنطرة .. مقال لمحمد عودة
يدعو فيه الى الصمود واستمرار النضال ..

محاضرات الصفرة النهائية .. تركز على ثلاث نقاط
تريدنا ان نحملها الى القاهرة . السلام .. المفاوضات
المباشرة .. التقليل من قيمة العمل الفدائي والحرب .. من سلال كمية
هائلة من الدموع يخرفها المحاضر السجان الاقوى مسترحما المسجون
الاضعف .. اقرب الطرق للوصول الى عواطفنا بدون المرور على العقل .. نحن
رجال سلام .. السلام امنية حياتنا .. فهو سيتيح لنا الفرصة
لان نعمل .. لان نفتح .. لان نعيش .. نريد ان تخرج اطفالنا من الخنادق.
ثم تهديد سنحارب حتى نحقق السلام ..

وطريقهم للسلام المفاوضات المباشرة .. (الجلوس على مائدة واحدة)
على حد تعبيرهم .. وخلال هذا الكلام على ان انسى ان اسرائيل
انشأتها بريطانيا .. عندما كانت اعنى دول الاستعمار العالمى .. وحافظت
عليها أمريكا عندما انتقلت لها زعامة المسكر .. وكان مندوبوها يتفاوضون
مع النازى فيما لو انتصر النازى .. وسيتفاوضون مع الشيطان لو أصبح
حاكما لاقوى دول الاستعمار فى العالم .. وكان عادة ما تربط احاديث السلام
.. بعبارة صغيرة « احنا اعنى منظمة فى العالم .. عندنا البيترول والقناة
والثمن والرجال والموقع .. نحن بخبرتنا ورعوس اموال اقاربنا يهود العالم
الاغنياء .. وانتم بموادكم الخام وايديكم العاملة .. نعيش فى سلام واكتفاء
ذاتى » .. اما العمل الفدائى .. والحرب ..

العمل الفدائى عمل طفولى .. غير مجد .. والحرب مستحيل انشاء
جيش فى اقل من ثلاث سنوات هذا ليس رأيا .. انه رأى اكبر المعلقين
العسكريين فى العالم الجيش ليس دبابة فقط .. الانسان الذى يحرك الدبابة
يحتاج الى ثلاث سنوات تدريب وخبرة .. الطيار والطيارة .. وعموما انهم
يمثلون قوة لا تقهر واسلحة سرية لم تستعمل فى حرب يوننو لان الاسلحة
التقليدية ادت دورها .. هكذا يقولون .. لقد ادار النصر السريع رعوسهم
وهم مستعدون لتحدى الاله اذا حكم قديمهم رغم كميات البكاء الهائلة ..
وابتدات الاستجابات تأخذ شكلها النهائى .. فاكمالا للشكل السياسى

اجروا لنا اختبارات قياس الذكاء .. وتجارب على جهاز كشف الكذب ..
وتصنيفات للمجتمع .. أعمال المهندسين .. الزراعيين .. التجاريين ..
الفلاحين العمال .. طرق المعيشة في مصر .. الترفيه .. الكباريهات ..
السينمات اماكن التجمع .. المناهج الدراسية في المعاهد المختلفة
والكليات ..

- متى تستطيع ان تصمم منزلا ...

.. .. .

- هل تعمل مساعدا لمهندس لفترة ...

.. .. .

- كم اجرک في بداية تخرجك ...

.. .. .

- كيف تزيد مرتباتكم ...

نم كيف تكتب خطابا مسجلا .. كيف توصل الطرود ...

ما رتبك .. ٩٩ عيد الناصر ماذا كانت رتبته عندما قام بثورة ٥٢
بعد حرب ٤٨ .. ٩٩ ثم سمحوا بأن تتم زيارات بين معسكر القادة ..
ومسكرونا .. كل قائد سلاح او ضابط كبير حضر .. ليري رجاله وشارت
من جديد اخبار الحرب .. تصوروا .. لقد وجدوا كتيبة دبابات سبئالين
في خنادقها كاملة بعد شهرين من انتهاء الحرب .. وكانوا يعجبون لماذا
تركوا هذه الدبابات .. لقد انتهى الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية بها .. ونحن
تركناها في خنادقها ..

وفي الاذاعة .. كاسترو يشيد بشجاعة الجندي الاسرائيلي في الحرب

.. ١١ .. توسع حجم التبادل التجاري بين اسرائيل ورومانيا .. ١ ..

ومكذا ول نهاية المدة صبق المثال الذي يقول .. كل من يزرع يحصد
.. وكل من يخطط بدقة يصل الى ما يريد .. وهكذا نصل الى شكل كان
في يوم ما بعيدا كل البعد عن التصور .. ولكنه كان نتاجا لما خطط
له بدقة شديدة .. لقد استعمل الاسرائيليون ما يسمى بالحرب النفسبية
لعمل غسيل مخ او فرض ارادة .. ولقد نجح يهود اسرائيل في النهاية
للموصول الى ما يريدون .. لم يعودوا اعداءنا .. اعتدنا عليهم .. وعرفنا
مزاج كل منهم .. قائد المسكر .. امزاجي المسئول عن التعيين .. اهرون
كبير المستجوبين .. الحراس .. اصوات المذيعات في الاذاعة الداخلية ..
بل والجمال العبرية التي يفتقونها .. السجائر التي يذخونها .. والفوارق
بينها .. طريقتهم في التجهته والتهديد .. الاخبار السارة والاخبار السيئة

على وجوههم .. الاغراب بينهم زوارهم الاجانب .. ومن الناحية الاخرى
تأكدوا من أننا أصبحنا مسلمين مستسلمين لقدرنا وحياتنا
ولم نعد نفكر في الهروب أو الاعمال العنيفة .. أو حتى ابداء الامتراض
أو الكره .. فحفت الحراسة .. وأصبحت صورية .. وزيدت مدة الخروج
خارج الحجرات .. وتبادل الحراس والاسرى بعض النكات .. ولم يمتعض
احد لهذه النكات فهم آدميون .. بل اطلقت النكات عن تصورنا السابق
لليهودي ذى الانف المعقوف والشعر المنكوشن .. وأصبح بعضهم لا يخجل
من أن يقول صديقي المستوجب قال .. وتبدلت الهدايا الرمزية .. وأصبحت
المسألة مسألة وقت وإجراءات تعطلها الحكومة المصرية ثم ترطون لاهاليكم
ولم نسمع الاصيحات ليلية تقول يا أمزاحى حضر السنذوقشات .. ليذانا
بالرحيل .. لقد نضجت الطبخة .. ولم يبق الا أن يتذوقها الشعب المصرى
الكريم الذى لا يحمل له الشعب اليهودى أى ضغينة أو حقد .. سيرسل
اليهود خمسة آلاف وخمسمائة سفير لهم محملين بأفكارهم وتصوراتهم
ينشرونها فى أعماق مصر ومدنها .. وأصبح رجال المخابرات الاسرائيلية
فى منتهى السعادة .. لقد استطاعوا أن يقدموا عملا طيبا .. لقد غسلوا
مخ خمسة الاف وخمسمائة حاقد متوتر بكرههم وحولهم الى خمسة الاف
وخمسمائة سفير لهم يستطيعون الاعتماد عليهم الاعتماد الكامل .. ولم يبق
الا الوجه الاخير .. التلميح النهائى .. قبلما يدخلون الامتحان .. وبعدها
.. ستنفجر هذه الالغام .. جاملة أفكارهم داخل الشعب المصرى .. وعاصرت
هذه الايام نشاطا ملحوظا .. انتهى بأن جاء موسى ديان ليرى بنفسه ما فعله
رجاله .. وأعضاء من الكنيست ومدير الاذاعة الاسرائيلية للقسم العربى
(وهو مدير المخابرات السابق) ورجال الاحزاب المختلفة .. كل بكلمة ..
وكل بمحاضرة .. وكل بسلامات .. وكل بقبلاوات واختفت الرشاشات ..
وأصوات الطلقات .. اعتقد أنكم فى شوق لتعرفوا ماذا قال موسى ديان
سائق .. كان يوما من أيام شتاء يناير .. الامطار تضرب أسطح المباني
بشدة .. البرد شديد .. المسكر تخول الى بحيرة .. جلسنا فى حجراتنا
فى حبس اختياري نلعب للبريدج والبوكرونديخن السجائر ونحلم بالعودة
.. استعدونا .. مجموعة من القيادات وبعض الرواد وتليل جدا من الضباط
الصغار جلسنا فى قاعة واسعة .. الميكروفونات الكثيرة فى صدر القاعة ..
عدد كبير من الضباط يزوحون ويجيئون .. قائد المخابرات يعلن علينا بأن
السيد الوزير سيزورنا اليوم .. رجل طويل أبيض ذو عصابة سوداء على
عينه يرتدى ملابس مدنية بسيطة بنظون فانلة رمادى فاتح وجاكت شمواه
أخضر زيتونى .. ومميص أبيض بحون كرافت .. حركاته خليط من الاعتقاد

بالنفس ومحاولة التبسط ،، ليس مرعبا او مخيفا يتكلم الانجليزية بلهجة
 او كسفورد ،، ابتدا يتكلم بلغة عربية ركيكة ،، « انا لا اعرف العربي
 كويس حتكلم انجليزى هل تحتاجون مترجم ،، قال المترجم سيادة الوزير
 ويقول انه لا يعرف العربية ،،،، فضحكنا خجل المترجم وسكت ،، قال كلاما
 كثيرا يدور حول الثلاث نقاط السابقة :، السلام والمفاوضات المباشرة ،،
 وعدم جدوى الحرب ،،،، ولكنه في النهاية اطلق قنبلة دعائية ،، فقال ،،
 انا اعرف انكم رجال عسكريون ،،،، والرجل العسكري ينفذ الاوامر ويستعدون
 لبلادكم ،، وسيامرونكم بالحرب ضدنا ثانيا ،، لن الومكم على هذا ،،
 بل اتمنى لكم حظا احسن في المرة القادمة وأن تؤدوا واجبتكم بطريقة افضل
 ،،،،،، وسكت قليلا بين علامات الدهشة ثم استطرد ،، ولكن اذا حاربتهمونا
 ،، فسنحاربكم واذا اعتديتم علينا سنقاوم ولاخر رجل ،، واعتقد انكم
 لا تستطيعون ان تحرمونا حقنا في الدفاع عن انفسنا !! ،، بالمنطق المقلوب
 ،،، اصبحنا نحن المعتدين ،، نحن الاسرى الذين حاربناهم ولذلك حضرنا
 الى هنا ،، نحن الذين يتسببون في الحرب ،، وهم مجرد مدافعين ،،
 عن انفسهم ،،،، ولكن رياضيين مثله ولا نمثعه من الدفاع المشروع عن النفس
 ،، هكذا ،، وهكذا هو المنطق الاسرائيلي ،، وهذه هي دعايتهم ،، وهذه
 هي طريقتهم في التأثير على الاخرين ،، كلمات معسولة منطقية متممة رائعة
 ولكن عند تطبيقها تتحول الى رصاص ونوم على الارض وجوع وتشرد وقنابل
 ونابل ،،،، وتهديد باسلحة اكبر واقوى واكثر تقدما ،،،،

بشرنا لقد نجح العميد في أن نصل الى اتفاق عن طريق المفاوضات ثم
 اعلنا رسميا باننا سنعود الى مصرنا ،، وقسمنا ثلاث دفعات ،،،،،، وابتدات
 بثسائر العودة تظهر ،، ولناخذ يوما من هذه الايام ،،،،،،

عظمت الساعة ٧ صباحا ،،،،،، أحد ايام شهر يناير ،،،،،،

- المطر ينهمر بشدة ،،،،،،

- ثلاثة ايام بهذا الشكل ،،،،،،

- المفروض الدفعة الاولى تمشي بكره ،،،،،،

- يقولوا الهواء قفل الطريق بالرمل في سيناء ولذلك ستتأجل ،،

- حتى ربنا بيحاربنا ،،،،،، حتى الطبيعة ،،،،،،

- عندما يوافق المصريون ،، يرفض اليهود ،، عندما يوافق اليهود

يرفض المصريون ،،،،،، عندما يتفقان ،،،،،، ترفض الطبيعة ،،،،،،

- يارب بس احنا عملنا ايه ،،،،،،

- لا تتعجلوا كله بأمر الله ،،،،،، من تحمل مائتي يوم ،،،،،، يستطيع ان

- أن يتحمل يومين زيادة .
- لا مش مثنان . مثنان وثلاثة وثلاثون . . انا كاتبهم خلفي
في الخريطة . . كل يوم اشطب عليه . . .
- شفت الحريقة دي . . .
- ايه الحكاية . . .
- جمعوا السجاير اليهودى اللي صرفناها من اسبوع ووضعوها في كوم
ثم حرقوها . . .
- لا يصح هذا . . سيغضب الناس . . ماذا يقولون عنا . . ؟؟
- يا اخى قول لهم يبطلوا لعب العيال بتاعهم
- نسيت عندما كدت أن تموت من أجل واحد منها
- خلاص حنرجح للكيلوباترا واليلمونت
- شفت موسى ديان قال ايه
- آه . . في منتهى الذكاء . . رجل معقول جدا . . مش زى حنفرقهم
. . . حنضربهم . . وحنرميهم في البكر
- شفت كان لابس ايه
- شيك جدا . . مش زى الصور اللي بتترسم له
- احنا يا سيد كنا مغمضين . . انت تعرف ايه عن العالم الخارجى . . .
كل معلوماتك عن طريق الجرائد والمجلات والاذاعة . . وكلها هدفها
عمل غسيل مخ لك
- انا مش فاهم ايه احنا بالذات بلحنا مقفلة كده . . شوف عنا
مليون راى ومليون واحد يتكلم وكله بيتقول . . هل يعطلهم هذا . . .
بالعكس جعلهم اكثر تقدما
- عملت لى الشنطة بتاعتي
- مات البطانية واننا اعملها لك
- اما شفت حنة شنطة في الاوده . . رائعة . . من الفوط والبطاطين
ومنجدة بالخشب والقش
- يا جماعه حرام عليكم تتطعوا البطاطين بتاعة الخلق . . خلقى
عندكم اخلاق
- انا شخصيا عملت من البطانية صديرى ينفيني مش شنطة
- انت عندك ٤ شنط اعطينى واحدة
- العميد عبد العزيز طلب واحدة حبعتها له والباقي على قد مهماتي
- صعم لى بادج احطه على الشنطة . . بس الوانه من الخيط اللي
في الفوطه دي

- أصوات من الخارج تملو .. في غناء ...
والنبي يامه .. قولى لابيويه .. يعينى ريبال .. او نصف ريبال
.. اشترى ...

- آيه ده ... III

- شوف عاملين ازاي رابطين الفوط حول رؤسهم وشايلين الرائد
بهام وعمالين يذفوه ...

- أصله من الدفعة الاولى يا بخته ...

- تهريج .. فرحانيين قوى .. والله اليهود بيضحكوا علينا : بيتى
ده رائد بالذمه لو واحد من اللى بيهللوا حواليه خدم معاه بعد كده
خيممسل آيه ...

- ياعم خلاص .. انت فاكرفيه واحد من دول ينفخ يخدم فى الجيش
بعد كده مستحيل تفضلوا فى القوات المسلحة ...

- تحصل والله .. انت عارفهم بيفكروا ازاي .. اذا كان سبونا عنا
شوف قد آيه علشان ثلاثة جواسيس ولا أربعة .. الإرنجيون
مشيوا .. وأحنا كرامتنا لا تسمح بمبادلة خمسة الاف وخمسمائة
مصرى ... بثلاثة جواسيس ..

- الفطار يا سادة ..

- أفتح لنا علبتين قول ياهلال .. وعليه الربى خلصت أفتح واحدة
ثانية ..

- السخان خسر .. سخنهم فى الوده ٤ سخانهم كويس ...

- اشتريت البطانية دى بكام ..

- بخاروصة كيلوبترا ..

- آيه رايك بطانية كويسة ...

- أنت عارف انها اسرائيلى .. اشترها الصليب الاحمر من هنا ...

- فضل عنك كام عليه سجائر سويسرى ...

- ثلاثة .. ومجموع الباقى .. الحقيقة سجائر ممتازة بدلتها
بسجائر كيلوبترا ..

- الشمس طلعت .. آه الحمد لله .. خلى الطريق ينضف
ونسافر ...

- أنت عارف انى خايف أرجع ...

- انا كمان عندى الاحساس ده .. بس مش عارف ليه ٩٩ ...

- مش عارف اذا كنت حقدت اعيش هناك .. أم لا .. لا .. كيف

سيستقبلوننا فى مصر .. هل سيعاملوننا على اننا مصدر
خطر .. على اننا جواسيس ...

- انا خايف من نفسى .. لقد أصبحت فنى .. يخيل لى أدنى
- سأكل حتى أموت من التخمة .. ولا السجاير .. ولا النسوان ...
- نرجع بس .. وبعد ذلك نموت نعيما فى وسط اهالينا ...
- وسرحت .. ترى ماذا يحدث فى بلدنا حقا .. هل انفسجتنا
- التجربة ؟؟ هل تخلصنا من عيوبنا ؟ .. هل هزتنا
- المهزيمة من جثورنا .. لابد وأن بذور التغيير قد نضجت ..
- بالتاكيد .. ما علينا الا المشاركة الان .. لابد وأن بذور التغيير
- قد نضجت .. لم يبق الا المشاركة ..
- آخر الاخبار يا حضرات .. ابتدأوا فى اصلاح الطريق .. والدفعة
- الاولى بعد يومين .. ثم الثانية والثالثة مباشرة ...
- من قال لك ..؟
- سمعت فى الاستجاب .. الاسماء قد جهزت .. وأنا فى الدفعة
- الثانية ...
- وأنا والنبي ...
- معرفش .. لم يقل لى غير ما قلته ... !
- أول م حوصل .. سأجرى الى منزلنا ...
- لا ياعم هناك معسكر فى المعادى ينتظرک .. للاستقبال ...
- المعسكر فى الهاكستب .. قالوا لنا ...
- وما الذى ادراهم ...
- لا يخفى شىء عنهم .. تصور بيتولوا انهم بيعملوا هناجر طيران
- فى الماطله وفى المقطم وعلى طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى ...
- تفكر متى سيختهون من اصلاح الطريق ...
- يومين ثلاثة ...
- انتم تصلحونه فى يومين ثلاثة .. اما هم فيصلحونه فى ساعتين
- ثلاثة .. فإكر مواسير المياه فى بئر سبع ...
- طيب يا سيدى يارب ...
- عابزين فلعب پارتيته بوكر ...
- فى مصر بقى بالفلوس .. والله م حد حيشوفكم ...
- نبقى خايفين العيش والملح .. معقول الواحد ينسى الايام دى ..
- أو يلساكم ..
- نشرة الاخبار ...
- هو يارنج اللى حيطلها .. بس على الله م نجمدش مخنا ...!

- المفروض أن تحلل ٠٠٠ يكفى هذه السفين ٠٠ فهم لا يريدون
سيناء ٥٥
- يقولوا حيعلوا دولة فلسطين من غزة والضفة الغربية ٠٠ ويتركوا
لها ممرا في وسط اسرائيل ٠٠٠ على شرط أن تكون منزوعة السلاح ٠٠٠
وممكن تدخل في اتحاد فيدرالي مع اسرائيل ٠٠٠
- لا اللي سمعته انهم عايزين يعملوا من الاردن واسرائيل ولبنان
اتحاد فيدرالي ودولة واحدة ٠٠٠
- وهل يرضى بهذا ٠٠ هل تستطيع أن ترفع رأسك ٠٠
- بطلوا الانشأ دي اللي طلعت غينا ٠٠ لا ترفع رأسك
ولا تنزلها ٠٠ السياسة مخ يا سيد ٠٠ يم وفتاش في داوية
الا الشعارات الجوفاء يتاعتكم دي ٠٠٠
- سامع الضحك ماتت
- في مسرح المراميس ٠٠٠ تعال نتفرج ٠٠٠
- سامع الاغاني ٠٠٠
- يا امزاحي اعمل السندوتشات يقي ٠٠٠ ها ٠٠٠ ها ٠٠٠ ها ٠٠٠
- الليلة فيه حنة سهرة في الاوده (١) ٠٠
- وهكذا كانت تمر الايام الاخيرة والملاحظة اختلعت المواعيد ٠٠
فأصبح السهر طول الليل والنوم نهاسا وقد يمر يوم أو يومان ولا ننام سوى
ساعات قليلة ٠٠ الارق ٠٠ الدخان أحلام اليقظة الخوف من قوى مجهولة ٠
- وكنا قد استوعبنا الدرس ٠٠٠٠ لقد كانت الحرب التي خضناها ضعب
اسرائيل ضوء احمر يضيء لنا ليشعرنا أننا نعيش في مجتمع متخلف حضاريا
وان للطرف الاخر استعمل أقصى الاشكال العلمية تطورا للقتال واحمها كان
التطبيق العلمي للحرب النفسية وهو السلاح الفاصل الذي انتصروا به في
حرب ١٩٦٧ ولقد طبقوه علينا نحن الاسرى أحسن تطبيق ٠
- وكان علينا أن نواجه العذاب ٠٠٠٠ لقد صبغونا بصورتهم وتركونا بين
اهلنا ٠٠ نشعر باننا خوفا منفصلين مصبوغين نردد دعاية العدو ٠٠ وبين
ما تعلمناه طول حياتنا قبل الحرب وما املى علينا كنا في صراع وتمزق وهو
الشكل الذي عدنا به الى وطننا ٠

الفصل الخامس

رحلة العودة

نقلت لكم الفصل السابق من مذكرات صديقنا كما هي تماما .٠٠ واعتقد انكم ستلاحظون الفرق بين طريقتي في كتابة ذلك الفصل وحواره معنا في الفصول السابقة .٠٠

لقد ظل على هذه النغمة العنيفة والحادة المقلقة بالكلمات المتضخمة عن الامبريالية والحرب الشعبية وما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .٠٠ وخيانة البرجوازية والصراعات الدموية .٠٠ والبيروقراطية والكونبرادورية .٠٠ كلمات لا اعرف من أين استعارها .٠٠ والشئ الغريب انه كتب هذا في تقرير عن التمييز الطبقي في القوات المسلحة واثره في الهزيمة العسكرية والتف حوله عديد من الافراد يقرأون ويتكلمون ويلعنون .٠٠ وأصبح صديقا لعديد من الشباب المنتشرين في الجامعات يكتبون مجلات الحائط ويتجمعون في المدرجات ويصدرون المنشورات وينظمون المظاهرات ويستقزون كل من حولهم .٠٠ بل كان يمكنك مشاهدته في مثل هذه الاجتماعات يرتب .٠٠ ويتكلم .٠٠ وفي بعض الاحيان يفعل ويسخط .٠٠ كان يرى انه لا بد وأن تقوم حرب شعبية تمهده الجماهير .٠٠ وتحركها .٠٠ وكان يعتقد بكل شدة أي تهاون أو تراخ يراه حوله .٠٠ حتى الطبيعي .٠٠ ويثور .٠٠ ويسب في بعض الاحيان لاسباب قد تكون تافهة .٠٠ واحبه كثيرون وتحاشاه كثيرون .٠٠ حتى اكتوبر ٧٣ .٠٠ زورته في منزله يوم السادس من اكتوبر .٠٠ وجدته قابعا امام التلفزيون يراقب الاحداث بصمت .٠٠ سألته عن رأيه .٠٠ كان متحفظا .٠٠ لا يستطيع ان يتحمس .٠٠ ولا يستطيع ان يرفض ولكن بعد يومين كان نائرا للغاية .٠٠ لماذا .٠٠ لماذا لم نندفع حتى المرات انها الحد الأدنى للدفاع .٠٠ بغير الوصول اليها .٠٠ لا يمكن الدفاع عن شريط رفيع من الارض .٠٠ لقد فقنا بذلك العمق الاستراتيجي .٠٠ وبعد ذلك بأيام .٠٠ رأيت هادئا .٠٠ قال .٠٠ لم تكن نستطيع فعلا ان نعمل اكثر مما كان .٠٠ لقد كانت الديابات الامريكية تنزل من الطائرات مزودة بالقنابل ومعمرة بالذخيرة ومستعدة للاشتباك .٠٠٠٠ ولو وسعت المسافة بين

الجيشيين كان من الممكن استخدام الاسلحة النووية .. ثم لانت لهجت ..
وابتعد او تباعد عن اصدقائه .. وغرق في تفكير عميق لعدة ايام .. ثم
قال .. معركتنا الان ان نعمل .. ان نتقدم .. ان نتعلم .. ان نداوى
الجراح وننطلق .. وشعرت انه كان بحاجة لانتصار حتى يتوازن نفسيا ..
وعندما توازن ابتداً يفكر بشكل متحضر .. لا يحبذ سفك الدماء
والتدمير .. وانما يتطلع لمستقبل يبني فيه الوطن بجهد حقيقي لابنائنا
لامتلاك لغة العبر وادواته الحضارية ..

اليوم سيرحلون .. اكيد .. لا شيء اكيد فالثهور التسعة الماضية
شككتهم في كل شيء .. ورغم ان كل الظواهر كانت تجبرهم بالعودة الا ان
شكهم كان اقوى .. ردت الامانات .. والسندوتشات أعدها امزراحي
وتفاصيل اعدادها عندهم اولا بأول لقد كان يقطع الخبز الى شرائح
وبالفراشة المغوسة في المربي اى الجبن يطلى وجهها من وجهيها .. ومن
خلال راديو رد مع الامانات استمعوا الى اذاعة القاهرة .. كان جسده
يرتجس مع سماع الكلمات « هنا القاهرة » رغم البلوفر الجديد الذى ارسلته
له امه والفانلة الصوف التى ارسلتها حكومته ..

وانحبست الدموع في عينييه كلما تذكر انه بعد ايام سيكون طليفا في
سوارع مدينته وبين اهله .. يستمتع بدفء الشمس .. وسحر النيل ..
ويحاول حياته فيستطيع ان يذهب الى السينما او المسرح او الكازينوهات
واستكثر على نفسه كل هذه السعادة .. حمام دافئ .. واكل نظيف .. وسرير
منظم له وحده .. ترى هل سيوجمون .. مستحيل لماذا كل هذا العذاب ..
ولماذا تركتموهم كل هذا الزمن .. الوجوه حوله متوتره .. ايتسامات ..
ضحكات يشوبها القلق والترقب .. الخوف من المجهول .. اصبح طابعا لجميع
تصرفاتهم .. لو حدث اى عامل جديد يغير الموقف .. كان يسد الطريق
او تندلع الحرب .. او يختلفوا فلن يتحملوا الموقف .. يجهمون
بباطينهم .. واوانيم لتسليمها .. يحدون شئهم .. لقد اصبح لديهم
حصيلة من الممتلكات سواء ما وصلهم عن طريق الصليب الاحمر او ما اعتبروه
ملكا لهم .. الاسرائيليون يبتسمون يردون عليهم الابتسامة بمثلها .. قامت
بينهم عشرة طويلة الرائد صفوت يسلمه لفانلة بها بيانات منصلة
عما حدث .. عدد مرات الاستجواب .. المحاضرات التى اقيمت سلوكيات
الافراد .. خاف ان يحملها فيفتشوه ويحصلوا عليها ..

يضيعون الوقت بالحركة .. يدخلون بشراة .. لا ياكلون .. الجو
جميل اشعة الشمس رائعة تحتفل بهم .. اغانى ام كلثوم .. على بلد
المحبوب ودينى .. يحاولون ان يلعبوا كوتشينه .. لا يستطيعون ..

بـ أجدهم يسأل مستعد تحاربهم تانى . .

بـ معرفش جليز لا معرفش . .

يجل الظلام . . انه أطول يوم في عمرهم . . يبتمس عندما يتصور أن
يوما من عمره القصير المحدود يرجوه أن يتحسنرك وينتهى ويتفلسف
متسائلا . . ترى كم يوما من عمره قضاء في الانتظار وتمنى أن ينتهى !!
ترى هل سيعيش بعد ذلك أياما يرجوها أن تطيء في سيرها وهل سيستطيع
تعويض هذا اليوم الذي مل انتظار نهايته . . وتشرد أفكاره . . فلم يعد
يستطيع أن يقودها . . هل هناك يوم حلو . . ويوم مر . . وما المقياس . .
وما هى السعادة . . أين هى . . متى . . وكيف . . !! هل رجوعه لوطنه
هو السعادة . . أم هروبه بعيدا عن رعب الموت ورعب الخذل والسجن
والفرق وقسوة الحياة . . ترى كيف سيستقبلونه ؟؟ هل القصاص والاهل
والمنازل والاطفال والحداثق والشوارع والحياة بنفس الشكل الذى تركها
عليه ؟؟ مستحيل بعد حرب انهزم فيها الجيش الذى لا يقهر واحترق الزعيم
الذى لم يهتز أبدا أن تبقى الأشياء كما هى هل واجه الشعب نفسه ؟
هل تغيرت المقاييس أو على الأقل بذرت بذرة التغيير ؟؟ كيف تلقوا ذبأ
الهزيمة ؟؟ ما الذى دفعهم للخروج يوم ٦ ، ١٠ يونيو ؟؟ هل غيرتهم
التجربة ؟؟ هل لا يزال الفلاحون يبثرون الحب ولا يكثرثون بما يدور
حولهم ؟ ماذا يقال لهم ؟ وما تفسيراتهم ؟ أى الأفلام فى دور السينما ؟ هل
استعاد مجلس الامة سلطاته التى قدمها هدية ؟؟ الجيش !! أين هو الان ؟
هل استعوض سلاحه ؟ وهل يتم تدريبيه ؟ هل مازالوا يطلقون البروجى
للواء عند دخوله المسكر وترقرف الاعلام فى مقدمة عربته ؟؟ هل تغيرت
الوجوه ؟ هل سيقابلونهم بالترحاب أم بالحذر والخوف ؟ كان يتجول فى
حجرات المسكر بدون هدف . . بعضهم كتب شعارات الثار على الحوائط . .
عائون لفلسطين . . لن ننسى شهداينا . .

الظلام يحل . . لم يعد انذارا بدخول العشم . . اصبح ابذانا
بالرحيل جبل الكرمل فى قمة جمالة . . الاشعة الحمراء والبرتقالية
والصفراء الناتجة عن الغروب تلقى ظللا طويلة عليه . . والمصابيح الصغيرة
المتناثرة تثللا فى وسط خضرة زيتونية رائعة . . نسمة هواء باردة
منعشة

ينادون عليهم يتجمعون فى صفوف كل منهم يتسلم بطاقة يتجه
الطابور عبر الطرقات الضيقة يهرون على معسكرات مهجورة كانت مكان
الجنود تصدر منها روائح كريهة ناتجة من طفع المجارى وتكوم الزباله .
الضباط يتدافعون لتكون لهم اولوية النحول للاتوبيس المتدافعون يدخلونهم

لآخر الاتوبيس يركب صديقنا آخر الضباط يجلس في أول كرسى ٠٠٠ نفس
 المكان الذى حضر فيه الى بئر سبع ٠ شعور مكبوت لا يستطيع تحديده هنا
 المستأثر تسدل ٠٠ ولكن من فتحة صغيرة يستطيع أن يشاهد عربة جيب
 فوقها لمبة تنبيه زرقاء تجرى بجوارهم وحذاتهم ٠٠ ثم تسرع لتسيبهم
 وتبطيء ليسبقوها قول الاتوبيسات يتحرك ٠٠ ها هم في طريقهم الى وطنهم
 الحارس فقد توتره ٠٠ يشرب خمرًا من زجاجة صغيرة ويقضم سنخوتشا هنا
 يتكلم كلاما غير مفهوم رغم أنه باللغة العربية عن معاملة اليهود ورائهم في
 الحرب ومتى سيعيشون في سلام ٠٠ وأنه يريد أن يترك السلاح ويرتقى ٠٠
 أصبحوا في غزة ٠٠ الشوارع خالية ٠٠ يقوم بالحراسة في نطف المرور فتاة
 حلوة ٠٠ ترتدى زيها باناقة وتحمل السلاح ٠٠ آثار الهمم واضحة
 على المنازل ٠٠ خان يونس ٠٠ رفح ٠٠ مبنى أشرف على إقامته يشد انتباهه
 وحدة صحية سابقا ٠٠ أصبحت ثكنة عسكرية مرفوع عليها العلم
 الاسرائيلى ٠٠ نوافذه مكسرة ٠٠ يشعر كما لو كان قد ترك في الاسر
 ابنا له ٠٠ الاتوبيس يمر سريعا ٠٠ طالما عبروا هذا الطريق محملين
 ببضائع غزة ٠٠ الشيخ زويد لديه ابن آخر هنا يبحث عنه حتى يجده وحدة
 صحية أخرى لم يتمها ٠٠ وها هي مكتملة ٠٠ ولكنها محبوسة ٠٠
 العريش ٠٠ عاش فيها لمد طويل في خدائته تخرجه ٠٠ كان مهندسا للاسكان
 والمرافق بها ٠٠ وله أبناء كثيرون وتوقفوا أمام واحد منهم مدرسة
 الصناعات ٠٠ نزلوا من العربات لقضاء حاجتهم آخرًا نكروا يتركها في
 سيناء ٠٠ وكلمته الأرض ٠٠ وكلمه المبنى ٠٠ كانوا يبكون ٠٠ استنجدوا
 به ٠٠ ودار بينه وبينهم حديث طويل ٠٠ حديث عن ومن الأرض
 المحبوسة ٠٠ وود لو بقى ٠٠ وود لو عاد مهندسا يبئى ويخطط ويعمر ٠٠
 ولكن صوت الحارس كان أعلى من صوت الأرض ٠٠ كان عليه أن يغادرها ٠٠
 على أمل ٠٠ وظهر الفجر وهم يسيرون على طريق العريش - القاهرة
 اطلت الشمس من بين النخيل ٠٠ طالما اطلت عليه في عربته العسكرية أثناء
 المناورات ٠٠ أو عربة الاسكان وهو يخطط لبناء جديد ٠٠ كان يجب أن يراها
 دائما من هذا المكان ٠٠ وكان يود دائما أن يرقد لآخر عمره على الرمال
 البيضاء الشديدة البياض بشاطئ العريش ٠٠ تحت نخلة ٠٠ ترعى حوله
 الماعز في سلام ٠٠٠ انتهى آخر ليل يقضيه في الاسر ٠٠ وشعر بانقباض
 ترى هل هم متجهون فعلا للقاهرة أم سينقلونهم لمسكر آخر ٠٠ وهمه هذا
 الخاطر حتى أنه لم يودع ابنا آخر له في بئر العبد حيث كان يشتري
 السمك البورى المشوى والسمن ٠٠ الاعراب يلوحون لهم ٠٠٠٠ وهو
 لا يستطيع أن يقف ليواصلهم في ثمن البورى والبيض والسمن ٠٠ الاعراب

يشيرون الى انواعهم .. جيباع .. ترى من اين ياكلون .. وكيف
يتكسبون من قوات الاحتلال .. المثلث .. من هنا الطريق للفتنة يصرفه
جيدا .. هنا كشك المرور .. ولكن لا وجود له الان .. للتخصيمات
العسكرية تملأ المنطقة .. ما هم قد وصلوا القنطرة .. هذا الطريق يوصل
الى الجمرک .. او ما كان جمرکا .. هنا كانوا يضعون ايديهم على قلوبهم
حوما من المغالة في الجمارک .. والان تحق قلوبهم فبلاهم على بعد خطوات
العربات تقف في قول واحدة خلف الاخرى .. والحراس يلتقطون
الصور التذكارية .. هنا القاهرة .. « الناس والثناء » ويستمعون بشغف
للبرنامج رجل عجوز من أهل القنطرة يركب حمارا ويضع على ساعده علامة
رجال الامن .. عجوز يريد ان ياكل .. العربات تتحرك وتعود بالاسرى
اليهود .. واحدا في كل عربة .. شعرة طويل .. فنة كثيفة ..

وتذكر عندما سأل سكرتير حزب المباى عن عدد الاسرى اليهود فقال
سترونهم عندما يتم التبادل وتعرفون انهم لم يتجاوزوا العشرين .. العربة
تقترب من المعدي .. مبنى الجمرک تحول الى مركز قيادة مرفوع عليه العلم
الاسرائيلى ويتحرك منه واليه عدد من الجنود والمجنذات الاسرائيليات ..
ثم تستدير العربة لتقف .. لا يصدق نفسه الشاطيء الاخرها هو واضح ..
لا يصدق .. جمهور من مصورى التليفزيون والمصورين الصحفيين يلتقطون
لهم الصور .. يزم شفثيه يتماسك من أجل المصورين .. لنش من هيئة
القناة يقوده مصريون .. يخطو داخل اللنش .. لا يستطيع ان ينظر خلفه ..
صباحات التهليل والسلامات من اليهود .. مع السلامة .. مع السلامة ..
شالوم .. يجلس على فكة في مواجهة شاطئنا كلما كان قريبا من شاطيء مصر
كلما كان انزل .. مازال متماسكا .. زاما شفثيه .. الارض المصرية تحت
قدميه .. جنود بملابس الشرطة العسكرية المصرية .. لواء مصرى سمين
يفث لثحتهم .. الحمد لله على السلامة .. كيس به سخوتشات .. عليه
سجائر زجاجة كوكاكولا .. اهلا .. ما اسمك .. بيكى بشدة لا يستطيع
ان يفتح فمعه .. انهار التماسك التمثيلى .. بيكى على حضن امه ..
هنا يستطيع البكاء .. ولاول مرة .. احدهم يربت على كتفه .. مغلثس
.. بيكى ..

احدهم يساله .. ماذا تريد .. ؟

- اريد نظارتى ..

- اين هى ..

- اخذها لليهود منى يوم قبض على .. آ

وحتى الان مازال صديقنا يبكي كلما قص علينا هذا الموقف لقد أهدته عائلته عشرات النظارات واشترى عشرات اخرى على احدث طراز . . ولكنه كلما تذكر نظارته يبكي . . . لقد كان دائما يعتبرها الشيء الشخصى الذى سرق منه ولم يستطع أن يدافع عنه . . . حتى ولو بكلمة احتجاج . . كان يردد دائما ان اقسى درجات المهانة أن يفتصب شخص ما اشياك امامك ولا تستطيع الاحتجاج سواء كان هذا الشخص عدوك . . أو من بنى وطنك . . أو غريباً وحتى الان مازال يستفزه جدا لو مد أى شخص يده الى شيء يخصه واخذه دون اذنه حتى ولو كانت سيجارة من علبته

ركبوا اتوبيسا آخر فى طريقهم الى القاهرة . . كان يرافقهم رائد بحرى . . وأمطره زملاؤه بأسئلتهم . . اما هو فقد كان يبكي
كيف حال الجيش . .

- عال عظيم

- دموع . . دموع

- ما قصة الباخرة ايلات

- دموع . . دموع . . القاهرة ٦٠ كيلو متر

- ردت لنا ثقنتنا زوارق الطوربيد . .

- دموع . . دموع . . القاهرة ٥٠ كيلو متر .

- كيف كنا سننتصر . . هل هذا معقول

دموع دموع . . القاهرة ٢٠ كيلو متر

وتظهر مشارف القاهرة . . المصانع . . المطار . . الطريق للكلية الحربية

- الى أين .

- الى الكلية الحربية ستقضون بعض الوثائق هناك .

- كتيروا .

- لا من أجل الخجر الصخى فقط . . .

وهكذا وصلوا الكلية الحربية . . وقضت المخابرات الاسرائيلية الكرة الى المخابرات المصرية مجموعة من الرجال المؤقتين أجريت عليهم تجارب الحرب النفسية الحديثة التقت فيها المخابرات الاسرائيلية بكل ثقلها فى مجالتهم ووثقت مما فعلت . . .

وابتدا الجانب الاخر يتعامل بحذر مع طرد المتفجرات القادمة له من الشنت البعيد

الكلية الحربية من الباب الخلفى .• ضباط من دفعات الاسرى السابقين
يجلسون يستمتعون بالشمس .••

فرقة موسيقى الجيش تقف في الفناء في مواجهة المبنى تعزف

« يا حبايب بالسلامة •• رحتم ورجعتم لنا بالسلامة ••• »

« الله أكبر •• الله أكبر •• الله أكبر فوق كيد المعتدى »

« بلادى •• بلادى •• بلادى •• لك حبى وفؤادى »

الحموع لازالت تملأ عينيه •• جسده يهتز بشدة •• يشعر بالقشعريرة ••

••• تفضلوا يا حضرات •• فوق من فضلكم •• الحمد لله على السلامة ••

••• تفضلوا يا حضرات فوق

••• تفضلوا يا حضرات

••• تفضلوا •••••

عندما حضر صديقنا للعلاج بالمستشفى لأول مرة •• تعاملنا معه كحالة
خاصة جدا •• كان هادئا منطويا على نفسه •• يرفض الخروج من المستشفى
حتى ولو لنزعة قصيرة •• كان يتكلم عن الوحوش بالخارج في الاتوبيس
والشارع والمنزل والعمل •• وكان لا يقبل العلاج •• فلقد اكتشفنا بعد مدة
انه لا يتناول الاقراص المهدئة الا ليللا •• عندما ناقشته في ذلك •• كان
رده انه ليس مريضا بل نحن المرضى لاننا لا نستطيع ان نرى ما يراه
الاعمى بوضوح •• القيادة لم تتغير حتى القيادة التكتيكية •• ولازالت
تتخبط بنفس الدرجة •• والتعليمات المهزوزة والمتروكة لازالت •• ونحن
نتحرك نحو كارثة لا يستطيع ان يشترك فيها على الاطلاق •• وفي نفس
الوقت لا يستطيع ان يتاومها لذلك فهو يفضل ان يبقى بين الجانين في مستشفى
عن ان يعيش هؤلاء الخطرين المطلق سراهم أعداء أنفسهم وأعداء البشر •••

وكان لا يفعل شيئا الا الاسترخاء والقراءة والاستماع للموسيقى

وفي بعض الاحيان الحديث مع المرضى باهتمام شديد •••

ولقد قمنا بعلاجه بطريقة حديثة كانت تطبق لأول مرة بالقولت المسلحة
•• وهي طريقة المجموعة •• أى تجميع عدد من المرضى ثم ادارة حوارات
منظمة بينهم وتصحيح الاتجاهات الفكرية وتنمية رغبتهم في الحياة بزرع
الامل والحب والاهتمام بالآخرين ليحصلوا حبا واهتماما •• وتحسن وعاد
الى عمله في وحدة جديدة من الوحدات التى انشئت بالقوات المسلحة
من المعلمين وخريجي الجامعات •• كان سعيدا بوحدته الجديدة •• وكان
يقول لأول مرة أوقف أمام طابور لا يوجد به أمي واحد •• وكان قائد وحدته
الجديدة حكيمًا •• عندما تقابلا لأول مرة فاجأة صديقنا بأنه لن يميل •••

ولن يشارك في جرائم قتل الابرياء عن طريق قيادة ممزقة .. فطلب منه الاخر ان يبقى في حجرته ويكنفى بمساعنته في ارشاد هؤلاء الصغار قليلى الخبرة حتى يصلب عودهم .. فقط الارشاد .. استخدمه كاستشارى .. وبمرور الوقت اندمج في الحياة الجديدة ووجد صدق لجهده .. كان يحاول ان يصبى في رجاله كل خبرته السابقة واعطى لوحده كل وقته وجهده .. والتف حوله الشباب .. كانوا يحبونه ويحترمونه الى درجة كبيرة .. وتكونت واحة وارفة الظلال داخل صحراء حياته .. خاف عليها ودافع عنها بكل قوته .. حتى كان يوم .. صدرت الاوامر فيها للجيش بالانتشار وسط المدنيين وفي الشوارع والحقول وانكست حالة صديقتنا .. اصيب بالرعب كان يقول ان القيادة لا تدرى ماذا تفعل وسيغرقون جزيرتى في بحرهم الفاسد .. وعاد الينا في المستشفى اكثر ثورة وتوترا كان يقول هل فقدت مصر كل رجالها الاكفاء .. الا يوجد الا هذا ليصبح وزيرا للحربية ومائدا للقوات المسلحة كان يحمل بغضا متزايدا لقيادته وعدم ثقة في مقدرتهم .. وبالتالي لم يكن امامنا الا عرضه على القومسيون الطبي .. في ذلك اليوم دخل علينا متوترا للغاية كانت كفاء تنضحان عرقا غزيرا .. وكان قلبه يدق بسرعة .. وعيناه غير مستقرتين تماما .. وكان لا يزال يتكلم عن الوحوش والغابة بكلمات غير مترابطة وكان يقص علينا احلاما كابوسية عن الطوفان والزلازل والبراكين .. وقرر الاطباء عدم صلاحيته للخدمة العسكرية لاصابته بعصاب حرب مزمن .. ثم احيل الى المعاش بعد ذلك بايام ٢٠٠٠

فدافعوا الى العنبر الطويل المرصوص به اسرة ذات دورين .. على كل سرير بيجاما وافرول .. وغيار داخلى .. وزجاجة كوكولونيا .. وعدة خلاطة .. وعلبه سجائر صغيرة ..

وطلب منهم خلع ملابسهم وارتداء الملابس الجديدة وبمعرفة تمهيدا لحضور مؤتمر مع السيد اللواء صادق مدير الخابرات الحربية .. وكان اخذ الضباط يتحرك بينهم يسألهم هل مع احكم نقود كثيرة .. وبالطبع اجاب بان معه مائتا جنيه تخص كائنتين الوحدة استطاع الاحتفاظ بها فطلب منه الاحتفاظ بها حتى يمر عليه بمكتبه لتسليمها .. ذهبوا الى مكان المؤتمر خيمة كبيرة بها مناخس وكراسى ودكك وفي نهايتها مكتبة وبيك آب واستوانات وسماعات .. القاعة مضاءة اضاءة قوية ويقف في صدرها امام الميكروفون لواء طويل اصلح يتكلم ..

- اتفضلوا .. الحمد لله على سلامتكم ..

- مساء الخير يا حضرات .. الحمد لله على سلامتكم .. كنا في شوق اليكم وكنا نتمنى ان تكونوا بيننا من مدة طويلة .. الاوراق التى امام سيادتكم

نحن آسنون بطلب كتابتها بسرعة .. ولكن عندما تقرأونها ستعرفون مدى أهميتها وستقدرون سبب سرعة طلبها .. أرجو أن تملأوها بعناية شديدة ودقة .. بكل ما لديكم من وطنية .. بكل ما لديكم من حب لبلدكم نرجو ان تكتب بصراحة مطلقة لكي يمكن الاستفادة منها .. اكتب كل شيء .. لا تترك شيئا .. لن نحاسبكم على اى تصرف مادمتم تكتبونه في هذه الورقات خالص نفسك .. وامسح جميع اخطائك .. بالكتابة بصراحة ..

اواخر السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الحربية بالا يحاسب احكمكم على ما فعل مهما كان مادام قد ادلى بمعلوماته في استمارة البيانات .. أرجوكم لا تتركوا شيئا .. سوف نملاً الاستمارة الان لكي تكون الوقائع لازالت ماثلة في اذهانكم .. كلما انتهينا سريما كلما كان في مقورنا ان نسمح لكم بالخروج والعودة لنازلكم ان شاء الله .. نقرأ البيانات مع بعض ..

الاسم : بالطبع اسم سيادتكم تكتبه في الخانة الفارغة امامه

السنن : الوثيقة تحت العنوان .. بالطبع عنوانك هنا في مصر .. او في البلد اللى تحتضى فيها اجازتك .. المهنة اذا كنت سيادتكم احتياط او لك شغل آخر ..

باقى البيانات .. وحدتك .. بالطبع قبل الاسر .. انا بتكلم وانتم بتكتبوا .. معنا ..

بيانات عن الاسر : متى ؟ أين ؟ كيف ؟ .. ؟

بيانات عن التصرفات : من حاول الهروب .. من تعاون مع العدو .. هي مشن فتنة يا سادة او عمل لا اخلاقى ان تقول ولكن المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار تاكدوا يا حضرات اننا لن نحاسب ايا منكم على ما حدث هناك .. كل منكم يتكلم بصراحة .. نحن نعلم انكم كنتم بين ايدي العدو .. وكان من الممكن ان تفعلوا اى شيء ولذلك نرجوكم الكلام بصراحة ..

آى ملاحظات لك انعام رحلة العودة : اكتب في الخافه القادمة اى معلومات تحب ان تكتبها يوجد ورق اضافى فارغ لتكتب فيه اذا لم يكن الورق كافيا نرجو الا تهمل اى شيء مهما كان صغيرا .. كل شيء سنستفيد به خلاص .. كل واحد من فضلكم يحضر لنا الورقة هنا .. لا تخرجوا يا حضرات ستعردش قليلا .. عشر دقائق .. احضرنا لكم فيلما ظريفا سبتشاهدونه في الصعالة السفلية .. اما العشاء وتناول الطعام فسيكون في هذه الصالة .. احنا هنا رجالة بلدكم .. وبفعل امصلحتكم ولحمائتكم وكما قلت من قبل لن يحاسب اى فرد على اى عمل بدر منه في الاسر الورق هنا يا حضرات .. اتفضلوا .. خلاص كل الورق موجود هنا .. نتكلم في موضوعنا الان .. ثانيا ..

الحمد لله على السلامة .. البلاد كلها مصر .. الجيش .. السيد الرئيس
 والسيد الفريق يهنئونكم بسلامة الوصول وان شاء الله بعد ما تستريحون
 قليلا سيحضر سيادة الفريق فوزى للقائكم نحن نعلم جميعا اننا قد خرجنا
 من شكسة وهزيمة عسكرية لكن الحمد لله الشعب في الداخل والجيش على
 الحدود اخذا موقفا صلبا ومنعا الهزيمة من ان تصل الى اهدافها .. العدوان
 كان موجها للحكم اساسا وبالتالي في عدم سقوطه عدم تحقيق لهدف العدوان
 .. اعرف انكم لديكم أسئلة كثيرة وانهم قالوا لكم معلومات كثيرة عن الفوضى
 بالداخل والانهيار الاقتصادي والحمد لله انتم شفتم خلال حضوركم ان
 الجيش صامد يحتل مكانه والحقيقة ان هناك رخاء اقتصاديا بعد الدعم العربي
 مؤتمر الخرطوم .

كيلو اللخمة النهاردة بستين قرشاً . و جايز بخمسة وخمسين ومتوفر
 في السوق .. حقيقى بعد النكسة مباشرة زادت الاسعار قليلا .. ولكنها
 عادت لما قبل يونيو ٦٧ .. والحمد لله حققنا الصمود العسكري وانكسر
 تعرفون قصة الحصرة ايلات .. بعد العدوان مباشرة كما قال سيادة الرئيس
 كان الطريق مفتوحا للقاهرة .. لا يوجد جندي واحد قادر على الحرب ..
 اليوم الحمد لله الجيش صامد .. وكل ما نرجوه ان نتعاونوا معنا . الجهاز
 تغير .. الجيش تغير .. القيادات أصبحت أصلب سيادة الفريق فوزى
 سيادة الفريق عبد المنعم رياض وقيادته التي تكلم عنها العدو قبل الصديق
 في الاردن .. الغلطات القديمة تم اصلاحها وحدثت تغيرات كثيرة ان شاء
 الله سوف ترونها عندما تعودون الى وحدتكم .. لا اريد ان أثقل عليكم ..
 ويمكنكم ان تسالوا أى أسئلة .. لا تخافوا .. ها اتفضلوا .. ايه مفيش
 أسئلته ؟؟

.. .. .

- المشير انتحر .. اخذ مواد سامة .. والنائب العام قرر انه
 لا يوجد فعل جنائى

.. .. .

- كانت هناك مؤامرة فعلا بعض الضباط رجعوا من سيناء خافوا
 من المحاكمة وهم امام محكمة عسكرية عادلة ..

.. .. .

- الاسرى فعلا اليهود اقل من عشرين .. لا .. لا .. لم ناسر اواءا
 كاملا كانوا من الضفادع البشرية وبعض الطيارين .

.. .. .

- أيوه ضربوا الزيقية . . . والآن هناك تهجير لاهالى مدن القتال
- الجماهير خرجت تنادى ببقاء الرئيس يوم ٩ و ١٠ يونيو
- أيام خالدة
- لن يحدث لكم أى شىء . . . لن يفصل أى أسير . . . وستعودون بعد إجراءات بسيطة . . . كلما تعاونتم معنا كان ذلك أسرع . . .
- بالمناسبة وفد منكم سيزور مقابر الشهداء . . . باكر . . . استريحوا . . . نحن فى خدمتكم لا مقابلات مع المدنيين وأرجو الا تخرجونا . . .
- كل واحد له عشرة جنهات من التامينات هدية من السيد حسين الشافعى نحن اخوانكم حاولوا مساعدتنا
- توجد ترتيبات للمحافظة على الطيران ولن يتكرر ما حدث ثانية
- القيادة كانت مهزوزة وحدث ارتباك لها
- اليوم أحسن بالطبع . . . لا . . . لا . . . لا تخافوا . . . زملاء لكم يقومون بواجبهم على الحدود بجهود فوق طاقة البشر
- نعم كل ساعة طائرة محملة بالسلاح فعلا . . . لقد كان موقف الاتحاد السوفيتى مشرفا
-
- لم تضربنا الطائرات الامريكية ولكنهم كانوا مستعدين لدخول الحرب لو انتصرنا تصبحوا على خير . . . أيوه البقرول زى ما هو سناخذ منه لنشتري به سلاحا
- كل الدول العربية موقفها مشرف . . . تصبحوا على خير . . . الحمد لله على السلامة عارفين انكم تعبتم . . . وصلتنا اخباركم . . . اعمال عظيمة حقا . . . كلنا فخورون بموقفكم هناك . . . حاضر . . . حاضر . . . تصبحوا على خير . . . العشاء بعد نصف ساعة . . . تقدرنا سيادتكم تفضلوا . . .
- كان صديقنا يراقب بالدهاشن . . . لم يكن قد استوعب بعد انه لم يعد فى عثليت . . . ولم يفهم لماذا العجلة السويدية لهذا المؤتمر . . . كان يشعر بأن هناك شيئا غامضا فى البطء الشديد الذى تكلم به اللواء فى بدايه الحديث

ثم السرعة الغربية التي كان يرد بها في نهاية الحديث هل تعرف احساسك
عندما تقف امام حاوي يخرج الارانب والحمام من اماكن فارغة او لا يمكن
تصديقها .. ولكنك امام الحمام الذي يطير لا تستطيع تكذيبه وفي نفس
الوقت تشعر انه قد ضحك عليك كان هذا شعوره .. ولم يبدأ الا بعد أن
عرف السبب عندما عاد الى العنبر الذي ترك فيه اشعائه البسيطة فوجد
انهم قد فتشوا كل شئهم وأخذوا ما بها .. بداية غريبة لعدم الثقة .. تزكت
لديه شعورا بالمرارة والرغبة في عدم التعاون مع هذه الاجهزة البوليسية التي
لا زالت لا تحترم أبسط حقوق الانسان وأهميته .. وتآروا جميعا .. شعروا
بالمهانة لقد استولوا على خطاباتهم وسجائرهم .. أدوات الحلاقة ..
الملابس .. الاحذية .. حتى السجائر السوبسرى التي اهداها لهم الصليب
الاحمر وسجائر الكليوباترا .. بعد أن دبروا الهاءم في هذا المؤتمر
واستسلموا هكذا المخابرات في أى مكان ؟؟؟

وانتسروا في العسكر يكتشفونه .. بعضهم عرف أن الفيلم الذي
سيمرضونه هو السممان والخريف .. وآخرون اكتشفوا أنهم قد أعدوا لهم
تليفونا للاتصال باهلهم واحدهم جاء يحمل قصة غريبة .. لقد وقف الدكتور
قدرى يصلى جماعة .. وفجأة بدلا من أن يركع وقف يخاطب ربنا .. ليه كده
يا ظالم !! هو ده عدلك آ وأخذ يهذى بكلام غريب حتى نفلوه للمستشفى
.. وخاف كل منهم على نفسه أن يفقد عقله وأبتدأوا بلصخون بعضهم
بعضا لا تنضب الدنيا لا تستحق .. لقد انهينا أصعب مرحلة من الحمد لله
.. كان من الممكن أن تموت في أى مرحلة من المراحل السابقة ..

وقف أحدهم يتكلم مع أسرته من خلال التليفون .. كان منفعلا الى درجة
كبيرة وهو يخاطب الطرف الآخر .

- أنا يا ستى جوزك ورجعت

-

- ايه نسيتينى ولا ايه !!

-

- مش متجوزة يعنى ايه !! أمال أنا ايه ..

-

ياستى أنا رجعت مصر .. أنا بكلمك من مصر ..

ثم التفت باستسلام للاخرين وقال .. تصوروا قفلت التليفون

في وشى وضع الجفيع بالضحك وقف خجلا يرجوهم أن يسمحوا

له بمحاولة أخرى .. لعلها تتصور أنه يعاكسها ..

- الو ٠٠ انت قفلت ليه ٠٠ انا جوزك ورجعت ٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- رجعت من الاسر ٠٠ انا في الكلية الحربية ٠٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- نمره كام ٠٠ ٩٩

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- ياسسى دى نمره بيتدى ٠٠ هم غيروها ولا ايه اا

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- ازاى نمره بيتكم من خمس سنين ٠٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- طيب مذاسف ٠٠٠

وقف بجوار الحائط يفكر ٠٠ ثم صاح ٠٠ آه ٠٠ لها حق ٠٠ تصوروا

نسيت نمره بيتى

قرب نهاية فترة الاسر تبادل الاصدقاء ارقام تليفوناتهم ٠٠ وخاف هذا الصديق لحرصه على نفسه واسرته أن تشع هذه الارقام في ايدى الاسرائيليين ٠٠ فتغلب عقله الباطن على عقله الواعى بأن غشه واعطاه رقما خاطئا ٠٠ حتى اذا وقع هذا الرقم في ايدى عدوه نجا هو ٠٠ وظل محتفظا بهذا الرقم في ذكاراته متخيلا أنه الرقم الصحيح حتى أنكرته زوجته ٠٠ وقد يكون خوفه من مقابلة عائلته بشخصيته المزقة الجديدة هي السبب في أنه اخطأ رقم تليفون منزله ٠٠

ذهب صديقنا لشاهدة « السمان والخريف » منذ مدة لم يشاهد فيلما ناطقا باللغة العربية حتى قبل الحرب ٠٠٠ قصة الفيلم تشد انتباهه لها ٠٠ فالتمزق الذى يعيشه بطل الفيلم هو نفسه تمزقه ٠٠ ووحل ما قبل الثورة هو نفسه الوحل الذى عاد منه ٠٠٠ يبيكى ٠٠ الحرب التى في نهاية الفيلم تترك شعورا بعدم الراحة لديهم ٠٠ بعضهم لا يفهم الرمز في الفيلم بعودة بطله الى تمثال مسعد زغلول ٠٠ ينفعل بفسر لهم تمثال مسعد رمزا لنقاء الوفد وثوريته ٠٠ وهو يعود له دائما عنما يشعر بالتمزق أو التناقض ليستمد منه العزاء ٠٠

- آه زى الرمز اللى خرج من اجله شعب ٩ و ١٠ يونيو رافضا

الهزيمة ٠

- تمسام ٠٠٠

وضع الاكل على بوقيه العشاء بكميات كبيره جدا ٠٠ لحوم ٠٠ فراخ
٠٠ كشك ٠٠ ارز بالكبد والكلوى ٠٠ ومطبوخ بشكل جيد ٠٠ كانوا جوعى
منذ تسعة اشهر ٠٠ آكلوا بشرهامة مرعبة ٠٠ كان كل منهم يود لو كان لعيه
أكثر من قم وأكثر من معدة ٠٠ علق احدهم فى النهاية ٠٠ أجمل ما فى هذا
العشاء ٠٠ اننى لئن أغسل الاوعيه بعد ذلك ٠

هكذا انتهى يوم رحلة العودة ٠٠ راوا فجسره فى مخرج
او مدخل العريش تظهر شمسه من بين النخيل الكثيف تشهد
الى متى يظل الاتسان دائبا على ظلم أخيه الانسان يقتله ويسجنه
ويعذبه وينفيه ويحمره ٩٩ ٠٠ وانها ليله فى معسكرات الكلية الحربية ياكلون
بشراهة منقطعة النظير اكلا معدا بصورة جيدة وبكميات كبيرة ومتنوعه ٠٠
والاهم أنهم لئن يغسلوا الاوانى بعد الطعام ولن يتمم عليهم الجنود الاسرائيليون
ويقتلوا عليهم الابواب بالاقفال ولن يستيقظوا باكر على صوت المذيعه
الاسرائيلية الساعة شيش بمعنى الساعة السادسة ٠

الفصل السادس

مصر

لقد كانت فترة الحضارة التي فضاها أصفناؤنا في الكلية الحربية فترة لازمة وضرورية لعمل نقله موضوعية لهم ٠٠ والا خرجوا للعالم كالوحوش ورغم ذلك فلقد اكتسب صديقنا بعض العادات التي مازالت تصاحبه حتى الان ٠٠ فهو لا يتحرك ابدا الا ومعه أكثر من علبه سجائر ولا يعتبر نفسه قد تناول طعاما ان لم يحتو على كميات غير طبيعية من اللحوم ٠٠ ولا يستطيع أن يقاوم زجاجة مياه مثلجة ومغيشة من فعل الرطوبة خاصة لو كانت برتقالا أو ليمونا ٠٠٠ وهكذا حياتنا جميعا اغلب عاداتنا اكتسبناها في ظروف ومناسبات قد لا نذكرها ٠ واثرت هذه العادات على شكله وسلوكه وعلاقته بالعالم فصديقنا الذي كان رياضيا لا يزيد وزنه عن الستين ابدا ٠٠ أصبح نتيجة لشهره انسانا سمينا ذا كرش متوهل ووزنه يزيد على الثمانين ٠٠ أكثر غرابة علاقته بالجنس الاخر ٠٠ علاقة حسية شرهة لا تمل التغيير والتبديل ابدا ٠٠٠ كذلك لم يعد يستقر في عمل فهو دائما قلق متوتر متعجل ٠٠ ترى عيناه العيوب بسرعة شديدة فيحتاج ويقاوم بضراوة لا تتناسب مع الموقف ٠

لقد أصبح صديقنا خطرا فلهذه الامكانات والذكاء والامانة والتحمس والانسانية والخلق الذي يجعله جذابا لعدد من البشر وفي نفس الوقت كان حادا مدمرا بشكل غير انساني لمن يخالف وجهة نظره ورايه وقيمه ٠٠ والعالم لا يحتمل الابيض والاسود الان وانما هو مجموعة من الرماديات المختلفة ٠٠ لذلك فلقد كان مثارا لهشبه المتعاملين معه احدهم اطلقت عليه لقب مصاص الدماء ٠٠ وآخرون كانوا يقولون أنه مربع ٠٠ شديد الجاذبية ٠٠ شديد الخطر ٠٠

يا صباح مصر ٠٠ يا صباح مصر ٠٠ الحمد لله على السلامة ياسادة ٠٠ لديكم اليوم اعمال كثيرة ٠٠ التطعيم ٠٠ وعمل بطاقات شخصية ٠٠ والتقاط بعض الصور ٠٠ وتعديل الافرولات لدى الترزى ٠٠ والحلاقة ٠٠ ومجالس تحقيق الاسر ٠٠ مقابلة المستجوبين ٠٠

هنا أيضا مستجوبون .. وضحكوا جميعا ..

وتحركوا جميعا في نشاط كل منهم يؤدي عملا من الاعمال التي يجب ان
ينهيها قبل الخروج الى العالم . وعند الحلاق وجد صديقنا أحدهم يخلق ..
لم يكن قد قابله من قبل .. سألته .. هل كنت معنا .. اجاب بالايجاب .
ولكني لم أرك من قبل .. ابتمسم بمزاره وقال .. لقد اعتبروني جاسوسا
.. وليس أسيرا .. ثم استنطرد .

بعد حرب يونيو . . كان هناك تشوين نخيرة ومفرقات قرب رهانة
.. طلب منه ومن زميل آخر نسف هذه التشوينات .. وقاما بنفسها لدرجة
ان الاخرين على الشاطيء البعيد تصوروا ان الصاعقة فجرت قنبلة ذرية . بعد
ذلك ذهب في دورية تصوير مطار حربى .. كان بالملايس الخفية ومعه الات
تصوير .. سلمه العربان للاسراييليين فاعتبروه جاسوسا .. سجنوه
سجنا انفراديا وزاولوا معه كل انواع التعذيب .. ثم حكموا عليه بالاعدام
.. حتى انه كان منخيلا وهو عائد لمصر انه ذاهب لتنفيذ حكم الاعدام ..
وهذا هو السبب في تأخر تسليم الاسرى . فاليهود اعتبروه جاسوسا ورفضوا
تسليمه والمصريون اصروا على استلامه ضمن الاسرى .. كان شابا رقيقا
وسيدا يحب الموسيقى ويعزف على الجيتار ويرقص ويرسم ومن أسرة معظمها
فنانون .. رياضى متحمس بتهور .. ورغم كل ما عاناه كان معتزا بنفسه لدرجة
كبيرة فلقد كان يجد سببا مقبولا لحيه لتحمله العذاب وبالتالي لا تناقض ..
لا تمزق .. ولا يعادى نفسه لقد كان وجها آخر تماما لما يمكن ان يكون
عليه شعاب مصر عندما يعتنى بتربيتهم وعندما يجدون الهدف الواضح ..
تم عمل مجالس تحقيق اسر لاصدقائنا .. تحقيق صورى واجراءات
روتينية .. اين سلاحك ؟ .. كيف وقعت في الاسر !! .. لماذا ؟؟ ..
منع السلامة ..
ثم استجوابه : شاب صغير السن ذو تقاطع حلوة .. يلبس نظارة
ريبان ويسوى شاربه الاصفر بعناية ويتكلم بكسل شديد وملل ..
اسمك .. عنوانك .. سنك .. رتبتيك .. ملأت الشيت ؟؟ عنك
حاجة عايز تقولها !!

.. . . .

- آه عارف

.. . . .

- عارفين احنا الكلام ده .. غيره

- آه .. آه .. أحنأ كنا متقبعنه

-

- أشكرك جدا .. تبقي فكرة معقولة .. أكتبها وهاتالي وارسم
خريطه للكيوتزات انت مهندس .. وعليها التحصينات العسكرية .

-

- مش كتبت الحكاية دي خلاص .

-

- تفكر يعنى نعمل ايه نشنفهما .

-

- مش تلتك كتبتنا خلاص .. هل ممكن تتصور اننا نسيب اليهود

على الجبهة ونجري نشوف مين اللي ترك كتبتنا ومين اللي هرب ..

-

- الجيش كله ترك معداته وسلاحه يعنى على معدات كتبية مهندسين .

-

-

- المهم حاولوا يجندوك .. ولا لا ..

-

- والفلوس فين طيب سلمها في قيادة المعسكر ..

- اتغيرنا خالص .. الجهاز كله اتغير ..

-

- هذا إجراء يجب أن نتبعه أنت كويس .. غيرك ممكن يكون جاسوس

وتأكد مفيش حاجة حتفوت مننا .. متشكرين .. تقدر تتفضل ..

-

- آه .. آه م أنا عارف .. عارفين أحنأ كل حاجة .. متشكر ..

مع السلامة . .

في نهاية اليوم وجد صديقنا من يبحث عنه .. فهناك من يقف

في الشارع ينتظره .. جري في اتجاه سطح الكلية الحربية الطل على

شارع جانبي ليجد أمه .. أبوه .. أمه .. أخته .. خالته .. والزعرج أن

يكون أول لقاء بينهم بهذه الصورة .. كان يود أن يدفن رأسه في صدر

أمه .. ويشعر بتبريت كف والده على ظهره ويقلبهم جميعا يلمسهم بيديه

يشم رائحتهم .. يجكي أمامهم فيمسحوا دموعه وتمعه وآلامه .. جرى

كالجنون يبحث عن وسيلة ليقابلهم وجها لوجه .. ليتحدث معهم عن قرب

•• تناقش مع الضباط والصف ضباط حتى سمحوا بمقابلتهم على الجوابية ••

- ازيك يا أبني ••

- •• •• ••

- عامل أيه واحشنى •• صحتك وحشه كده ليه •

- •• •• ••

- عذبوك •••

- •• •• ••

- كانت بتوصلك جواباتى ••

- •• •• ••

- آه

- هل كان مع حقيقى ثلاثمائة جنيه •••

- •• •• ••

- أخذوها منك ••

- لا أحضرتهم ••

- والله كويس •• تعال سلم على أمك وخالك ••

وطلب منهم صديقنا العودة على أمل لقاء اخر •• وأفهمهم أن ذلك

مخالف لتعليمات'المسكر ••

كان عائدا مفعما بالعواطف •• لقد أجهضوا اللقاء •• ولكنها أمه يعرفها

جيدا لابد وأنها بكت وقالت ابني على بعد خطوات واحرم منه •• أم مصريه ••

ذهب ليشكر قائد المسكر •• ويسلمه النقود التي معه •• أخذها الاخر

وشكره •• عندما خرج تذكر أنه لم يأخذ ايصالا فعاد ليجد أحدهم. يقص

عليه ما حدث على الجوابية ويشككه في أن المبلغ الذى سلمه صديقنا غير

صحيح •••

وكالمقشة التي قصمت ظهر البعير انفجر صديقنا •• هذه اهانة ••

هذه ليست معاملة •• تستولون على أسياننا بدون علمنا •• تم ترسلون

الجواسيس خلفنا •• وتشككون أيضا في ذمتنا ••

- كان الاخر يحاول أن يسكته •• طيب يا أبني متزعلش •• خلاص

متزعلش نفسك •••

- استطرد الاخر •• لو كان اليهود أخذوها مش كان أفضل •••

حاول أكثر من طرف تهدئته ••• كان يتحرك في المسكر مستغزا

هل هذا جزاؤه •• المثل هذا الموقف حافظ على النقود ••

وهكذا أصبح صديقنا بعد ذلك يستغز لانفقه الأشيياء

متخيلا أن العالم يجب أن يسير كما يتخيل هو في دقة •• وانتظام ••

ولا يسمح لاي خطأ الا الاخطاء التي يرتكبها هو •• وعادة ما تكون مبررة له •

زاروا بعد ذلك مقابر الشهداء .. وقف يستمع لنوبة صحيان ..
ثم تحرك حول المقابر يقرأ أسماء شهداء ٤٨ وشهداء ٥٦ وشهداء اليمين كان
من الممكن ان تكون هنا رفااته تحت عنوان شهداء ٦٧ .. يجد أم أحد الشهداء
بملايس الحداد تبكى ابنا لها من شهداء ٥٦ .. أحد عشر عاما ولم تنسى
..سى من اجله .. دمت عيناه ... وقف بجوارها وربت على رأسها ..
نظرت له بحب شديد .. وكأنها ترى ابنها يخرج من القبر ...

وأخيرا زارهم الفريق محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام جلسوا
في قاعة واسعة في نفس القاعة تقابلا يوم تخرجه وكان قائدا للكلية الحربية
.. كان لا يحبّه ولا يرتاح لطريقة كلامه .. يوم تخرجه قال لهم
احترموا البذلة التي ترتدونها .. لا تشتر نجلا وطعمية وتتحرك بها ..
ولا تحمل طفلك وانت تلبسها .. واستنصفوا لما تتجوزوا مش تتجوزوا
واحدة بملاية لف وتمشى معاها بالبذلة .. شعر يومها بالقرف كان يقول
عنه ان جنون العظمة يقتله .. لذلك فلقد اندهش عندما عرف انه أصبح وزير
حربية ما بعد النكسة .. علق أحد الزملاء سيدير الجيش كما لو كان الكلية
الحربية 11 .. قال لهم سنشكلون وحدة قتالية من الاسرى .. وشعر بمفص
في معنّه من القرف ما هذا التفكير الرومانسى السخيف .. لقد قالوا لكم انكم
لن تخدموا في القوات المسلحة وأنا اتقول لا بل ستعودون لمواقعكم ثانية ..
قارن بينه وبين ما قاله موسى ديان .. وشعر بالمرارة والحزن .. لقد قررنا
ان نمحك اجازة شهرا ثم تعودون لعملكم ..

الجو صحو .. وشوارع القاهرة كما هي .. بل اكثر جمالا .. والشمس
الدافئة القوية تضى المنازل والشوارع والأشجار .. ارتفعت الفساتين والجرنلات
فوق الركبة كثيرا شاب يربى شعره يتبع فتاة مرسله شعرها وتلبس الميكروجيب
وتقفز في شوارع مصر الجديدة .. اعلانات السينما .. ودلو قبل كل شيء ..
كل من حوله .. العربية تدخل مدينة نصر وتقف امام منزلهم .. رصفوا
الشارع الذى امامهم اهله يقفون في البلكونه يلوحون يبنزلون لاستقباله ..
أخته ابنة خالته الوجوه كلها سعيدة وتبخلها الدموع .. الجيران يفتحون
الشبابيك اصوات الزغاريد تطلقها خالته .. عائد من الموت .. أمه ذقت على
باب الشقة تحضنه .. صوت صباح « والله واتجمعنا تانى يا قمر .. »
والله واتجمعنا واحلو السهر .. الزغاريد تعاود ثانية .. يدخل الحمام ..
امه تدخل خلفه تريد ان تساعده .. لقد نسى هذا من مدة طويلة ولكن ابنها
ولد من جديد ببيجاما جديدة .. بلوفر جديد .. قميص جديد .. والدّه يعود
من عمله .. يحتضنه ويلتفون حوله ...

كنتم يتاكلوا ايه .. ضربوكم .. عنديك يا بنى .. كنت بتنام ازاي .. وحشقتا .. وفتنهال عليه القبلات .. امه تجلس بجواراة تطمه .. تعرف ما يجب وتضعه في فمه .. كل يا بنى ده أنت محروم .. الله يجازيهم أبوه يقول وهو يبكي .. يا بنى تموت مش مهم .. أنا وأنت وكل شباب ورجال ونساء مصر فداها .. ولكن في سبيل موقف مش لعب العيال ده .. لو مت في هذه المهزله ليكيك طول عمري ..

كانت لحرب ٦٧ والاسر الاثر الاكبر في شخصية ونفسية صديقتنا بعد ذلك اذ ورغم أن هذا شيء لا يمكن ملاحظته لاول وهله كان يحكم شخصيته عاملان هما افتقار الشعور بالامن والشيء الغريب الذي قد تدسسون له .. الشعور بالنقص .. وكان افتقاده للشعور بالامن يجعله خذرا دائما يضع اليدائل باستمرار لا يثق في أى مخلوق أو أى تصرف على الاطلاق ودائم التغيير لا عواطف له .. جاعنى في يوم يشكو من أن احدى صديقاته أسارت الى حائط مقابلهم وقالت لو كان هذا الحائط يشعر مستشعر أنت .. وأصبح لا يستطيع أن يبقى في مكان واحد لمدة طويلة .. وكان شعوره بالنقص يمنعه لتغطيته بطبقات سمكية من التصرفات والمظاهر .. فيلبس أفضل الملابس .. ويدقق في اختيار الالوان ويتحرك كالتايروس يسب كل شيء وينتقد كل شيء .. ينفق ببذخ وفي بعض الاحيان بأسراف شديد .. وكان يتقنه نفسه كثيرا ويقتنى اللوح والمجلات والتماثيل والاسطوانات الكلاسيكية ويستعرض معلوماته وبشكل مستمر ويتعامل مع الناس بتعال وتقرف شديد .. ولكنك ورغم كل هذا لا تملك الا أن تحبه ..

في المساء كانوا يحتفلون بعودته .. تجمع الأهل والاقارب والاصدقاء والمعارف والجيران .. كل منهم يسلم عليه .. يحضنه .. يساله .. كانوا يصعدون ضجة شديدة اصواتا عالية .. ضحكات .. وصوت الاسطوانة المشروخة من كثرة الاستعمال يعلو ولا أخذ يستمتع اليها .. الطشت قاللى .. الطشت قاللى .. قام بتكاسل .. دخل الى حجرة جانبية .. أمسك كوبا من الويسكى ثم جلس على كرسى مريح ماذا ساقته الى كرسى مقابل .. وأخذ ينظر لقطرات الويسكى وهي تتخلل مكعبات الثلج من خلال فاصل ضبابى كونته قطرات الندى المتجمعة على جدران الكوب وضع الكوب بجواره .. اذار الريكوردر وابتدا يستمع الى النفحات

الاولى من كورشرتو التروبيك لارتنيان .. خفت الضجة حوله بعد أن اغلق الباب ليحل محلها الاصوات الكوية للالات الموسيقية والتي اسلمته للحن خفيف مريح اشاع الخدر في جسده .. ظل يتابع لمدة .. ثم شرد مركزا عينيه على صورة له مرتديا فيها الزي العسكري ..

- فتح الباب بهدوء وجلس بجواره • ثم ربت على فخذيه وغال •••
- يا راجل روق •• ولا تحمل هم •• ده يومك النهارده ••
- لا ••• ••• ولا حاجة ••
- هم عذبوك كتير ••
- لا •• مش قوى ••
- كانوا بياكلوكم - اظن مش قوى - طنط يتقول كانوا بيدوكوا على
- العشاء بصلاية او خياريية او طماطامية ••
- آه في الاول ••
- علشان كده خاسس •• اظن حتاكل لغاية متعوض اللي فات ••
- اسمع •• اسمع اللحن ده •• ثم ردد مدخله مع الموسيقى ليلفت
- نظره ••
- آه كويس •• انت بتحب الموسيقى ••
- احبها جدا ••
- وياترى كانوا بيستمعوها لكم هناك ••
- احيانا ••
- وشفت اسرائيل طنط بتقول انك زرتها •
- آه ••
- جلوة اظن حدة من أوروبا •• متقدمة •• ربت ايه !! تل ابيب ••
- لا •• خذ سيجارة محاولا أن يشغله عليه يتركه في حاله او لينسى •
- أخذ السيجارة وظل يديرها بين أصابعه ثم أمسكها بطريقة
- توحى أنه لا يدخن وانما يعفر أحيانا على حد تعبيره ••
- ونسوانهم حلوة ••
- آه ••
- أشمعل السيجارة ثم نفخ دخانها في الهواء ••
- وكانوا بيدوكوا سجاير طنط بنقول كانت مقرية ••
- فعلا سميقة ••
- زى البلمونت كده ••
- لا زى السجاير الميري وأسوأ ••
- يا سلام وكنتم بتعملوا ايه ••
- ولا حاجة لم نمت ••
- لكن كان مسموح بهدايا من هنا •• مش كده •• كانوا بيدوكوا
- السيجاير ولا سرقةوها • وارتفع صوت الكونشرتو في أنضل وأحب جزء

الى نفسه .. فاعتدل في جلسته ليستوعبه .. ثم قال هذا العمل
لوسيقار معاصر .. ومع ذلك من اجمل الالحان التى سمعتها في حياتى ...
- رد عليه - يا اخى اتقل الدوشه دى .. خلينا نعرف نتكلم ..
طقطق بشفتيه .. اى اسكت ..

- لنت ايه اتجننت .. جرى لك ايه .. هو مفيش حد اتأسر غيرك ..
في الحرب العالمية الثانية ناس اتأسرت بالثلاث والاربع سنين وفي
كل حرب الناس بتأسر ده حتى حظك كويس انك ممتش وهنا قفز من فوق
الكرسى .. ضغط على اصبع الايقاف للريكود وواجهه قائلا .. يا سيدى
العزير انت لن تفهمنى ابدا .. فانت لم تصل الى شفا الموت .. الى شفا
الجنون .. ولن تفهم ما معنى الموت وما معنى الجنون .. او حتى ما معنى
الحياة .. ارجوك اتركنى في حالى ..

كان صديقنا يشعر بالغرابة لقد تخيل لليالى طويلة ماذا سيفعل بالقاهرة
ولكنه وبمجرد وصوله الى منزله .. وجد نفسه يسقط في بئر الفراغ .. امامه
اختيارات كثيرة وليست لديه القدرة على ان يفعل شئيا غير ان يبقى في
حجرته يستمع الى الموسيقى ويحاول ان يرم نفسه .. لم يكن ليتكلم
الا مع والده فلقد كانت هناك رابطة غريبة بينهما كل منهما يشعر انه
امتداد حقيقى لآخر .. قال له : خرجنا في الشوارع زى المجانين مصر ..
مصر .. كانت المنازل تقف سكانها الى الحوارى فالشوارع .. وامتلأت
الشوارع بالناس بالبيجامات والجلابيب والشباشب رجال .. اطفال ..
نساء .. شباب .. خرجت انا وخالتيك واختك نهتف ناصر .. ناصر ..
مصر .. مصر .. احسسنا بالهزيمة في هذه اللحظة فقط .. لم يكن من
اجله .. * * * صدقنى * * * كان من اجل بلدنا .. من الذى سيقود في هذه الازمة
غيره .. يتخلى عنا في لحظة الضيق .. واطلقت صفارات الانذار لم نهتم ..
اطفئنا الانوار لم نهتم .. اطلقوا المدفعية رقدنا على الارض ثم قمنا ثانية
ننادى ناصر .. ناصر .. ناصر ...

قالت له وهى تشد الجونلة الاكثر من قصيرة في محاولة لخطية جزء
من مخفيها بعد ان لاحظت نظراته الشرهة لها .. « البلاك كوتس يتتدم
شويجنن » وقف في وسط الحلقة يراقبها امتدت يدها الى الامام بعنف
ثم بسرعة الى اعلى والى اسفل واهتزت رأسها الى اليمين واليسار بشدة
مطلقة في الاتجاه المضاد خيوط شعرها الاسود الطويل الحائر من اهتزازات
صاحبته المتتالية وترفع جسدها الفارع للأمام والخلف ثم صاحت مع الجموع
التي تصيح « شامب » كان ينظر الى عينيها المغضبتين وأطرافها المتشنجة

الصفراء من شدة الانفعال ويحاول أن يجاوبها ولكن يا للذكرى اللعينة لا تريد أن تبارح خياله . . .

دقات الموسيقى العامية تذكره بالفتنابل وطلقات الصواريخ . .
أزيز الارجح يذكركه بالطائرات المنخفضة الساقطة ثقثف
لهيبتها وحتى هذا السمين الذى يأكل البفتيك يذكرك بالكلاب التى
كانت تنهش الجثث المضروبة بالنايلم . . .

كم تغيرت القاهرة فى هذه الشهور القليلة . . فتحت عينها لتجد
مرتبكا وسط الحلقة ابتسمت شجعت له يديه بدلال لتمسك بيده
ويستمر .

زادت دقات الموسيقى وحشية . . ووصل الانفعال الى قمته . . الاجساد
تهتز هزات غير متسقة . . كل منهم فى عالمه . . وعلى وجهه احساساته
الخاصة . رائحة العطور المستوردة المختلطة برائحة العرق تثيره وابتسم . .
تذكر زميله الذى لكزه . . وقال له من فضلك قل للزميل الذى امامنا ان يلبس
حذاءه ووضع اصابعه على أنفه . من منهم لم تكن رائحته أقذر من رائحة عفن
الموتى المتناثرين فى الصحراء . زادت الاضائة وغلب عليها الالوان الحمراء
والصفراء والبرتقالية . . وارتفعت درجة الحرارة بالصالة وتصيب عرقا . .
زميلته تنفز . . الجميع يجلسون يقفون . . يصيحون . . كان يجلس معهم ويضح
يديه فوق رأسه ثقله . . يقلدونها يقفون ثم يجلسون مقرفصين واضعين
أيديهم فوق رؤوسهم يحاول ان يوقف تيار الذكريات . الموسيقى تتوقف
ذجة الكل ينظر فى اتجاه الفرقة . عازف الجيتار اسماعيل الحكيم يتمتم
بالفرنسية ثم الانجليزية ثم العربية هنا القاهرة الراقصون يرددون صيحته
بصيحة جماعية . . .

كان ينظر حوله فيجد ان كل شيء قد تغير الملابس ألوانها . . العطور . .
تسريحات الشعر . . كلها مستوردة . . حتى الثورة والانفعال مستوردان . .
له حق ابن الحكيم أن يذكركم أنهم ما يزالون فى القاهرة المهزومة .
تخفت الموسيقى ونهدأ . . وياخذ زميلته فى حضنه . . يرقصان . .
خده يلامس خدها . . وصدرها يخترق صدره . . وساعداها متشبثتان برقبته .
وكفاه يعبثان بظهرها . . ويهدأ فى داخل الحضن الانشوى الكتمل . . يهدأ .
يهدأ . . يتحرك ببطء . . وينتهي ألمه . . يتخدر . . ويدمن الخدر . .
ثم يزيد الجرعة . . مرة تلو الاخرى . . ويفرق . . ويفرق . . ويفرق . .
مفذ ذلك اليوم اعناد صديقنا أن تكون له أكثر من صديفة ليضمن
مخدره دائما وكانت تغلب عليه لغة الجيش فيقول خط أول وخسط ثانى

واختياطي تكتيكي واختياطي تعبوي واختياطي استراتيجي واختياطي عام ..
وكان كل مرة يحدث حركة تنقلات لتأخذ كل واحدة مكان الاخرى .. كان
في البداية مرتبكا ثم أصبح محترفا .. سىء السمعة ومع ذلك لم يكف ابدا
رغم الالام والعذابات التي سببها للطراف الاخرى .. كان مثل صؤم ميهبر
.. وكانت الفراشات دائما تقتربن منه ليحترقن .. كم تغير صديقنا كما
تغيرت قاهرته ...

وضع اسطوانة السميفونية التاسعة لبيتهرفن فوق البيكب ثم أدار
الجهاز .. وتهادت اليه اصوات الشيلوهات وهي تعزف اللحن الرئيسي كان
جالسا على كرسيه مادا ساقيه للامام في لامباله .. ناظرا الى بخار الماء المتصاعد
من كوب الشاي الساخن .. وانتهت الحركة الاولى والثانية والثالثة ..
وابتدأت الحركة الرابعة .. اللحن الاساسى بدأ يتكون ويتكثف أكثر .. الالات
جميعها تنطلق مرددة للحن واصوات الكورال تأتي متصاعدة .. عندما فتح
والده الباب مبتهجا وكافه عاد اليه شبابه .. قال يصوت عال جعله يوقف
الاسطوانة ..

- معرفتش ايه الملى حصل .. ثم اكمل دون انتظار لاجابة .. اضرابات
في الشارع الشباب .. الشباب يا سلام بلدنا لسه فيها الخير .. انا مشيت
في الاضراب بنفسى رغم شبيتى دى .. وشجعنهم في الحقيقة وعى مش معقول
.. كانوا عاملين لجان للمحافظة على النظام حاول بعض الاولاد ضرب عربية
المطافي منوعهم .. اضراب في مصر فين من خمس عشرة سنة لم يحدث هذا ..
لشباب مازال نيهم الامل .. اكمل استماعه الى التسجيل .. فلقده خاف عليهم
منه ومنهم عليه .. ظلت هذه الرغبة تؤرق صديقنا طويلا .. حتى شارك بعد
ذلك في عديد من المظاهرات والنذوات وكانت اكثرها اثرا في نفسه عندما اعتصم
الشباب في نهاية ٧٢ وبدايات ٧٣ في صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ..
وذهب لمقابلتهم .. كان يقول ان جر الحرية في هذا المكان في هذا الوقت كان
يمكنه ان يحرك القلب المريض النهار .. مئات من افضل شبابنا يجلسون معا
في حوار آخديارى يناقشون كل مشاكل الامة .. ويكتبون مجلات تخرج باخرية
والنشجاعة يقولون فيها كل ما يخطر على البال واى شىء حتى ولو كان خطأ
.. ثم يناقشونه ويحتمس .. وايجابية .. ويتفقون ويختلفون .. كانت
لهم قيادة منهم احتلت المنصة ورغم صغر سنهم الا أنهم اداروا حوارا راقيا
بديموقراطية متقدمة للغاية .. في ذلك اليوم ذهب وفد منهم الى مجلس الشعب
ليناقش .. والتفقوا معهم على أن يذيعوا بياننا لهم في نشرة الاخبار وجاءوا
ممسكين بعضهم بيد بعض في طابور طويل على جانبي ممرات القاعة من الباب

الخارجى حتى المنصة ٠٠ منشدين بلادى ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى ٠٠ لك حوى
وفؤادى ٠٠ كان يجلس بينهم مستمتعا بجو الحرية ٠٠ والحماس ٠٠ وتجمعوا
حول المنياى ٠٠ ولكن خلف مجلس الشعب وعده ٠٠ وجلسوا فى حسرة والضعيف
ايديهم تحت خوذهم ٠٠ بعد فترة كان الامن المركزى يتجمع فى الخارج ٠٠
ثم هاجم القاعة امسكهم جميعا ٠٠ شبانا وشابات فى عمر الزهور ممثلين
حماسا وطاقة ووطنية ٠٠ يريدون أن يفهموا فقط ٠٠ وخرجوا ينشدون اصحى
يا مصر ٠٠ اصحى يا مصر ٠٠ احنا ولادكم احنا اخواتكم احنا ٠٠ بنعمل
كده عشانكم ٠٠

يوم آخر اعتصم فيه الشباب فى ميدان التحرير ٠٠ حول النصب التذكارى
الذى اعد فى يوم ما ليحمل الخديوى اسماعيل ٠٠ وتوقفت الحركة فى الميدان احتلوه
٠٠ كانت لهم بعض الاسئلة والمطالب ٠٠ كانوا يبحثون عن الحرية ويحاولون
ان يتنفسوا بعد ان طال الاحتلال ٠٠ ثم هاجمهم الخيالة فى الفجر وقبضوا عليهم
لم يكن صديقنا يتصور بالطبع ان اجتماعات هؤلاء الشباب او منشوراتهم
او مظاهراتهم سوف تغير الاوضاع او تحرر سيناء ولكنه كان يأمل ان يوجه
هذا الحماس وهذه الايجابية فى اتجاهها الصحيح فلقد اصبح يؤمن بان
الديمقراطية والحرية وتعدد الاراء وصراعها هو الامن والامان للمستقبل
وان علينا ان نشجهم حتى ولو حدثت اخطاء ٠٠٠

دعى صديقنا الى قرية صغيرة من قرى الوجه البحرى ليلقى محاضرة
ونحوه والتف حوله مجموعة من مثقفى الريف وبعض الفلاحين ومن خلال دخان
الفرن الذى اشعل لعمل الفطير فملا حجرات المنزل المتواضع دار حوار ٠٠٠
- لكن يا عم محمد لماذا لا تحلون هذه المشكلة بشكل ذاتى ٠٠ يعنى بدلا
ما يقطع كل منكم الخمسة كيلو مترات لاحضار المياه ٠٠ تذهب مجموعة كل
يوم بالدور محملة بعدد من الفناطيس تملأ مياه ٠٠ وتفرغها فى فنتاس
او اثنين فى وسط القرية تستخدمونه جميعا ٠٠٠

- يا استاذ لازم الحكومة تدخل ٠٠ ايه يعنى لما يدوا لنا خطا لغاية
عشنا .

- انت عارف ان الموضوع بالدور وبتحكمه ميزانية محدودة ٠٠ ولو ذهبنا
لرئيس المدينة وقلنا له عزبة ابو غنار ٠٠ حيقول وباتى العزب ٠٠

- وايه يعنى يا استاذ حتتكلف اليه لكل العزب كام الف ٠٠ الفين بدل
الجناين واعمه النور والزواق نمد ميه الاول فشرى وبعدين نزوق .

- ولغايه ميمدوا خطوط حتشربوا منين ٠٠م تحلوا الموضوع بشكل جماعى

- يا بيه انت متعرفش احنا عايشين ازاى انت فكرك الفلاحين بيحبوا بعض وطيبين ومتعاونين بيقلوا كده فى المدرسة والجرنال .. والنعمة دى ولام اوعى اكلها .. كنا حنقتل بعض على شوية تبين .. العزبة دى ما انت عارف ملك الدكتور حشاد بتاع الرمد اللي فى البندر وماجر لكل واحد فدان ولا اثنين .. وفى وسط العزبة الشونة اللي قدام سعادتك دى .. قلت اوضيها وادخل التبين جواها وازرع الشبرين دول بينفموا برضه .. الفيرة اكلت قلبهم راحوا يشتكونى لصاحب الملك .. تقوم تقولى نملا سوا ... لا يابيه الحكومة تمد لنا الميه ..

- يا عم محمد احنا فى حالة حرب والبلد كلها مشغولة ..

- يعنى يا بيه حالة الحرب على الغلبان اللي زى حلاتى .. ربنا ينصره عبد الناصر وملعون ابوهم اليهود .. تصدى الصهاينة لتقولوا علينا متعصبين لكن برضه نفضل من غير ميه ...

فكرة غريبة سيطرت على عم محمد ان كل من لبس بنطلون وقميص وقدم من البندر اصبغ من السلطة .. وعليه ان يخل له مشكلته الشخصية .

عندما يحل الليل يشعر صديقا بالانقباض فالحبس فى خجرة مغلقة ذات اربعة جدران اصبحت تسبب له ضيقا .. لذلك فلقد طرق ابواب جميع دورالمقرن فى القاهرة ولفت نظره ظاهرة غريبة .. ان جميع الافلام المعروضة تقريبا افلام جنسية .. فلنراجعها ان لم تخنى الذاكرة .. سينما مترو فيلم « انفجاره » فيلم عن الضياع واغراقه فى اللذة الجنسية سينما رمسيس « الحياة للحياة » فيلم يدعو للانطلاق والحب وتحويل المشاكل العامة والحروب الى تسلية مع الغرق فى اللذة الجنسية .. سينما اوبرا « الحب اقدم مهنة فى التاريخ » فيلم يتكلم قصة وتاريخ الدعارة وتطورها .. سينما كايرو « الزواج وحبوب منع الحمل » ما معنى هذا هل هناك خطة مسبقة لدعوة الشعب المصرى لان يغرق همومة وثورته فى مجموعة الانفعالات الجنسية وماذا كان رد فعل ذلك .. !! امتلات السنزويوهات والملاهى بالشبان والشابات يرقصون اسما ويمارسون الجنس باشكال غريبة .. فى بعض الملاهى شاهد صديقنا من خلال الاضواء الخافتة جدا بعضهم يزوال الجنس .. وانتشرت الدعارة وطوقت شرائح واسعة ومختلفة من الناس .. وهكذا بعد الحروب .. تتحلل جميع الاشياء والقيم .. والانكار .. ولم ينج احد .

بعد ايام زار صديقنا مندوب من المخابرات الحربية .. ثم اخذه معه فى عربة سوداء طويله عليها ستائر .. ركب فى الخلف بين رجلين من المخابرات مسلحين وفى الامام كان آخر وسائق ..

- الى أين ..
- لا تعرف ..
- ماذا تريجون ..
- لا تعرف ..
- من الذى امركم بذلك ..
- لا تعرف .. فصمت حتى وصلوا الى مبنى صغير بخل اقدمهم
- تقل جميع الابواب ثم قاده الى حجرة صغيرة وخرج وقفل الباب خلفه .. الحجرة
- بها سرير صغير ومرآة ومنضدة بكرسيين وستائر على الشبابتيك المفلتة ..
- الزمن يمر ببطء خمس دقائق .. عشرة .. ربع ساعة .. نصف ساعة
- .. ساعة .. ويحخل اقدمهم يضع امامه مجموعة من الاوراق وقلم هذه
- وثيقته تعارف أرجو ان تملأها بعناية ستحاسب على كل حرف تكتبه .
- ويسأله محاولا تخفيف الموقف بإبتسامة .
- هل تتهمونى بشيء ..
- لا مجرد اجراء روتينى ..
- احدهم يدخل حاملا كوبا من الشاي يضعه امامه ويخرج .
- يملا الوثيقة وهو يتأملها بعناية بيانات متشعبة ينتهى منها ومن شرب
- الشاي .. ويجلس ينتظر .. يصفر بفمه .. يرقد على السرير .. يعيد قراءة
- الوثيقة .. ينظر الى المرأة ويلعب حواجبه وتمضى ساعتان قبل ان يحضر
- احدهم يدعوه لمقابلة الرائد ..
- رجل سمين ابيض الوجه احمره .. ابدأ الصلح يزحف على شعيره
- المرتب بعناية خليق الذقن راض .. يدخن سيجارة طويلة من علبة .
- علبة سجائر تشبهه لعب السجائر السويسرية التى اخذوها منهم
- يوم حضورهم .. مازالوا يدخنون منها حتى الان .. وأبتسم .
- صباح الخير
- مشغول فى قراءة اوراق امامه .. ثم ينظر له ويبتسم .
- اهلا .. اهلا .. انتفضل يا فندم .. أحنا اسلين جدا للتعطيل .
- لا .. لا يهم ..
- آه
- شوف يا فندم .. انت هنا فى بلدك وبين اهلك وموقفك من مخبرات
- العدو يخالف موقفك الان .. نحن نحاول قدر جهدنا ان نستفيد منكم

- وأيضا ان نؤمنكم والان امامك الفرصة الحقيقية لكي تصبح صفحاتك بيضاء •• وهي ان تقول كل ما تعرف •• وكل ما حدث ••
- انا قلت في الورق اللي كتبناه يوم ان حضرنا •
- انا قرأته كلمة •• كلمة •• ممكن تقوللي •• أحب اسمع منك ••
- قصتك •
- أي قصة •
- قصة أسرك •
- كنا كتبية مهندسين الفرقة
- باختصار من فضلك فين اتاسرت ••• !!
- قرب مطار المليز •
- أسرتكم دورية اسرائيلية مش كده •
- آه •
- ونقلوكم للمطار •
- آه •
- مين كان معاك ؟
- كتير •• فلان وفلان وفلان
- آه •
- اخذوا منكم حاجتكم مش كده •• انت ليه مشريتش حاجة يا سلام •
- آه الا مائتي جنيه احتفظت بها ••
- يا سلام مائتي جنيه •• ازاي كانوا بتوع آيه •
- وهنا ابتدا صديقنا يفهم لماذا أحضروه فابتدا يجس النبض
- آيه حاجة غريبة اني أرجع بمائتي جنيه •
- لا •• لا أبدا لكن أحب افهم ازاي رجعت بينهم •
- فقص عليه القصة كاملة •• بشهودها •• بتواريخها •• بجميع التفاصيل علق الاخر •
- انت عازف يا فندم لم يحدث في تاريخ المخابرات ان فر منا جاسوس
- لنا قصص كثيرة معهم •• جاسوس كان •• وجاسوس آخر ••
- وجاسوس آخر ورغم كل الاشكال العلمية والتنوعية من المخابرات الاسرائيلية الا انهم سقطوا فاهم •
- وهنا غلى الدم في رأس صديقنا واعتبر ذلك اتهاما وتهديدا فرد
- وما دخل هذا بي ••• !!

- مجرد معلومات عامة يمكن تحب تقول حاجة ثانية .
مد صديقنا ساقيه على الكرسي المقابل واستعد للصراع . . بعد التصريح
الواضح للاخر فسأله .

- أنت بتشك فيه كام في الميه .
يفاجأ الاخر ويرد بسرعة

- أنا لا أشك فيك ولكن هذه الاحتياطات لمصلحتك . . ثم يستطرد احنا
عندنا هنا تسجيل كامل لكل تصرفاتكم أثناء الاسر .

يبتسم الاخر ويسأل بخبث
- ياه وكيف حصلتم عليها .
يرد الاخر بتباهي

- لنا بالطبع رجالنا هناك . . ويمكن اللي كان بيستجوبك هناك منهم .
ضحك الاخر بصوت عال ورد
- ولكن هذا شيء خطير
امتعض وأجاب - لماذا ؟؟

رد الاخر بخبث - لان بالطريقة دي ما الضمان بان من يستجوبني الان
ليس من رجالهم . . .

اصفر وجه الاخر ونظر له بشراسة .

فاكمل ليخفف الموقف - يا فندم التسجيلات التي عند سيادتك انا اللي
حملتها من اسرائيل حتى هنا . . والرائد صفوت سجلها وخافا يحصلها
كان هذا كافيا لرد كرامته امام رجل المخابرات الذي يشك فيه . ولكنه تمادى .
- السجائر التي امامك دي كويسه . . طعمها كويس .

رد الاخر .

- آه اتفضل .

- لا . . اصلها سجايري وانتم صادرتموها . .

- رد الاخر .

- احنا آنسفين جدا لكن انت منفعل ليه كده . . انا اؤدى واجبي هنا
. . وكان من الممكن ان تكون انت مكاني واكون أنا مكانك . . الموضوع وظيفة
وخدمة ودور . . . وكما ترجو ان تؤدي دورك بصورة جيدة لا تستبعد ان يؤدي
الاخرون دورهم . . ويجب ان تعطيني الفرصة كاملة لذلك فالصحة في النهاية
مصلحة وطننا . . وعموما أنا مقدر ظروفك لكن هل تعلم ان من ضمن خصمائه
ضابط اسير حاولت المخابرات الاسرائيلية تجنيد حوالي ثلاثمائة وأن هناك

أكثر من مائة ضابط استجابوا لها وجندتهم ولولا اعترافهم لما استطعنا أن نساعدهم . . هل أنت راضي الآن ؟

قام الآخر وسلم عليه بحرارة محاولا الاعتذار عن لهجته الحادة وقال - ولكن لم يحدث لي هذا . . . شكرا . . .

خرج صديقنا مندعشا . . . كيف يحدث هذا . . . كيف يجروا انسان ما على دعوة آخر لان يخون بلده . . . مجرد دعوة . . . فما بالك بأن يستجيب ولساذا لم يدعوه لذلك . . . ان هذا يتوقف على مدى الذير وارستقوت الذى حدث للضابط بحيث توجه له مثل هذه الدعوة .

اجتمع بهم بعد ذلك نائب مدير السلاح . . . كانوا مجموعة المهندسين العائدين من الاسر . . .

قال - انتم آخر من ترك السلاح . . . الذين عشتهم التجزبة حتى نهايتها ورايتم العدو رأى العين . . . ولذلك فسنستفيد من خبرتكم الطويلة .

سأله أحدهم - ما حال الجيش اليوم .

- فى أحسن حال . . . بعد الهزيمة حدث انهيار ولكننا عوضنا اليوم أكثر من سبعين فى المائة من خسائرنا . . . وطعمنا صفوفنا بجنود مؤهلات علينا سيعود كل منكم لوحده فنجب تغييرا كبيرا .

.....

الفريق مرسى فقط . . . وحل محله سياده اللواء جمال محمد على . والقيادات أصبحت أفضل .

- سيادتك بقول القيادات . الم يزل قائد كنيبتى ورئيس عملياته اللذان هربا من المعركة قادة ؟؟

- لا . لا . . . انتم اعصابكم تعبانة . . . من قال لك انه لم يحدث تحقيق .

- انا اعرف .

- يابنى لا تكن مندعما هكذا كل القيادات هربت . . . سلاحنا احسن سلاح .

- وذلك لا تعلنون ما تم ليبقى سلاحنا احسن سلاح .

- هذا مخالف للواقع .

- اسمح لى انتم القيادات الكبيرة يغطى بعضكم على بعض .

لا . . . لازم تعرف انك لسه ضابط وانك ممكن محاسبتك على مثل هذا

الكلام ساقدر مدى تعبك ولكن قبل أن تتكلم فكر فى مستقبك .

- صمت طويل
- الحمد لله على السلامه أن شاء الله نشوفكم في وحداتكم قيادات جيدة
تطور الجيش المصرى وشكرا .

لا شك ان حرب ٧٣ بعد ذلك كانت حرب سلاح المهندسين فالسلاح هو الذى ابتكر هدم السانر الترابى بـبشاشات الماء . وهو الذى متح المغررات وهو الذى أنشأ الكبارى والمعديات وهو الذى أمن الطرق فى الارض المفتوحة وأزال الالغام ورص الغاما جيدة ولقد حدث هذا من خلال تدريب شاق . وكان نائب مدير السلاح له الحق . ولكن صديقنا كان مطعونا . لانه لم يجد أى أذن تصفى له وتفسر له هل يمكن أن يهرب قائد من المعركة ويتبرك رجاله بدون أوامر أو تعليمات ولا يحاسب . ولو بشد اخيه . ولقد اعترف بعد ذلك صديقنا . ونحم أن صبره قد نفذ مبكرا فلم يصمد مع القوات المسلحة حتى تحقق نصر ٧٣ . فلقد كان ومازال لا ترى عيناه الا الاخطاء . ولا يستطيع أن يميز الخيوط البيضاء الرقيقة فى الرقعة الظلمة . وهذا حال اغلبنا بعد النكسة فماذالت ارواحنا محبوسة .

حملت له سؤالى هذا - الم يحن الوقت الان لكى تحرير الارض المحبوسة
داخلنا ؟

قال : هذا السؤال أوجهه لك بصفتك طبيبي . هل هناك أمل لان
تتحرر الارض المحبوسة داخلى ؟
وانا انقل لكم هذا السؤال أنزائى القراء هل هناك أمل لان تتحرر الارضى
المحبوسة داخلنا منذ ٦٧ ؟

انتهت بعد خمسة أيام من تحرير

الارض المحبوسة فى سيناء

أبريل ١٩٨٣

المؤلف :

- محمد حسين على يونس
- من مواليد القاهرة ٣/٣/١٩٤٠ م
- حاصل على بكالوريوس العمارة ١٩٦٢
- عمل بالقوات المسلحة حتى اكتوبر ١٩٧٠
- رائد بالمعاش .

مؤلفات

- | | |
|------------------|--------------------------------|
| مجموعة قصص قصيرة | - احاديث عن الفولة |
| مجموعة قصص قصيره | - طعام لنا بدلا من طعام الالهة |
| مجموعة قصص قصيرة | - جدى الملك الاله |
| قصة طويلة | - على شفا الموت على شفا الجنون |
| قصة طويلة | - اجمل الكلمات لم اقلها بعد |
| قصة طويلة | - خطوات على الارض المحبوسة |

رقم الايداع ٨٣/١٨١٥

دار المأمون
للمطباعة والنشر

امام سفترال الهمم - الطالبية - جيزة - ت : ٨٥٦٨٢٠

خصلوات على الأرض المكبوسة

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك في حرب الايام الستة التى عرفت بأيام النكسة ... وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية في الحرب والاسر الكثير مما يراه السبب في الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصر شعبه وأمتة لكثير من السليبات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للإنسان المصرى والعربى .

كتب الكتاب بأحاساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة في تاريخ الشعب المصرى وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعربها ويصلبها ويلفحها بالكرباج حتى تبدو لعينه الحقيقة المختفية تحت جلده

انها لحظة صدق قد تنفق أو تختلف في تفسير بعض ظواهرها ولكنها في النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل

دار المستقبل العربى

٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة

ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

